شرح

مقرر العقيدة والمذاهب المعاصرة

"نظام الانتساب المطور"

لجامعة الإمام

عمادة التعليم عن بعد

شرحه

أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى المنياوي

غفر الله له ولوالديه

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاما على عباده الذين اصطفى..

وبعد.

فقد وقع اختياري على هذا الكتاب لأضمه إلى قائمة الكتب التي أقوم بشرحها في الدورة التمهيدية وذلك نظرا لصغر حجمه وتنوع وشمول موضوعاته وسهولة عبارته، فهو أفضل ما نبدأ به لتعريف إخواننا المبتدئين على قواعد وأصول هذا العلم.

والكتاب هو : مقرر العقيدة والمذاهب المعاصرة الدورة التأهيلية للانتساب "نظام الانتساب المطور" ١٤٢٨هـ - ١٤٢٩هـ.

وجاء في خاتمته أن مؤلفه قد استعان بهذه المراجع:

- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي.
- تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ.
- معارج القبول للشيخ حافظ حكمي.
- أساليب الغزو الفكري، علي جريشه ومحمد شريف الزيبق.

وسوف أجعل الشرح بإذن الله مبسطا؛ ليتسنى لإخواننا الدارسين متابعته والاستفادة منه والله أسأل أن يتقبل هذا العمل وأن يبارك فيه وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن يدخر لي أجره يوم ألقاه إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

وسوف أميز أصل المتن بوضعه بين قوسين (()) وأكتبه بخط سميك وتحته خط مزدوج. وقد أعيد ترتيب بعض موضوعاته بما يُسهل عرضه.

((بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله أجمعين، وبعد:

فهذه مذكرة موجزة في العقيدة والمذاهب المعاصرة، وقد أعدت لتحقيق الأهداف الآتية:

الأهداف:

١. إعطاء الطالب قدراً من المعرفة بعلم العقيدة و مصطلحاته.

٢. اطلاعه على مصادر العقيدة، وأهم المؤلفات فيها، ومنهج السلف في تلقيها.

٣. تعريفة بأهم موضوعات هذا العلم.

٤. تأهيل الطالب للدراسة في المرحلة الجامعية.

أولاً: مقدمات:

تعريف بعض مصطلحات العقيدة:

١. العقيدة:

لغة: مأخوذة من العقد وهو ربط الشيء، واعتقدت كذا: عقدت عليه القلب)).

قال صاحب "المفيد في مهمات التوحيد" (ص: ٨): "مادة "عقد" تدور بين عدة معان، منها: الربط والشد، والعهد، والملازمة، والتأكيد.

١ – الربط والشد بقوة. يقال: عقد الحبل، يعقده عقدا، إذا ربطه وشده بقوة.

٢ – العهد. يقال: بين هذه القبيلة وتلك عقد أي: عهد. وجمعه عقود. ومنه قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُود} [المائدة: من الآية ١] ؛ أي: أوفوا بالعهود التي أكدتموها.

٣– الملازمة. يقال: عقد قلبه على الشيء، أو عقد قلبه الشيء، إذا لزمه. ومن هذا الباب قوله –صلى الله عليه وسلم: "الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"؛ فمعقود في نواصيها أي: ملازم لها، حتى لكأنه عقد عليها.

٤ – التأكيد. يقال: عقد البيع، إذا أكده. ومنه العقد المكتوب في البيع؛ إذ هو لم يكتب إلا بعد إيقاع البيع وتأكيده".

((والعقيدة: ما يدين به الإنسان يقال: له عقيدة حسنة، أي: سالمة من الشك)).

وهذا معنى لغوي آخر قال صاحب " الوجيز في عقيدة السلف الصالح" (ص/ ٢٣) عند ذكره معنى العقيدة في اللغة: "والعقيدة: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، والعقيدة في الدِّين ما يُقْصَدُ به الاعتقاد دون العمل؛ كعقيدة وجود الله وبعث الرسل. والجمع: عقائد وخلاصته: ما عقد الإِنسانُ عليه قلبه جازما به؛ فهو عقيدة؛ سواءٌ أكان حقا، أَم باطلا".

جاء في "الموسوعة العقدية" المعنى اللغوي للعقيدة، فهي في اللغة تطلق ويراد بها: "العزم المؤكد – الجمع – النية – التوثيق للعقود – ما يدين به الإنسان سواء كان حقا أو باطلا".

((والعقيدة عمل قلبي، وهي إيمان القلب بالشيء وتصديقه به)).

وهذا يعتبر معنى من المعاني الشرعية للعقيدة، وقد أشار الشيخ البريكان في "المدخل لدراسة العقيدة" إلى أن هذا التعريف الشرعي هو المرحلة الثانية وهو المعنى الذي ساد في القرون الفاضلة .

قال (ص/ ١٣): " المرحلة الثانية من المراحل التي مرت بها كلمة العقيدة: وهي دور الفعل القلبي، وفيه تبرز العقيدة كمعنى يقوم بقلب العبد، وهو أخص من المرحلة قبله – أي دور الموسوعية في المعنى وعدم الاختصاص وهو المعنى اللغوي–، ويعبر عنه بالمعنى المصدري وهو بهذا الاعتبار : «الإيمان الذي لا يحتمل النقيض، وهو والحالة هذه يعتبر معنى شرعيا.

قوله «الإيمان، أي: التصديق.

وقوله: «لا يحتمل النقيض، أي: لا يوجد في القلب سواه بحيث لا يجوز إمكان فرض آخر غير المؤمن به، وهو بذلك يخرج كل فرض قدر له نقيض كالشك والظن والوهم والجهل والخطأ والنسيان. وهذا المعنى هو الذي كان موجودة في العصور الثلاثة . الصحابة والتابعين وتابعيهم – من الجهة التطبيقية، كما قال تعالي: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَّ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا } [الأحزاب: ٢٣] ".

تعريف العقيدة اصطلاحا:

((شرعا: هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، وتسمى هذه أركان الإيمان)).

وهذا تعريف بالتقسيم، وهو تعريف الشيء بذكر الأقسام التي ينقسم اليها، كتعريف الكلمة بأنها اسم وفعل وحرف، وكتعريف العدد بأنه زوج وفرد.

وعرفها الشيخ عبد الله بن عبد الحميد في "الوجيز"بأنها: "الأمور التي يجب أن يُصَدِّقَ بها القلب، وتطمئن إِليها النفس، حتى تكون يقينا ثابتا لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك".

ثم قال: " أَي: الإِيمان الجازم الذي لا يتطرَّق إِليه شك لدى معتقده، ويجب أَن يكون مطابقا للواقع، لا يقبل شكا ولا ظنا؛ فإِن لم يصل العلم إِلى درجة اليقين الجازم لا يُسَمى عقيدة.

وسمي عقيدة؛ لأَنَّ الإِنسان يعقد عليه قلبَه.

والعقيدة الإِسلاميَّة: هي الإِيمان الجازم بربوبية الله تعالى وأُلوهيته وأَسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثَبَتَ من أُمور الغيب، وأصول الدِّين، وما أَجمع عليه السَّلف الصَّالح، والتسليم التام لله تعالى في الأَمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

والعقيدة الإِسلاميَّة: إِذا أُطلقت فهي عقيدة أَهل السُّنَّة والجماعة؛ لأَنَّها هي الإِسلام الذي ارتضاه الله دينا لعباده، وهي عقيدة القرون الثلاثة المفضَّلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإِحسان.

وللعقيدة الإسلامية: أَسماء أُخرى عند أَهل السُّنَّة والجماعة؛ تُرادِفُها، وتَدلُّ عليها، منها: "التوحيد"، "السُّنَة"، "أُصُول الدَين "، " الفقه الأكبر "، " الشريعة "، " الإِيمان ". هذه أَشهر إِطلاقات أَهل السُّنَّة على علم العقيدة".

((**٢.الإيمان:**

لغة: الإقرار والتصديق)).

الإيمان لغة يأتي أيضا بمعنى: الطمأنينة ، والأمان ، وسكون القلب ، والخضوع ، والثقة ، وغير ذلك من المعاني.

((شرعا: قول باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويتفاضل أهله فيه)).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٧/ ١٧٠- ١٧١): [ومن هذا الباب أقوال السلف، وأئمة السنة في تفسير الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح... والمقصود هنا أن من قال من السلف الإيمان: قول وعمل، أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية، فزاد ذلك، ومن زاد إتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا بإتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل إنما أرادوا ما كان

مشروعا من الأقوال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبدالله التسترى عن الإيمان ما هو ؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة ؛ لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة].

وقد بسط الشيخ العثيمين – رحمه الله – الكلام في تعريف الإيمان، ومثَّل له فقال في شرح الواسطية (ص/ ٤١٧):

[وأما في الشرع، فقال المؤلف – رحمه الله –: " قول وعمل ".

وهذا تعريف مجمل فصله المؤلف – رحمه الله – بقوله: " قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح ". فجعل المؤلف – رحمه الله – للقلب قولاً وعملاً، وجعل للسان قولاً وعملاً.

أما قول اللسان ؛ فالأمر قيه واضح، وهو النطق، وأما عمله ؛ فحركاته، وليست هي النطق، بل النطق ناشئ عنها إن سلمت من الخرس. وأما قول القلب ؛ فهو اعترافه وتصديقه. وأما عمله فهو عبارة عن تحركه وإرادته ؛ مثل الإخلاص في العمل، فهذا عمل القلب، وكذلك التوكل والرجاء والخوف ؛ فالعمل ليس مجرد الطمأنينة في القلب، بل هناك حركة في القلب. وأما عمل الجوارح ؛ فواضح ركوع، وسجود، وقيام، وقعود، فيكون عمل الجوارح إيماناً شرعاً ؛ لأن الحامل لهذا العمل هو الإيمان... هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة. وشموله لهذه الأشياء الأربعة لا يعني أنه لا يتم إلا بها، بل قد يكون الإنسان مؤمناً مع تخلف بعض الأعمال، لكنه ينقص إيمانه بقدر ما نقص من عمله.

وخالف أهل السنة في هذا طائفتان بدعيتان متطرفتان: الطائفة الأولى: المرجئة، يقولون: إن الإيمان هو الإقرار بالقلب، وما عدا ذلك فليس من الإيمان !!. ولهذا كان الإيمان لا يزيد ولا ينقص عندهم؛ لأنه إقرار القلب، والناس فيه سواء، فالإنسان الذي يعبد الله آناء الليل والنهار كالذي يعصي الله آناء الليل والنهار عندهم، ما دامت معصيته لا تخرجه من الدين !!...

الطائفة الثانية: الخوارج والمعتزلة؛ قالوا: إن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وأنها شرط في بقائه، فمن فعل معصيته من كبائر خرج من الإيمان. لكن الخوارج يقولون:إنه كافر، والمعتزلة يقولون: هو في منزلة بين منزلتين، فلا نقول: مؤمن، ولا نقول: كافر، بل نقول: خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، وصار في منزلة بين منزلتين. هذه أقوال الناس في الإيمان.]

<u>تنبيه هام:</u>

<u>من دخل الإسلام ولم يعمل شيئاً من أعمال الجوارح مع قدرته ولا مانع فهو كافر بالاتفاق.</u>

وقال الشافعى رضى الله عنه في كتاب "الأم" فى باب النية فى الصلاة يحتج بأن لا تجزئ صلاة إلا بنية بحديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى: "إنما الأعمال بالنيات" ثم قال: "وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر".

قال ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (١٤/ ١٢٠): "وهنا أصول تنازع الناس فيها منها أن القلب هل يقوم به تصديق أو تكذيب و لا يظهر قط منه شيء على اللسان و الجوارح و إنما يظهر نقيضه من غير خوف فالذي عليه السلف و الأئمة و جمهور الناس أنه لابد من ظهور موجب ذلك على الجوارح فمن قال أنه يصدق الرسول و يحبه و يعظمه بقلبه و لم يتكلم قط بالاسلام و لا فعل شيئا من واجباته بلا خوف فهذا لا يكون مؤمنا فى الباطن و إنما هو كافر وزعم جهم و من وافقه أنه يكون مؤمنا فى الباطن و أن مجرد معرفة القلب و تصديقه يكون إيمانا يوجب الثواب يوم القيامة بلا قول و لا عمل ظاهر و هذا باطل شرعا و عقلا كما قد بسط فى غير هذا الموضع و قد كفر السلف كوكيع و أحمد وغيرهما من يقول بهذا القول و قد قال النبى صلى الله عليه و سلم إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله الا و هي القلب فبين أن صلاح القلب مستلزم لصلاح الجسد فإذا كان الجسد غير صالح دل على أن القلب غير صالح و القلب المؤمن صالح فعلم أن من يتكلم بالايمان و لا يعمل به لا يكون قلبه مؤمنا حتى أن المكره إذا كان فى اظهار الايمان فلابد أن يتكلم مع نفسه و فى السر مع من يأمن إليه و لابد أن يظهر على صفحات وجهه و فلتات لسانه كما قال عثمان و أما إذا لم يظهر أثر ذلك لا بقوله و لا بفعله قط فإنه يدل على أنه ليس فى القلب ايمان ...".

وقال الشيخ الريس : " وينبغي أن يتنبه لما يلي : ١) أنه لا يستطيع أحد أن يحكم على أحد أنه لم يعمل شيئاً من جنس أعمال الجوارح ، ولكن أهل العلم يذكرون هذه المسألة رداً على المرجئة ، من باب إثبات قوة التلازم بين الظاهر والباطن . والله أعلم .

٢) أن الأحاديث التي فيها إخراج أناس من النار ولم يعملوا خيراً قط ، كحديث أبي سعيد عند مسلم ونحوه لا يصح التمسك بها على عدم كفر تارك جنس عمل الجوارح لأمور أربعة :

١- أن عموم هذا الحديث تدخل فيه أعمال القلوب ، فهل من قائل به أخذاً بهذا العموم ؟ فإن قيل بالإجماع خصص أعمال القلوب فكذلك يقال في جنس أعمال الجوارح .

٢-أن الاستدلال بهذا الحديث من باب الاستدلال بالأمور المحتملات...

٣- أن هناك أحاديث فيها نفي العمل مع ذكر بعض الأعمال في الحديث نفسه ، كحديث أبي سعيد الخدري في الذي قتل مائة نفس ، قالت ملائكة العذاب : لم يعمل خيراً قط " متفق عليه . مع وجود أعمال صالحة عملها كالهجرة ، فصار النفي في هذه الأحاديث ليس نفياً للكل كما أفاده ابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢ / ٧٣٢) .

٤- الاستدلال بهذا الحديث من الاستدلال بمورد النزاع ، وذلك أن المكفر بترك جنس العمل وغير المكفر متفقان أن هذا الرجل لم يقع في أمر كفري ؛ إذ لو كان واقعاً في أمر كفري لما خرج من النار ، فمن ثم المكفر بجنس العمل يقول : إنه لم يترك جنس العمل ؛ إذ لو كان تاركاً له لما خرج من النار ، والمخالف يقول : بلى هو تارك ومع ذلك خرج من النار لأن ترك جنس العمل ليس كفراً .

فلاحظ أن الاستدلال بهذا الدليل استدلال بمورد النزاع إذ كل منهما محتاج لأدلة خارجية في تقرير قوله وبيان هل هو كفر أم لا ؟ ".

((٣. الإسلام:

لغة: الخضوع والانقياد)) والذل. يقال: أسلم واستسلم، أي انقاد.

((اصطلاحا: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله)).

وهذا تعريف الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقال الشيخ العثيمين في شرحه لثلاثة الأصول: " الاستسلام لله بالتوحيد أي بأن يستسلم العبد لربه استسلاما شرعياً وذلك بتوحيد الله عز وجل وافراده بالعبادة، وهذا الإسلام هو الذي يحمد عليه العبد ويثاب عليه، أما الاستسلام القدري فلا ثواب فيه لأنه لا حيلة للإنسان فيه قال الله تعالى: {وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [سورة آل عمران، الآية: ٨٣] والانقياد له بالطاعة وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ لأن الطاعة طاعة في الأمر بفعله وطاعة في النهي بتركه والخلوص من الشرك وأهله البراءة من الشرك أي أن يتبرأ منه، ويتخلى منه وهذا يستلزم البراءة من أهله قال الله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} [سورة الممتحنة، الآية: ٤]".

((والإسلام والإيمان إذا قرن أحدهما بالآخر، فالمقصود بالإسلام الأعمال الظاهرة، وهي الأركان الخمسة، والمقصود بالإيمان: الأعمال الباطنة، وهي أركان الإيمان الستة)) فإذا افترقا اجتمعا وإذا اجتمعا فاقترقا.

((٤. السنة[1]:

لغة: الطريقة)) والسيرة المستمرة، سواء أكانت حسنة أم سيئة. قال الله تعالى: {سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا} [الإسراء: ٧٧] وقال صلى الله عليه وسلم: "من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها بعده، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا". وخصها بعض العلماء بالطريقة الحسنة دون غيرها.

((اصطلاحا: لها عدة معان))

وأما في الاصطلاح: فلها تعريف عام، وتعريفات خاصة، بحسب اصطلاح أهل كل فن أو علم من العلوم:

فهي في الاصطلاح العام: تطلق على كل ما نقل عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة المقتدى بهم. وهو ما جاء في قوله -صلى الله عليه وسلم-: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ". وهي بهذا المعنى تقابل البدعة.

وأما تعريفها في الاصطلاحات الخاصة، فإنها تختلف باختلاف اصطلاح أهل كل فن:

فهي ((- عند علماء أهل الحديث: كل ما أضيف إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خَلق أو خُلقي)) وإنما جعلوها كذلك؛ لأنهم أهل العناية برواية الأخبار.

((- عند علماء الفقه: ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه)) فالسنة بمعنى النافلة والمندوب، أي ما يتقرب به إلى الله تعالى مما ليس بمتحتم على المسلم.

[1] () انظر:حاشية الشيخ شعبان محمد إسماعيل على روضة الناظر، "أفعال الرسول" للأشقر (١/ ١٨).

((- **عند علماء العقيدة: ما يقابل البدعة**)) الاعتقادية كاعتقادات الجهمية، والمعتزلة، والرافضة، وسائر الفرق الضالة المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة ((**فالسنة: طريقة الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين في تلقي مسائل العقيدة**)) والسير عليها اعتقادا وسلوكا ومنهجا.

((**٥. أصول الدين:**

هي مسائل الأصول في دين الإسلام أي الكليات، والأوائل التي انضبط دليلها ونصها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليها الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

وسميت أصول الدين بمعنى أنها هي أوائله و كلياته و ضرورياته، مثل أركان الإيمان الستة، وأركان الإسلام الخمسة)).

جاء في الموسوعة العقدية: "أصول الدين:

وهو مركب من مضاف ومضاف إليه، فهو مركب إضافي، ولا يمكن منطقيا أن نتوصل إلى معنى المركب إلا عن طريق تحليل أجزائه المركب منها، وهي (أصول) و (دين).

فأصول جمع أصل وهو لغة ما يبنى عليه غيره كأساس المنزل.

واصطلاحا: ما له فرع. ....

والدين لغة: هو الذل والخضوع، وشرعا: هو امتثال المأمور واجتناب المحظور، أو طاعة الله ورسوله. فيكون المعنى المركب –أصول الدين – هو المبادئ العامة والقواعد الكلية الكبرى التي بها تتحقق طاعة الله ورسوله والاستسلام لأمره ونهيه.

وهذا المعنى لا يراد به إلا علم العقيدة والتوحيد. انظر: المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لإبراهيم البريكان – بتصرف – ص ١١.

وقد ألف بعض العلماء كتباً في الاعتقاد تحمل اسم أصول الدين: ومن ذلك: كتاب (أصول الدين) للبغدادي (ت: ٤٢٩هـ). و (الشرح والإبانة عن أصول الديانة) لابن بطة (ت: ٣٧٨هـ). و (الإبانة عن أصول الديانة) للأشعري (ت: ٣٢٤هـ). مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة لناصر بن عبد الكريم العقل ".

تنبيه: مسألة تقسيم الدين لأصول وفروع:

جرت عادة العلماء بالتفريق بين مسائل الدين فيعتبرون بعضها أصولا، وبعضها فروعا، وبنى البعض على هذا التفريق عدة مسائل منها: التفريق في العذر بالجهل والخطأ وغيره من العوارض في الفروع، دون الأصول، وجواز التقليد في مسائل الفروع دون الأصول، وقبول خبر الآحاد في الفروع دون الأصول.

وقد نقل عن ابن تيمية نقولا كثيرة في رد هذا التقسيم وتبديعه، ومن تتبع كلامه في هذا التقسيم يجد أنه قد استخدامه في عدة مواضع من كتبه .. ويوجه ما ورد عن تقي الدين من ذكره لهذا التقسيم بأمور منها:

١ – أنه يذكره من باب إفهام الخصم بمراده.

٢ – أنه يقبله من ناحية أنه لا مشاحة في الاصطلاح مع رفضه للوازم الباطلة التي قد تترتب على بعض وجوه التفريق بينهما.

٣ – أنه فرق بينهما كما سيأتي – بإذن الله –.

وأما إنكاره له فيحمل على بعض الوجوه الضعيفة في التفريق نظرا لما يترتب عليها من أحكام شرعية فاسدة كنحو قولهم: أن العاجز عن معرفة الحق في مسائل الأصول غير معذور، بخلاف مسائل الفروع فيعذر فيها بجهله، وقولهم: أنه لا يجوز التقليد في مسائل الأصول بل يجب تحصيلها بالاعتماد على النظر والفكر، وقبولهم لخبر الآحاد في الفروع دون الأصول.

تفريق ابن تيمية بين الأصول والفروع:

والذي يترجح في ضابط التمييز بين الأصول والفروع، هو أن كل ما كان جليلا من المسائل، فهو من الأصول. وما كان دقيقا منها فهو من الفروع علميا كان أو عمليا، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في "مجموع الفتاوى" (٦/ ٥٦): (بل الحق أن الجليل من كل واحد من الصنفين – أي العلمي والعملي – مسائل أصول والدقيق مسائل فروع. فالعلم بوجوب الواجبات كمباني الإسلام الخمس، وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة، كالعلم بأن الله على كل شيء قدير وبكل شيء عليم، وأنه سميع بصير، وأن القرآن كلام الله، ونحو ذلك من القضايا الظاهرة المتواترة، ولهذا من جحد تلك الأحكام العملية المجمع عليها كفر، كما أن من جحد هذه كفر).

قال عبد الرزاق معاش (ص/ ٣٦٧): (وعلى هذا الأساس جاءت مباحث هذا الباب مشتملة على المسائل الجليلة من مسائل العلم والعمل، فاشتملت على التوحيد وأنواعه والولاء والبراء، والمعلوم من الدين بالضرورة. وكل هذه المسائل متعلق إما بالعلميات أو بالعمليات، أو بهما جميعا، وكلها جليلة، فتكون من المسائل الأصول ...).

((وبعض العلماء يطلق على العقيدة اسم أصول الدين، وذلك أن ملة النبي – صلى الله عليه وسلم – تنقسم إلى اعتقاديات وعمليات، والمراد بالعمليات: علم الشرائع والأحكام المتعلقة بكيفية العمل، كأحكام الصلاة والزكاة والبيوع وغيرها، وتسمى الفروع، فهي كالفرع لعلم العقيدة، لأن علم العقيدة أشرف الطاعات، ولأن صحته شرط في قبول العبادات العملية. فإذا فسدت العقيدة لم تقبل العبادة وبطل أجرها)).

لا مشاحة في الاصطلاح:

لا مشاحة في الاصطلاح على أن نسمى مسائل الاعتقاد بعلم أصول الدين شريطة ألا يترتب عليه مخالفة لنص شرعي وألا يتضمّن مخالفةً لأحد الأمور المقررة عند أهل العلم فإنه حينئذٍ يشاحح فيه ولا يقبل.

ولتعلم أن لعلم العقيدة مسميات كثيرة عند: أهل السنة ومن ذلك أنهم أطلقوا عليه: السنة، والتوحيد، والشريعة، وأطلق عليه أهل الكلام؟: علم الكلام، وقد توسط البعض فأطلقوا عليه أصول الدين.

قال الشيخ صالح آل الشيخ في "شرح العقيدة الطحاوية": ((أصول الدِّين) يُعبَّرُ بها عن العقيدة لأنَّ التعبير عن العقيدة صار فيه اشتراك.

فيُعَبَّر عنها -عن العقيدة- عند أهل الحديث بما ذكرنا لك من العبارات: العقيدة، السنة، التوحيد، الشريعة، وعَبَّرَ عنها المخالفون بِعِلْمِ الكلام.

والذين تركوا الفلسفة وما أَصَّلَهُ علماء الكلام في بيان العقيدة إلى ما دَلَّ عليه كلام مُعَظَّمِيهم كالأشعري والماتريدي عَدَلُوا عن (علم الكلام) إلى (أصول الدين).

لأنَّ كلمة أصول الدين فيها مخالفة للفظ علم الكلام المذموم، وفيها تَوَسُطْ ما بين الألفاظ الشرعية (السنة، العقيدة، التوحيد، الشريعة) وما بين قولهم: علم الكلام، فأَتوا بهذا اللفظ الذي هو بيْن اللفظين.

ولهذا نقول هذا اللفظ إن كان دليله ومَأخَذُهُ هو مَأْخَذْ التوحيد والسنة والعقيدة والشريعة فلا بأس باستعماله، ولهذا يستعمله أهل السنة والجماعة، ويريدون به المعنى الصحيح وهو أنَّ (أصول الدين) المقصود بها أصول الإيمان الستة وما يَنْدَرِجُ في ذلك من المسائل الأصلية والتّبَعِيَّة.

فكلمة (أصول الدين) كلمة مُرَكَّبَة مُضَافَةْ، ولذلك يقولون هي مُرِكَّبٌ إضافي؛ أُضيف فيه الأصل إلى الدين.

و (أصول الدين) كلمة معناها العقيدة.

يريدون بكلمة (أصول) ما يخالف الفروع وهي العمليات.

وإذا كان اللفظ محدثا أو مُصطَلحاً عليه فنقول لا مُشَاحَّةَ في الاصطلاح إذا كان لم يختص به أهل البدع، فاستعمله طائفة من علماء الحديث والسنة ويعنون به ما دلت عليه الألفاظ الشرعية؛ العقيدة، السنة، التوحيد، الشريعة).

فالخلاصة أنه يقبل هذا التقسيم إن أردنا بذلك أن أصول الدين هي علم الاعتقاد، والفروع هي العمليات، وذلك لشرف هذا العلم لاشتماله على الركن الأكبر من شروط قبول الأعمال وهو الإيمان بالله، ولاشتماله على التوحيد الذي هو أصل دعوة الرسل وهو سابق على باقي الشرائع فهو أول ما يبدأ به الرسول دعوة قومهم، مع الأخذ في الاعتبار أن مسائل هذا العلم منها ما هو قطعي الثبوت والدلالة، ومنها ما هو ظني فيهما، أو في أحدهما،، وان بعض هذه المسائل يعذر فيها بالجهل، إلى غير ذلك من عدم قبول اللوازم الباطلة التي من أجلها نفى شيخ الإسلام هذا الاصطلاح.

((٦. الشريعة:

تطلق عند العلماء في الأصل على ما سنه الله تعالى لعباده من أحكام عقائدية أو عملية أو خلقية)).

قال د. فارس العزاوي: "الشريعة هي وضع إلهي سائغ لذوي العقول، وقال بعضهم: هي ما شرع الله لعباده من الدين، أي من الأحكام المختلفة، أو هي الأحكام التي شرعها الله لعباده، سواء أكان تشريع هذه الأحكام بالقرآن أم بسنة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- من قول أو فعل أو تقرير، وقيل هي ما شرعه الله لعباده من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات ونظم الحياة، وهي بالاعتبار الأخير تكون شاملة للعقائد والأحكام، على خلاف ما جرى به عرف المتأخرين من قصر الشريعة على الأحكام العملية".

وقد تطلق الشريعة بإطلاق أخص كما قال ابن تيمية رحمه الله على: (العقائد التي يعتقدها أهل السنة من الإيمان، مثل اعتقادهم أن الإيمان قول وعمل، وأن الله موصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه

وسلم، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق ..... إلخ). وقد ألف بعض العلماء كتباً في الاعتقاد تحمل اسم الشريعة، ومن أولها: (الشريعة) لأبي بكر الآجري رحمه الله. و (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة) لابن بطة الحنبلي رحمه الله.

فالشريعة هنا كالسنة، فقد يراد بها ما سنه الله وشرعه من العقائد، وقد يراد بها ما سنه وشرعه من العمل، وقد يراد بها كلاهما.

((ثم شاع إطلاقها في العصر الحديث على ما شرعه الله من أحكام عملية، قال تعالى: {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً} [المائدة ٤٨] ومن المعلوم أن اختلاف شرائع الأنبياء إنما هو في الأمور العملية الفرعية وأما الأحكام الأصلية فهي واحدة في كل الشرائع السماوية)). روى الشيخان عن أبي هريرة مرفوعا: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، في الأولى والآخرة» قالوا: كيف؟ يا رسول الله قال: «الأنبياء إخوة من علات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد، فليس بيننا نبي». قال النووي في "شرح مسلم" (١٥/ ١١٩):

"قال العلماء أولاد العلات بفتح العين المهملة وتشديد اللام هم الإخوة لأب من أمهات شتى وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم أولاد الأعيان قال جمهور العلماء معنى الحديث أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة فإنهم متفقون في أصول التوحيد واما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف واما قوله صلى الله عليه وسلم ودينهم واحد فالمراد به أصول التوحيد وأصل طاعة الله تعالى وإن اختلفت صفتها وأصول التوحيد والطاعة جميعا".

((٧. السلف:

في اللغة: الجماعة المتقدمون، يقال: سلف يسلف: أي مضى. وسلف الإنسان: آباؤه المتقدمون.

((وفي الاصطلاح: أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومن تبعهم وسار على طريقتهم من أئمة الدين من أهل القرون الثلاثة المفضلة)).

قال الدكتور إبراهيم البريكان في "المدخل لدراسة العقيدة" (ص/ ١٩): "السلف في اللغة: المتقدم في الزمن على غيره.

وشرعا: هم الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان إلى يوم الدين ممن أجمعت الأمة على عدالتهم وتزكيتهم ولم يرموا ببدعة مكفرة أو منسقة»، وهم بهذا المعنى تعبير عن شخصية اعتبارية ومنهج متبع، الأصل فيه الصحابة والتابعون وتابعوهم وهي العصور المفضلة، الذين قال فيهم رسول الله : "خير القرون قرني ثم الذي يلونهم ثم الذين يلونهم، وقال الله جل شأنه عنهم: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [التوبة: ١٠٠] وقال: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا } [الأحزاب: ٢٣].

وبذا يعلم عدم صحة دعوى أن السلفية مرحلة زمنية وكفى؛ لأن مذهب السلف يشمل جانبين: جانب القدوة، والمنهج المتبع، فالقدوة هم أصحاب العصور الثلاثة، والمنهج هو الطريقة المتبعة في هذه العصور في الفهم العقدي والاستدلال والتقرير والعلم والإيمان. وبذا يعلم أن الوصف بالسلفية مدح وثناء على كل من اتخذها قدوة

ومنهجاً، وأما الوصف بها دون تحقيق ما دلت عليه فليس بينه مدح وثناء؛ لأن العبرة بالمعاني لا بالمصطلحات اللفظية".

وجاء في "الموسوعة العقدية": " خصائص منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد:

امتازت مناهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الدين أصوله وفروعه بخصائص جعلتها أكثر موافقة للحق وإصابة له، نذكر في هذا الموقع، طرفا منها:

أولا: وحدة المصدر:

وهو أن السلف لا يتلقون أمور دينهم إلا عن مشكاة النبوة، لا عقل ولا ذوق ولا كشف، بل هذه إن صحت كانت معضدة لحجة السمع (الكتاب والسنة) فكيف بمن عارض بها دلائل الكتاب والسنة، وأكثرها جهالات وخيالات فاسدة...

ثانيا: منهج توقيفي: فهو منهج يقوم على التسليم المطلق لنصوص الكتاب والسنة، لا يردون منها شيئا، ولا يعارضونها بشيء، لا بعقل، ولا ذوق، ولا منام، ولا غير ذلك، بل يقفون حيث تقف بهم النصوص، ولا يتجاوزونها إلى إعمال رأي أو قياس أو ذوق .. ملتزمين قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [الحجرات: ١] ..

ثالثا: تجنب الجدل والخصومات في الدين:

للسلف موقف واضح وصريح من الجدل والخصومات في مسائل الاعتقاد، حتى عدوا الكلام والتمحل فيها من البدع، التي شددوا النكير على مقترفيها، وقصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع صبيغ بن عسل مشهورة معروفة ...

رابعا: اتفاق السلف في مسائل العقيدة:

لقد كان من ثمرة صحة المنهج، وصدق قضاياه: أن يتفق أهل السنة على مسائل الاعتقاد مع اختلاف أعصارهم، وتباعد أمصارهم...".

<u>((٨. الجماعة:</u>

<u>**هم الذين اجتمعوا على أمير على مقتضى الشرع، فيجب لزوم هذه الجماعة، ويحرم الخروج عليها وعلى أميرها)).**</u>

قال عمر بن الخطاب: (لا إسلام بلا جماعة، ولا جماعة بلا أمير، ولا أمير بلا طاعة).

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ) [آل عمران: ١٠٢ – ١٠٣].

ذكر ابن جرير –رحمه الله– بأسانيده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا. قال: الجماعة، وذكر بأسانيده أقوالاً أخرى عن السلف في تفسير معنى (حبل الله) منها: القرآن، والإخلاص لله وحده، والإسلام وهذه الأقوال مؤداها واحد، ونتيجتها واحدة، فإن الاعتصام بالقرآن،

والإخلاص لله وحده، والتمسك بالإسلام الصحيح الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلها مما ينتج عنه تآلف المسلمين واجتماعهم وترابطهم وترابطهم وتماسك مجتمعهم.

حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما المتفق عليه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات ... مات ميتة جاهلية)).

– ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني)).

ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (بايعنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم).

تنبيه:

قال الشافعي في " الرسالة" (ص/ ٤٧٥): "

إذا كانت جماعتهم متفرقة في البلدان، فلا يقدر أحدٌ أن يلزم جماعةَ أبدانِ قومٍ متفرقين، وقد وُجِدَت الأبدان تكون مجتمعة من المسلمين والكافرين والأتقياء والفُجَّار، فلم يكن في لزوم الأبدان معنى، لأنه لا يمكن، ولأن اجتماع الأبدان لا يصنع شيئاً فلم يكن للزوم جماعتهم معنى، إلا ما عليهم جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما.

ومن قال بما تقول به جماعةُ المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعةُ المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أُمِرَ بلزومها ..".

جاء في "الموسوعة العقدية": "ونستخلص من كلام الشافعي رحمه الله أن المقصود بلزوم جماعة المسلمين أن يتحقق في الشخص أمران:

الأول:

أن يتبع ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريم. وهذا خاص بأمر الأحكام والمعاملات.

الثاني:

أن يقول بما تقول به جماعتهم. وهذا خاص بأمر الاعتقاد".

((وهم)) أي الجماعة **((ما عليه أهل السنة من الاتباع وترك الابتداع. وهو المذهب الحق الواجب اتباعه والسير على منهاجه. وعلى هذا المعنى يفسر بعض الأئمة الجماعة بالصحابة، أو أهل العلم والحديث، أو الإجماع، أو السواد الأعظم، فهي كلها ترجع إلى معنى واحد هو: ما كان عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه)).** فمن خالف ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته فقد خالف الجماعة.

قال الشيخ العبيلان في "النبذ على شرح السنة للبربهاري" (ص/ ٢٣) تحت عنوان: ما المراد بالجماعة ؟

: "قال الشاطبي – رحمة الله – : فأختلف الناس في معنى الجماعة المرادة في هذه الأحاديث على خمسة أقوال:

أحدها : أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام . الثاني : أن الجماعة أئمة العلماء المجتهدين . الثالث : أن الجماعة في الصحابة على الخصوص . الرابع : أن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من أهل الملل اتباعهم.

الخامس : ما اختاره الطبري الإمام من أن الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير فأمر – عليه الصلاة والسلام – بلزومه ونهى عن فراق الأمة فيما اجتمعوا عليه من تقديمه عليهم أهـ.

وحاصل كلام أهل العلم في معنى الجماعة ، والذي به تجتمع الأدلة أن المراد بها أمران:

الجماعة بمعنى ما اجتمع عليه النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – وأصحابه من عقيدة وعمل ، ولذا جاء في حديث الافتراق : أنهم سألوه عن الناجية ؟

فقال هي : «الجماعة»، وهذا هو المراد بقوله تعالى : {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا} [آل عمران: ١٠٣] ، وبهذا المعنى تعرف أن الفرق والطوائف والجماعات خرجت عن مفهوم الجماعة ، جماعة المسلمين ، فليست عقيدتهم عقيدة النبي – صلى الله عليه وسلم– ولا منهاجهم منهاجه ، ولا سبيلهم سبيله ، فهم خالفوه ، فمنهم من أوغل في المخالفة ، ومنهم دون ذلك ، لكن من خالفهم بشيء فهو ليس معهم ، ففي حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : "إني فرطكم على الحوض من مر علي شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا ليرد علي أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فأقول إنهم مني فيقال لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقا سحقا".

فهؤلاء مسلمون لكنهم يذادون عن حوض النبي – صلى الله عليه وسلم –؛ لأنهم فارقوه في عقيدته و في عمله وفي المنهج الذي أنزله الله على قلبه ليسير عليه.

اجتماعهم على أمير واحد ، والدليل قوله – صلى الله عليه وسلم – : "ثلاث لا يغل عليهن قلب عبد مسلم إخلاص العمل لله ومناصحة أئمة المسلمين ولزوم جماعتهم" على المعنى الثاني هذا فإنه لا يمكن أن يكون المعنى الأول بكماله وتمامه إلا بوجود الجماعة الثانية ، أي أنه لا يمكن أن يكون للمسلمين ظهور وعزة ونصرة مالم يجتمعوا على إمام ، فيمكن أن تكون جماعة لوحدك على المعنى الأول لأنك على ما كان عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه ، لكن لا يمكن أن تتحقق لك الجماعة على المعنى الثاني؛ لأنه لن يحصل لك الظهور والنصر وأنت وحدك ، فمن هنا جاء حرص النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – على الجماعة الثانية هذه ، وهي اجتماع الناس على إمام ، فأمر – عليه الصلاة والسلام – المسلمين بالصبر على جور الأئمة واستئثارهم بالأموال ، وقال : أعطوهم الذي لهم وسلوا الله الذي لكم ، وقيل له : أرأيت إن تأمر علينا أمراء؟ قال : (عليهم ماحملوا وعليكم ماحملتم) ، فنهاهم عن الخروج على الإمام؛ لأن اجتماع الجماعة المسلمة على إمام يحصل به من المصالح ما يفوق كثيرا تلك المفاسد التي تحصل من هذا الإمام...".

فإن لم يكن أمير فتبقى الجماعة بمعنى الالتزام بمنهج السلف الصالح.

((ثانياً: أهمية علم العقيدة ومنهج السلف في تقرير مسائلها:

أولاً: أهمية العقيدة وتصحيحها:

العقيدة الصحيحة هي الموافقة لما بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، و بها تحصل النجاة من عذاب الله والسعادة في الدنيا والآخرة، وإذا كانت هذه العقيدة مخالفةً لما أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه، فهي عقيدة فاسدة، توجب لأصحابها العذاب والشقاء في الدنيا والآخرة)). قال تعالى: {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: ١٣٧]، وكما ورد في الحديث الافتراق أن الناجية هي الجماعة و: "ما أنا عليه وأصحابي" فالباقي المخالف من الفرق النارية.

قال الشيخ ناصر العقل في "مباحث في العقيدة" (ص: ٢٣): "أما أهل السنة فهم – بحمد الله – معتصمون بكتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ، وإجماع السف الصالح وأقوالهم ، وأي معتقد يستمد من غير هذه المصادر إنما هو ضلال وبدعة . فالذين يزعمون أنهما يستمدون شيئاً من الدين عن طريق العقل والنظر ، أو علم الكلام والفلسفة ، أو الإلهام والكشف والوجد ، أو الرؤى والأحلام ، أو عن طريق أشخاص يزعمون لهم العصمة (غير الأنبياء) أو الإحاطة بعلم الغيب (من أئمة أو رؤساء أو أولياء أو أقطاب أو أغواث أو نحوهم) ، أو يزعمون أنه يسعهم العمل بأنظمة البشر وقوانينهم ، من زعم ذلك فقد افترى على الله أعظم الفرية ، ونقول لمن زعم ذلك كما قال الله – تعالى – لمن قال عليه بغير علم: { قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [سورة البقرة ، الآية : ١١١] ".

((والعقيدة السليمة تعصم الدم والمال في الدنيا، وتحرم الاعتداء عليها انتهاكاً بغير حق، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»)).

كلامه يحتمل أمران: أن العقيدة السليمة هي عقيدة المسلمين بخلاف غيرهم من الملل قال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } [آل عمران: ١٩]،وقوله: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: ٨٥].

الثاني يدخل فيه الطائفة الممتنعة أو الباغية إن كان لهم شوكة ومنعة فعقيدتهم فيها دخن من الامتناع عن بعض أمور الإسلام الظاهرة أو مفارقة الجماعة كما قال تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [الحجرات: ٩، ١٠] }والآية دلت على ان الفئة الباغية لم يخرج من الإسلام وان أخوة الدين لا تزال باقية برغم البغي، وهذا هو الراجح أنهما لا يكفران بمجرد الامتناع، أو البغي.

والفئة الباغية أو الممتنعة يحل قتالهم من أجل التأديب وإن لم ينزجروا إلا بالقتل قتلهم ولكنهم لا يجهز على جريحهم ولا يتبع فارهم ولا يغنم مالهم ولا تسبى نساؤهم.

((وهي أيضا تنجي صاحبها من عذاب الله يوم القيامة، قال صلى الله عليه و سلم: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار» والعقيدة الصحيحة يكفر الله بها الخطايا، قال – صلى الله عليه

وسلم -: قال الله تعالى: «يا ابن آدم! لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً؛ لأتيتك بقرابها مغفرة»)).

فالعقيدة السليمة السالمة من الشرك الأكبر والأصغر تنجي صاحبها من النار سواء أكان مخلدا أم مطهرا ويخرج.

((والعقيدة الصحيحة تقبل معها الأعمال، وتنفع صاحبها، قال تعالى {من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة و لنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون} [النحل ٩٧].

والعقيدة الفاسدة تحبط جميع الأعمال، قال تعالى: {لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين} [الزمر٦٥])) الرياء يحبط العمل الذي خالطه واستمر معه، ولم يتب منه صاحبه، ولا يحبط الأعمال التي لم يخالطها، وإنما الذي يحبط جميع الأعمال هو الشرك الأكبر.

((والعقيدة الفاسدة بالشرك تحرم من الجنة والمغفرة، وتوجب العذاب والخلود في النار، قال تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} [النساء ٤٨].

والعقيدة الفاسدة تهدر الدم، وتبيح المال الذي يملكه صاحب تلك العقيدة قال تعالى: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله} [الأنفال٣٩])) وكلامه واضح وفيه تكرار.

((ويجب على كل مسلم أن يتعلم العقيدة الصحيحة، ليعرف معناها وما تقوم عليه، ثم يعرف ما يضادها ويبطلها أو ينقضها من الشرك الأكبر والأصغر. قال تعالى: {فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك} [محمد ١٩].

ومن هنا اتجهت همم أهل العلم إلى تعلم أحكام العقيدة وتعليمها، واعتبروا ذلك من أوليات العلوم، وألفوا فيه مؤلفات خاصة، فصّلوا فيها أحكامها وما يجب فيها، وبينوا ما يفسدها أو ينقضها من الشركيات والخرافات والبدع.

ومما لا شك فيه أنه يجب على المسلم أن يهتم اهتماماً خاصاً بالعقيدة ومطالعة كتبها وما ألف فيها، حتى يكون المسلم على بصيرة من أمره، وحتى يستطيع رد الشبه الموجهة إلى عقيدة أهل السنة.

ثانياً: منهج السلف في تقرير مسائل العقيدة:

يقوم منهج السلف في تلقي العقيدة على عدة أمور:

١. الاعتقاد الجازم بأن مصدري التلقي هما الكتاب والسنة.

وهذه القاعدة لها عدة خصائص:

- الخاصية الأولى: أن يعتقد المسلم أنه لا يتحقق رضى الله عز وجل والفوز بجنته والنجاة من النار إلا بتحكيم الكتاب والسنة والرضى والتسليم بذلك.

- الخاصية الثانية: وجوب تقديم نصوص القرآن والسنة على العقل عند توهم التعارض، وإلا فالحقيقة ليس هناك أي تعارض)).

العقل الصريح الصحيح هو ما يتفق عليه جميع العقلاء، وهذا لا يمكن أن يأتي النقل الشرعي الصحيح بما يضاده.

فإن حصل تعارض في الظاهر فالخلل لا بد أن يكون في أحدهما: إما في العقل فلا يكون صريحا، وإما في النقل فلا يكون صحيحا.

كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو يوافق العقل والفطرة ، ولا يمكن أن يخالف العقل الصحيح النقل الصحيح بحال.

وإنما قد يخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أحيانًا بما تحار فيه العقول ولا تدركه لعجزها وضعفها ، لا بما تحيله العقول ولا تقبله .

قال ابن تيمية في " الرسالة العرشية" (ص: ٣٥): "ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب وغيره كله حق يصدق بعضه بعضا، وهو موافق لفطرة الخلائق، وما جعل فيهم من العقول الصريحة، والقصود الصحيحة، لا يخالف العقل الصريح، ولا القصد الصحيح، ولا الفطرة المستقيمة، ولا النقل الصحيح الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يظن تعارضها: من صدق بباطل من النقول، أو فهم منه ما لم يدل عليه، أو اعتقد شيئا ظنه من العقليات وهو من الجهليات، أو من الكشوفات وهو من الكسوفات إن كان ذلك معارضا لمنقول صحيح وإلا عارض بالعقل الصريح، أو الكشف الصحيح، ما يظنه منقولا عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويكون كذبا عليه، أو ما يظنه لفظا دالا على شيء ولا يكون دالا عليه..".

((- الخاصية الثالثة: أن يعتقد المسلم بأن هذا الدين كامل، كما قال تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم} [المائدة ٣])). فلا يقول أن في الدين بدعة حسنة كما بسط ذلك في غير هذا الموضع.

٢. عدم الخوض في علم الكلام والفلسفة:))

علم الكلام هو علم يقوم على إثبات العقيدة عن طريق العقل والبراهين الجدلية، مستحدثا في ذلك مصطلحات استمدها من الفلسفة، وطرقاً استنبطها منها.

ومن أهم الأسباب التي سُمي هذا العلم من أجلها بعلم الكلام أن أخطر مسألة خاض فيها المتكلمون هي مسألة كلام الله التي تجاوز الأمر فيها حدّ المناظرة وتبادل الرأي إلى الفتنة والقتل والسجن، كما هو معروف في فتنة القول بخلق القرآن.

ومما لاشك فيه أن علم الكلام – وهو علم العقائد القائم على الأدلة العقلية فقط – له تأثر بعلم المنطق، وأنه قد جلب كثيراً من المصائب والمفاسد على العلوم الإسلامية عامة وعلم العقيدة خاصة.

وهذا ما جعل علماء السلف يرفضون هذا العلم ويشنعون على علمائه ويشهرون بهم ويحذرون منهم وقد ألف بعض علماء السلف كتباً بيَّن فيها زيف علم الكلام وبطلانه وفضح أهله والرد عليهم واتفق السلف الصالح – رحمهم الله تعالى – لا سيما الأئمة منهم على ذم علم الكلام والنهي عنه وتجهيل أهله والتحذير منهم . ومن هذه المصنفات: ذم الكلام وأهله للهروي، والغنية عن الكلام وأهله للخطابي، وإلجام العوام عن كلام الكلام للغزالي ، وتحريم النظر في كتب الكلام للموفق ابن قدامة، وغيرها.

قال فخر الدين الرازي:

نهايـــة إقـــــدام العقـــول عقال *** وأكثر سعي العالمين ضـــلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا *** وحاصل دنيانـــــا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا *** سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

((**وهذه القاعدة لها عدة خصائص:**

- الخاصية الأولى: أن السلف حرصوا على طلب العلم النافع، الذي يؤدي إلى العمل الصالح، والذي ينفع صاحبه.

- الخاصية الثانية: أن السلف كان لهم منهج قوي في التعامل مع هؤلاء المبتدعة من أصحاب الكلام والفلسفة)).

جاء في موسوعة الفرق: عن صالح بن أحمد بن حنبل قال: كتب رجل إلى أبي فسأله عن مناظرة أهل الكلام والجلوس معهم فأملى علي جوابه: "أحسن الله عاقبتك ودفع عنك كل مكروه ومحذور، الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم أنهم كانوا يكرهون الكلام والخوض مع أهل الزيغ وإنما الأمر بالتسليم والانتهاء إلى ما في كتاب الله – جل وعلا". وقال: "لا يفلح صاحب كلام أبداً ولا أرى أحداً نظر في الكلام إلا في قلبه دغل".

وعن الإمام الشافعي – رحمه الله – قال: "إياكم والنظر في الكلام فإن الرجل لو سئل عن مسألة الفقه فأخطأ فيه كان أكثر شيء أن يضحك منه عليه، ولو سئل عن مسألة في الكلام فأخطأ فيها نسب إلى البدعة لقد رأيت أهل الكلام يكفر بعضهم بعضا، ورأيت أهل الحديث يخطئ بعضهم بعضا، والتخطئة أهون من الكفر".وقال أيضاً: "لأن يبتلى المرء بكل ذنب نهى الله عنه ما عدا الشرك، خير له من الكلام". وقال أيضاً: "لقد اطلعت من أصحاب الكلام على شيء ما ظننت أن مسلماً يقول ذلك".وقال أيضاً: "حكمي على أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، فيقال هذا جراء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام".

وقال الإمام مالك: "إياكم والبدع، قيل: يا أبا عبدالله ما البدع؟، قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته، وكلامه، وعلمه، وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة وتابعيهم".وقال أيضاً: "كلما جاءنا رجل أجدل من رجل، تركنا ما نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم لجدله".وقال أبو يوسف – من الحنفية –: "من طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب الدين بالكلام تزندق".وقال أبو محمد البربهاري: "واعلم أنها لم تكن زندقة، ولا كفر، ولا شكوك، ولا بدعة، ولا ضلالة، ولا حيرة في الدين، إلا من الكلام، وأهل الكلام".وقال أيضاً: "وإذا أردت الاستقامة على الحق، وطريق السنة قبلك، فاحذر الكلام، وأصحاب الكلام".

وجاء في "السير" في ترجمة يونس بن عبيد: قال خويل: كنت عند يونس فجاءه رجل ، فقال : يا أبا عبد الله تنهانا عن مجالسة عمرو بن عبيد ، وقد دخل عليه ابنك ؟ قال : ابني ! قال : نعم . فتغيظ الشيخ. فلم أبرح حتى جاء ابنه . فقال : يا بني ، قد عرفت رأيي في عمرو ثم تدخل عليه ؟ قال : كان معي فلان . وجعل يعتذر. قال: أنهاك عن الزنا، والسرقة، وشرب الخمر. ولأن تلقى الله بهن أحب إلي من أن تلقاه برأي عمرو وأصحاب عمرو.

((٣. القول بأن إجماع الصحابة حجة يجب الأخذ به، خاصة أن الصحابة كانوا أقرب الناس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فهم الذين شاهدوا التنزيل)).+

قال ابن القيم في "إعلام الموقعين" (٢/ ٩١): "تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين، وأكمل الأمة إيمانا. ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة، من أولهم إلى آخرهم، لم يسوموها تأويلا، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا، ولم يبدو لشيء منها إبطالا، ولا ضربوا لها أمثالا، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، ولم يقل أحد منهم: يجب صرفها عن حقائقها، وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم، وجعلوا الأمر فيها كلها أمرا واحدا، وأجروها على سنن واحد، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع حيث جعلوها عضين، وأقروا ببعضها وأنكروا بعضها من غير فرقان مبين، مع أن اللازم لهم فيما أنكروه كاللازم فيما أقروا به وأثبتوه".

قال ابن تيمية في "منهاج السنة النبوية" (٦/ ٣٣٦): "الصحابة - رضوان الله عليهم - لم يقتتلوا قط لاختلافهم في قاعدة من قواعد الإسلام أصلا، ولم يختلفوا في شيء من قواعد الإسلام: لا في الصفات ولا [في] القدر ، ولا مسائل الأسماء والأحكام، ولا مسائل الإمامة. لم يختلفوا في ذلك بالاختصام بالأقوال، فضلا عن الاقتتال بالسيف، بل كانوا مثبتين لصفات الله التي أخبر بها عن نفسه، نافين عنها تمثيلها بصفات المخلوقين، مثبتين للقدر كما أخبر الله به ورسوله، مثبتين للأمر والنهي والوعد والوعيد، مثبتين لحكمة الله في خلقه وأمره مثبتين لقدرة العبد واستطاعته ولفعله مع إثباتهم للقدر...".

قال الشيخ أبو حازم الكاتب: "كل الإجماعات المعتمد عليها في أبواب العقيدة هي إجماعات الصحابة رضي الله عنهم. وأما ما يرد بعد ذلك من إجماعات أهل العلم في رد بعض البدع المستحدثة في عصرهم كرد بدعة خلق القرآن ونحوها بالإجماع فتكون أصول أقوال أهل السنة موروثة عن فهم الصحابة لنصوص القرآن والسنة .بمعنى أن الصحابة رضي الله عنهم يجمعون على هذا المعتقد ضمناً وإن لم ينقل بنصه عنهم".

((كما أنهم لم يختلفوا في مسألة واحدة من مسائل العقيدة)).

أي من مسائل الأصول وهي قطعية الثبوت والدلالة في العلميات بخلاف مسائل الفروع في العلميات فقد اختلفوا في تفضيل عثمان على علي ورؤية النبي لربه في المعراج وغيرها ..

((٤ - أن أهل السنة والجماعة لم يكونوا يتعصبون لأي شخص سوى الرسول صلى الله عليه وسلم، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا مبني على أن العصمة ليست لأحد بعد الأنبياء)).

قال أبو حنيفة: " إذا قلتُ قولاً يخالف كتاب الله تعالى، وخبر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فاتركوا قولي ".

وقال مالك: " ليس أحد - بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلا ويؤخذ من قوله ويترك؛ إلا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ".

قال الشافعي: " كل ما قلت؛ فكان عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلاف قولي مما يصح؛ فحديث النبي أولى، فلا تقلدوني ".

قال أحمد: " لا تقلدني، ولا تقلد مالكاً، ولا الشافعي، ولا الأوزاعي، ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا ". وفي رواية: " لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء، ما جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه؛ فَخُذ به، ثم التابعين بَعْدُ؛ الرجلُ فيه مخيَّر ".

((٥ – أن أهل السنة والجماعة حينما يقدمون النصوص الشرعية على العقل فهم يعطون العقل دوره، وينزلونه منزلته، ويقررون أن العقل الذي يوافق النصوص هو عقل صحيح كامل ويسمى العقل السليم.

كما قال الشيخ محمد بن عثيمين– رحمه الله –: العقل السليم هو الذي خلص من الشبهة والشهوة.

وفي ذلك رد على من يذم أهل السنة ويقول: إنهم لا يحترمون العقل)).

مسألة التقبيح والتحسين العقليين:

وهذه المسألة يعبر عنها بأن التكليف بالأمر والنهي ووجوب الواجبات وتحريم المحرمات هل يثبت بالعقل؟ وقد اختلفت فيها الأقوال إلى ثلاثة:

القول الأول:

أن حُسْن الأشياء وقُبْحها، والثواب عليها والعقاب يعرف من جهة الشرع، وهو قول جماهير الأشاعرة.

القول الثاني :

أن حُسْن الأشياء وقُبْحها، والثواب عليها والعقاب يعرف من جهة العقل، وهو قول المعتزلة والرَّافضة.

القول الثالث :

أن حُسْن بعض الأشياء وقُبْحها قد يعرف من جهة العقل دون ترتيب ثواب أو عقاب على ذلك، وهو قول أهل السنة والجماعة من السلف ومن تبعهم، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم واختاره الزركـــشي من الشافعية، وهو قول الماتريديَّة والكرَّاميَّة.

كما أن الأصل في معرفة الإنسان لربه – سبحانه وتعالى – أنها فطرية لا تحتاج إلى نظر واستدلال، وهذه المعرفة تتم بالوحي، ومن طرق معرفة الله تعالى التي لا تتناقض مع الفطرة والوحي دليل العقل، غير أنه قليل الجدوى صعب المنال، وعليه فإنكار القول بأن الله تعالى يعرف بالعقل فيه نظر، وأيضاً قصر المعرفة علي العقل والنظر والاستدلال قول باطل، والحق واسطة بينهما.

((٦. القول بأن خبر الآحاد إن ثبت فهو حجة في العقيدة)).

الأدلة على وجوب الأخذ بخبر الآحاد في العقيدة[٢]:

١ – قوله تعالى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة آية:١٢٢].

---

٢) انظر حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام لفرحانة بنت علي شويتة.

وجه الدلالة: أن الطائفة تطلق على الواحد فما فوق في اللغة.

والإنذار: الإعلام بما يفيد العلم، وهو يكون بتبليغ العقيدة وغيرها مما جاء به الشرع، وإذا كان الرجل يؤخذ بما يخبر به من أمور دينه، كان هذا دليلاً على أن خبره حجة، والتفقه في الدين يشمل العقائد والأحكام، بل إن التفقه في العقيدة أهم من التفقه في الأحكام.

٢ - قول الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: "إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ... الحديث. وهو نص في المطلوب؛ إذ إن فيه دعوة صريحة إلى التوحيد أي الإيمان بالله والرسول والإيمان بالله ورسوله من أصول العقائد وبالتالي فخبر الآحاد حجة في العقائد.

٣ - عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها، فرب حامل فقه غير فقيه وَرُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه".

وهذا الحديث هو الحديث الأول من جملة أحاديث ساقها الشافعي للاحتجاج بأخبار الآحاد في العقائد.

وهذا الحديث عام متناول لأحاديث الأعمال والأحكام والعقائد، ولو لم يكن الإيمان بما يثبت عنه صلى الله عليه وسلم من عقائد بأخبار الآحاد واجباً لما كان لهذا الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ حديثه مطلقاً معنى.

٤ - ما تواتر من إرسال رسول الله صلى الله عليه وسلم رسله وسعاته إلى الآفاق والملوك المجاورين لجزيرة العرب والقبائل لتبليغ الرسالة، وليقيم بهم الحجة على من بعثوا إليهم ومن المعلوم أن أهم ما بعث به هؤلاء هو الدعوة إلى التوحيد.

٥ - دليل عقلي:

إن القول بعدم قبول خبر الآحاد في العقائد يستلزم رد السنة؛ لندرة المتواتر، ولأن كل حكم شرعي عملي يقترن به عقيدة ولا بد أن ترجع إلى الإيمان بأمر غيبي لا يعلمه إلا الله تعالى، ولولا أنه أخبرنا به في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم لما وجب التصديق والعمل ولذلك لم يجز لأحد أن يُحَرِّمَ أو يحلل بدون حجة من كتاب أو سنة، فالأحكام العملية تتضمن الخبر من الله بأنه شرع كذا أو أوجبه ورضيه دينا، فشرعه ودينه راجع إلى أسمائه وصفاته، ولم يزل الصحابة والتابعون وتابعوهم وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات والقدر والأسماء والأحكام ولم ينقل عن أحد منهم ألبتة أنه جَوَّز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الأخبار عن الله وأسمائه وصفاته.

وفرق البعض بين ثبوت الأحكام الشرعية بخبر الواحد وثبوت العقيدة به، وقال الشيخ الألباني في الرد عليهم في رسالته: "الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام" (ص: ٤٩): "إن القائلين بأن حديث الآحاد لا تثبت به عقيدة يقولون في الوقت نفسه بأن الأحكام الشرعية ثبتت بحديث الآحاد وهم بهذا قد فرقوا بين العقائد والأحكام فهل تجد هذا التفريق في النصوص المتقدمة من الكتاب والسنة كلا وألف كلا بل هي بعمومها وإطلاقاتها تشمل العقائد أيضا وتوجب اتباعه صلى الله عليه وسلم فيها لأنها بلا شك مما يشمله قوله "أمرا" في

آية {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} [الأحزاب: ٣٦] وهكذا أمره تعالى بإطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم والنهي عن عصيانه والتحذير من مخالفته وثناوه على المؤمنين الذين يقولون عندما يدعون للتحاكم إلى الله ورسوله: سمعنا وأطعنا كل ذاك يدل على وجوب طاعته واتباعه صلى الله عليه وسلم في العقائد والأحكام. وقوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ} [الحشر: ٧] فإنه "ما" من ألفاظ العموم والشمول كما هو معلوم. وأنت لو سألت هؤلاء القائلين بوجوب الأخذ بحديث الآحاد في الأحكام عن الدليل عليه لاحتجوا بهذه الآيات السابقة وغيرها مما لم نذكره اختصارا وقد استوعبها الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في كتابه "الرسالة" فليراجعها من شاء فما الذي حملهم على استثناء العقيدة من وجوب الأخذ بها وهي داخلة في عموم الآيات؟ إن تخصيصها بالأحكام دون العقائد تخصيص بدون مخصص وذلك باطل وما لزم منه باطل فهو باطل".

((ولأجل هذه القواعد المتقدمة التي قام عليها منهج السلف في تلقي مسائل العقيدة، تميز أهل السنة عن غيرهم بأمور منها:

١. أنهم ليس لهم لقب يلقبون به سوى أهل السنة ونظائره مثل السلف والجماعة ونحو ذلك)).

قال د. غالب عواجي في " فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها" (١/ ٩٦): "أطلقت على أهل السنة أسماء وألقاب صحيحة تدل على حالهم وتطابق معتقداتهم هي كالرحيق بالنسبة لكل مؤمن صحيح العقيدة وكالشجى في حلق كل مبتدع مخرف وهي أسماء مشرقة أخذت من أوصافهم التي وردت على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن أحوالهم وسلوكهم.

فمن شكك فيها أو ردها فإنما ذلك لمرض في قلبه وعقيدة باطلة في نفسه كما هو شأن أهل الباطل في مقاومتهم دائماً للحق وأهله والتشنيع عليهم وذكرهم بالألقاب والأسماء المنفرة الكاذبة.

وأسماء السلف الصحيحة التي أطلقت عليهم هي:

١- أهل السنة والجماعة.

٢- السلف الصالح.

٣- الفرقة الناجية.

٤- أهل الحديث والسنة.

٥- أهل الأثر.

٦- الطائفة المنصورة".

((٢. تميزوا بوسطيتهم بين الفرق تبعاً لتوسط الإسلام بين الملل)).

وقال د. غالب عواجي أيضا: (١/ ١٧٦): "

بيان وسطية أهل السنة في مسائل الاعتقاد وسلامتهم من ضلالتي الإفراط والتفريط:

المتتبع لمنهج السلف يجد أن الله تعالى قد هداهم إلى الوسط في عقيدتهم فلا إفراط ولا تفريط قال تعالى: {وَكَذَلِكَ

جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} أي خياراً عدولاً وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((خير الأمور أوسطها)) ويتبين فيما يلي:

١ – وسطيتهم بين الأمم الكافرة:

– وسطيتهم بالنسبة للإيمان بذات الله تعالى:

فإن الله تعالى في عقيدة أهل السنة لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء فذاته بخلاف ما يتصور العقل، له ذات تليق بجلاله وله صفات تليق بجلاله وله أسماء تليق بجلاله. ولقد ضلت سائر الملل عن هذا المنهج فبعضهم وصف ذات الله تعالى بأنها كذوات خلقه وهم اليهود، والمشبهة وبعضهم وصفوا غير الله تعالى بذات الله كالنصارى حينما ادعوا أن المسيح ابن الله وأنه إله.

– وسطيتهم في عبادة الله تعالى:

سلك أهل السنة مسلكاً صحيحاً يؤيده الكتاب والسنة حيث عبدوا الله بما شرع لهم في كتابه أو في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم لا يزيدون في عبادتهم ولا ينقصون كما شرع لهم ربهم.

أما اليهود –وهم أهل تفلت وتحريف واستكبار– نجدهم من أشد الناس ابتعاداً عن العبادة حسب ما شرع الله لهم ومن أشد الناس كسلاً عنها، فقد أمرهم الله أن يدخلوا الباب سجداً فدخلوه زحفاً على أعقابهم وأمرهم أن يقولوا حطة فقالوا حنطة بل وأمرهم أن يدخلوا فلسطين فقالوا لموسى: ((اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون)) بل وأمرهم الله تعالى أن يعبدوه فعبدوا العجل والحية نخشتان وآلهة أخرى.

وأما النصارى فهم بضد اليهود غلوا في العبادة والتقرب إلى الله حتى خرجوا عن منهج الله وأمره بتزيين الشيطان لهم وحرموا على أنفسهم ما أحل لهم وابتدعوا رهبانية لم يستطيعوا القيام بها.

– وسطيتهم في صفات الله تعالى بين أصحاب الأديان المحرفة:

من أصول أهل السنة والجماعة في باب الصفات:

تؤمن واليقين بجميع أسماء الله وصفاته كما وردت بألفاظها الشرعية نفياً وإثباتاً بينما نجد المشركين وأهل الكتاب في غاية البعد عن التزام ذلك.

وأما اليهود فقد وصفوا الله تعالى بصفات النقص والذم ومثلوه بخلقه وقد أخبر عزّ وجلّ عنهم أنهم وصفوه بالبخل قال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} ووصفوه بالفقر كما قال تعالى عنهم {لقد كفر الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ستكتب شهادتهم} ووصفوه في التوراة وفي التلمود بأنه يتعب ويندم ويبكي ويلهو مع حواء ويعقد شعرها ويلعب مع السمكة الكبيرة وأنه يقرأ التوراة كل يوم وقبل النوم وأنه لا يعرف الأشياء إلا بعد وقوعها وأنه مثل الإخطبوط وأنه يكتب بالقلم ووصفوه بالنسيان الكثير والوقوع في الأخطاء والتوبة منها وغير ذلك من الصفات التي ملئت بها التوراة مما لا يتسع المقام لبسطه هنا. ولم ينتشر التشبيه والتجسيم إلا من قبل اليهود المفترين.

وأما النصارى فإنهم في صفات الله تعالى على وفق ما عليه الوثنيون كما ادعوا أن لله ولداً وصاحبة –المسيح وأمه– وأن المسيح يجلس إلى جوار أبيه وأنه وحيد الله تعالى وغير ذلك من عقائدهم الباطلة .

٢- وسطيتهم بين الفرق التي تنتسب إلى الإسلام:

- وسطيتهم بالنسبة لأسماء الله تعالى وصفاته بين الفرق المنتسبة إلى الإسلام:

أهل السنة يؤمنون بأن لله أسماء وصفات حسنى وصف بها نفسه في كتابه الكريم وعلى لسان نبيه العظيم آمن بها السلف كما وردت من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل.

أما أهل التعطيل، فقد كان إيمانهم بصفات الله تعالى على أسوأ الاضطراب فقد نفوا عن الله تعالى اتصافه بالأسماء أو بالصفات بحجة تنزيه الله تعالى عن التشبيه كما قرره زعيمهم الجهم بن صفوان في أن إثبات أي صفة أو اسم لله تعالى فيه مشابهة لله بخلقه وهو كفر حسب زعمه فيجب عدم إثباته.

ومذهب الجهمية هذا كان أصرح من مذهب المعتزلة الذين أثبتوا أسماء الله تعالى ولكنهم نفوا صفاته ونفوا أن تدل الأسماء على معان ومدلولات وقد أرجعوا الصفات إلى الذات فقالوا سميع بذاته عليم بذاته ... الخ.

وهذا الموقف الباطل يلحقهم بالجهمية إذ أن النتيجة واحدة وهي نفي الصفات ومدلولاتها.

وأما الأشاعرة فقد تناقض موقفهم حيث أثبتوا الأسماء وبعض الصفات ثم أولوا أو نفوا بعضها الآخر أو أرجعوها إلى الإرادة والمشيئة لا غير ومعلوم أن ما نفوه عن الله تعالى يعتبر تعطيلاً ويلزمهم أن يقولوا فيما نفوه مثل قولهم فيما أثبتوه وإلا كان إثباتهم ونفيهم تحكماً بلا دليل صحيح.

وأما المشبهة ومذهبهم أن الله عزّ وجلّ في صفاته وأسمائه مثل الإنسان تماماً.

-وسطيتهم في الحكم على أصحاب المعاصي:

عند أهل السنة حكم العاصي في الدنيا أنه لا يخرج عن اسم الإسلام ويقال له مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وأما في الآخرة فحكمه إلى الله تعالى إن شاء غفر له وإن شاء عاقبه ولا يخلد في النار مثل سائر الكفار إن دخلها، وهذا هو الذي تجتمع عليه النصوص من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

أما غير أهل السنة فكانوا بين إفراط وتفريط في الحكم على العاصي فقد حكم عليه بعضهم كالخوارج بأنه كافر في الدنيا ومخلد في الآخرة في النار أو هو في منزلة بين المنزلتين في الدنيا فلا هو مؤمن ولاهو كافر ولكنه في الآخرة مخلد في النار، وهذا حكم المعتزلة وقابلت الجميع المرجئة فحكموا بإيمانه إيماناً كاملاً في الدنيا وهو في الآخرة مع النبيين الصديقين والشهداء.

وحجة الجميع تتفق في أنهم يرون أن الإيمان كشيء واحد لا يتبعض فلا يزيد ولا ينقص فإما يكون الشخص عاصياً -والعاصي ليس بمؤمن- وإما أن يكون طائعاً -وهو المؤمن- وحكم الكافر والمؤمن معروفان في الإسلام.

- وسطيتهم في الإيمان بالقدر:

لأهل السنة موقفهم الذي يعضده النقل معاً فقد تأكد في مذهبهم أن القدر سر الله تعالى وأن الواجب على المسلم الإيمان به دون تعمق لما وراء الأدلة وترك الاحتجاج به على فعل المعاصي والإيمان بتقدير الله تعالى لكل الأمور بمشيئته، وأن الله هو الخالق لكل شيء بما فيها أفعال العباد ولكنها لا تسمى فعل الله بل هي أفعال العباد والله هو

الذي أقدرهم على فعلها ولو شاء لما فعلوها كما قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا} وهي مشيئته الكونية العامة وهذا بخلاف ما تقوله الجبرية الذين يرون أن الله هو الخالق لها ثم يضيفون قولهم الخاطئ أن العباد لا قدرة لهم على الفعل وإنما هم كريشة في مهب الريح وأن الخالق والفاعل معاً هو الله تعالى ومن هنا نشأ
خطأهم، وكذلك خطأ القدرية الذين زعموا أن العبد هو الخالق لفعله وقدرته وإرادته دون أي تدخل من الله تعالى ومن هنا وصفوا بأنهم يثبتون خالقين مع الله تعالى مشابهة للمجوس، وأهل السنة توسطوا في ذلك كما عرفت سابقاً فأثبتوا مشيئة الله الكونية والشرعية وقدرة الله على كل شيء وأثبتوا أن العبد له قدرة ومشيئة لا تخرج عن مشيئة الله تعالى وقدرته وهو الفاعل للفعل حقيقة.

-وسطيتهم في موقفهم من الصحابة رضي الله عنهم

وقف أهل السنة بالنسبة للصحابة بين غلو الغالين وتقصير المخالفين وقد تميز موقفهم منهم بأمور كثيرة منها:

١ – أن الصحابة هم خير البشر بعد محمد صلى الله عليه وسلم.

٢ – الاعتراف بكل ما ذكر عنهم من الفضائل في القرآن والسنة وأقوال أهل العلم.

٣– السكوت عما شجر بينهم من اختلاف وفتن داخلية ولا نذكرهم إلا بخير.

٤ – الشهادة بالجنة لمن شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بها أو جاءت في القرآن.

٥– الاعتراف بأنهم كلهم على فضل ولكنهم يتفاضلون فيما بينهم وأن أفضلهم على الإطلاق أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم جميعاً دون انتقاص لفضل كل منهم وأن خلافة كل واحد منهم ثابتة على النهج الصحيح وأن من أسلم قبل الفتح وبيعة الرضوان أفضل ممن أسلم بعد ذلك.

٦ – الاقتداء بهم والتحلي بفضائلهم واقتفاء آثارهم.

٧– لا نرفع أحداً منهم فوق منزلته ولا ندعي له فضائل لم تثبت وهم في غنى عن مدحهم بما لم يثبت بهم.

٨– الإيمان بأن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم طاهرات مطهرات وأنهن أمهات المؤمنين ويؤمنون بوجوب محبة أهل البيت ويقدمونهم وفق وصية النبي صلى الله عليه وسلم بهم دون إفراط ولا تفريط.

٩– لا يدّعون عصمة أي شخص كائناً من كان مع الاعتقاد أن من جاء بعدهم لا يصل إلى جزيل ما أعد الله لهم من الثواب لأن مُدَّ أحدهم خير من إنفاق مثل جبل أحد ذهباً من غيرهم.

١٠ – لا يكفرون أحداً من الصحابة ولا اعتبار للمرتدين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

١١ – يتولون الصحابة كلهم ويترضون عنهم بخلاف الرافضة وغيرهم من الفرق الضالة وبهذه المزايا التي اتسم بها أهل السنة كانوا وسطاً فيما يتعلق بجانب الصحابة وستتضح وسطيتهم من خلال ما تلاحظه في مواقف المخالفين لهم فيما يأتي:

فالخوارج كفّروا الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكفروا كل من شارك في قضية التحكيم وتبرؤوا منهم بل وأوجبوا لهم النار كما تبرؤوا من الحسن والحسين وكفروا الخليفة ذي النورين أيضاً رضي الله عنه وكذا طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم جميعاً وهذا الموقف منهم غاية في الغلو المذموم وجرأة ممقوتة على

هؤلاء الأخيار وقد تبعهم في هذا الموقف الشنيع بعض كبار المعتزلة كواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد حيث قالوا بفسق أصحاب الجمل وعلي ومعاوية ومن معهم من أهل صفين ومن عثمان كذلك رضي الله عنه، وهذا قول عمرو بن عبيد وأما شيخه واصل بن عطاء فقد قال بفسق أحد الفريقين دون تعيين كما تتبرأ المعتزلة من معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما وبالجملة فإن المعتزلة كان موقفهم من الصحابة قريب من مواقف الخوارج في غلوهم.

وأما الرافضة فقد كان موقفهم من صحابة نبي الله صلى الله عليه وسلم سبة وعاراً فقد وصلوا في حمقهم وغبائهم أن شتموا الصحابة بل وتقربوا بسبهم إلى الله تعالى.

ولقد غلا الرافضة غلواً فاحشاً في حق علي رضي الله عنه ورفعوه إلى منزلة أحرق من قال بها في حياته وهي تأليههم له.

فقد فضلوه على سائر الصحابة وادعوا أنه سيرجع قبل يوم القيامة وأنه خير الأوصياء وأنه لم يجمع القرآن كما أنزل إلا هو.

وأن أهل بيته كلهم من الأئمة المعصومين عن الذنوب والخطايا وأنهم يعلمون الغيب وأنهم لا يموتون إلا بإذنهم وإرادتهم وأنهم أفضل من الأنبياء والمرسلين وأنهم يوحى إليهم وغير ذلك من غلوهم الفاحش المدون في كتبهم يتوارثونه خلفاً عن سلف كما في كتابهم الكافي للكليني وغيره.

وفي المقابل صبوا جام غضبهم على الخلفاء الثلاثة وأم المؤمنين عائشة وحفصة وسائر الصحابة وأنهم حسب افترائهم ارتدوا عن الإسلام .

((٣. تميزوا بأنهم على الحق، لا يتنقلون ولا يتغيرون)).

فقواعدهم ثابتة مستمدة من القرآن والسنة فلا يتنقلون بين الفرق ولا يتلونون بل هم ثابتين على ثوابتهم ومناهجهم كما إذا خالطت حلاوة الإيمان بشاشة القلوب فلا يمكن للعبد أن يتخلى عن دينه أو أن يرتد عنه مهما كانت الأسباب ومهما بلغت المغريات ومهما تنوعت طرق الإغراء أو الإغواء؛ ولذلك قال هرقل لأبي سفيان ـ كما في البخاري: "وسألتك هل يرتد أحد منهم سخطا على دينه بعد أن يدخل فيه؟ فأجبت: لا.. وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب."

((٤ . تميزوا بحبهم للرسول صلى الله عليه و سلم ولسنته وموالاتهم لأهلها، ولذلك فهم أكثر الطوائف تمسكا بالسنة، ومن حبهم للسنة، حرصهم على تنشئة الشباب على حب السنة وتعلمها وتطبيقها)).

قال الشيخ عبد الرؤوف عثمان في خاتمة رسالته " محبة الرسول بين الاتباع والابتداع": " محبة الرسول صلى الله عليه وسلم هي ميل قلب المسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ميلا يتحقق فيه إيثاره على كل من سواه من البشر.

أن المحبة أمر زائد على الاتباع، إذ هي بمنزلة الباعث والدافع إلى هذا الاتباع.

أن المحبة ركن أساسي من أركان الإيمان لا يصح الإيمان بدونه.

أن التعبير الحقيقي عن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم يتمثل في صدق الاتباع له، والاقتداء به وتعظيمه وتوقيره والقيام بحقوقه ومحبة ما يحبه وبغض ما يبغضه.

أن بين المحبة والاتباع علاقة مطردة إذا لا يوجد أحدهما بدون وجود الآخر فمن حقق الاتباع وبذل الوسع في معرفة هدي النبي صلى الله عليه وسلم فقد صدق في المحبة.

أن بين المحبة والغلو بونا شاسعا. فالمحبة أمر شرعي والغلو مذموم ومنهي عنه شرعا، ولا يمكن اتفاقهما.

أن من غلا في الرسول صلى الله عليه وسلم فهو متشبه بالنصارى في غلوهم في عيسى عليه السلام.

أن بداية الغلو في هذه الأمة كانت لدى الشيعة وعنهم انتقل إلى الصوفية.

كان الحلاج أول صوفي اشتهر عنه الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم منطلقا من مذهبه في حلول الإله في الإنسان. وهو في هذا يشبه النصارى في غلوهم في عيسى عليه السلام.

كان مقتل الحلاج تحولا كبيرا في من أتى بعده من الصوفية عامة وغلاتهم خاصة، وتمثل ذلك في:

- استتارهم بمذهبهم، ومحاولة إخفاء حقيقته عن عامة المسلمين.
- اتخاذ الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم ذريعة إلى نشر العقائد الهدامة في صفوف الأمة بدعوى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم.

كان ابن عربي من أكبر السائرين على درب الحلاج في محاولة الخروج على الإسلام.

يعد ابن عربي صاحب مذهب وحدة الوجود في المحيط الصوفي، إذ بذل في سبيل نشره ودعوة الناس إليه كل ما في وسعه.

أن ابن عربي قد غلا في الرسول صلى الله عليه وسلم ورفعه إلى مرتبة الألوهية بمذهبه في الحقيقة المحمدية المساوية للحقيقة الإلهية.

إن غلو ابن عربي ومثله الحلاج وغيرهما من غلاة الصوفية لم يكن نتيجة حب للرسول صلى الله عليه وسلم، بل كان زندقة وإلحادا وكيدا لهذا الدين.

كان للغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم أكبر الأثر في إفساد العقيدة والعبادة لدى أكثر الصوفية، وتمثل ذلك في ضلال معتقدهم في الله ورسوله.

إن الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم محرم شرعا لما يفضي بصاحبه إلى الخروج من الدين.

من اعتقد مقالة غلاة الصوفية كالقول بالحقيقة المحمدية، وأن الرسول مخلوق من نور، وأنه كان موجودا بحقيقته قبل خلق السماوات والأرض. وأن الكون خلق من نوره، أو أنه روح الله المنفوخ في آدم إلى غير ذلك من مقالات الغلاة. من اعتقد بمثل هذا فقد كفر بعد قيام الحجة عليه.

إن من آثار الغلو ظهور البدع الاعتقادية والعملية.

إن البدعة أمر مذموم شرعا بلا استثناء إذ كلها ضلالة.

إن القول بتقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة قول غير مستقيم شرعا.

اتخذ كثير من الصوفية اختلاف العلماء في تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة ذريعة إلى ترويج بدعهم تحت ستار اسم البدعة الحسنة.

إن الصوفية وبالأخص غلاتهم من أكثر الناس ابتداعا وخروجا على السنة.

استغل كثير من الصوفية دعوى المحبة في إظهار كثير من البدع. مثل الحضرات والموالد والتوسل البدعي والشركي وصيغ الصلوات المبتدعة.

إن للابتداع آثارا سيئة على المبتدعة، وتمثل ذلك في حرمانهم من الهدى وقضاء أعمارهم في التيه والضلال ثم ما ينتظرهم من أليم العقاب، إذا لم يتوبوا ويرجعوا إلى حظيرة السنة والجماعة.

كما كان الغلو سببا من أسباب الانحراف بالمحبة عن وضعها الشرعي. فإن الجفاء والتقصير في محبة الرسول صلى الله عليه وسلم يعتبر مرضا خطيرًا يجب معالجته عند بعض المسلمين.

إن التوسط في أمر المحبة لن يكون إلا بصدق الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم قولا وعملا تأدبا بآدابه وتخلقا بأخلاقه صلى الله عليه وسلم".

((ثالثاً: مصادر التلقي في العقيدة:

١ . القرآن الكريم: وهو كلام الله تعالى، المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز بلفظه ومعناه، المتعبد بتلاوته، المفتتح بالفاتحة والمختتم بالناس، منزل غير مخلوق، ويسمى القرآن والمصحف.

٢ . السنة.

– تعريف علماء الحديث لها: كل ما أضيف إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلْقي أو خُلقي سواء كان قبل النبوة أو بعدها.

– تعريف علماء الفقه: ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه.

– تعريف علماء العقيدة: بما يقابل البدعة، فالسنة: هي منهج السلف في العقيدة، أي ما عليه الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين في أمور العقيدة.

٣. الإجماع.

لغة: العزم والتصميم، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «لا صيام لمن لم يجمع من الليل». والمعنى الآخر: الاتفاق كما في قوله تعالى: {فأجمعوا أمركم}. [يونس٧١].

شرعاً: اتفاق أهل الحل والعقد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاة المصطفى صلى الله عليه وسلم في أي عصر من العصور على أمر ديني.

– ومن الأدلة على حجية الإجماع: قوله تعالى: {ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً}، وقوله صلى الله عليه وسلم:» إن الله أجاركم من ثلاث وذكر منها: ألا تجتمعوا على ضلالة ... »وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة ويد الله مع الجماعة».

٤. القياس.

إلحاق فرع بأصل لعلة جامعة بينهما، ويكون الأصل منصوصاً عليه في القرآن والسنة، فننظر في الفرع ونحاول أن نعقد المقارنة بينهما في العلة الجامعة بينهما)).

وكل هذا سبق شرحه في شرح مقرر أصول الفقه وبعضه في شرح المصطلح فلا داعي لتكراره.

((- ويضاف كذلك إلى المصادر (العقل).

وهو القوة الغريزية التي تكون في دماغ الإنسان، وبه يعرف الأمور الضرورية))

العقل عرفه الشنقيطي في "العذب النمير" (٢/ ٥٠٢) بأنه: "نور روحاني تدرك به النفس العلوم الضرورية والنظرية".

وقال أيضا (١/ ١٥٩): "العقلُ محلُّه القلبُ، كما نَصَّ عليه الكتابُ والسنةُ. لا الدماغُ كما يزعمُه الفلاسفةُ. وبحوثُ العقلِ بحوثٌ فلسفيةٌ لاَ طائلَ تَحْتَهَا.

فللفلاسفةِ في بحثِ العقلِ ما يزيدُ على مائةِ طريقٍ، من جهةِ البحثِ في العقلِ هل هو جوهرٌ أو عَرَضٌ؟ والكلامُ على العقولِ العشرةِ، والعقلِ الفياضِ. كله بحثٌ فلسفيٌّ لا طائلَ تَحْتَهُ.

وإنما قال جل وعلا: {تَعْقِلُونَ} أي: تُدْرِكُونَ بعقولِكم؛ لأن العقلَ نورٌ رُوحَانِيٌّ تُدْرِكُ به النفسُ العلومَ الضروريةَ والنظريةَ. وقد دَلَّ القرآنُ على أن محلَّه القلبُ لا الدماغُ؛ لأن الله يقول: {فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} [الحج: آية ٤٦] ولم يقل: أَدْمِغَةٌ يَعْقِلُونَ بها. ويقول: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ} [ق: آية ٣٧] ولم يَقُلْ: لمن كان له دِمَاغٌ. وفي الحديثِ الصحيحِ عن النبيِّ - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ» ولم يقل: ألا وهي الدماغُ.

وَجَمَعَ بعضُ العلماءِ بينَ قولِ أهلِ السنةِ وقولِ الفلاسفةِ بأن قالَ: إن أصلَ العقلِ في القلبِ كما في الكتابِ والسنةِ، إلاَّ أَنَّ نورَه يتصلُ شعاعُه بالدماغِ. واستدلُّوا على هذا بدليلٍ استقرائيٍّ عاديٍّ، قالوا: بالعادةِ المطردةِ والاستقراءِ أنكَ لا تجدُ رجلاً طويلَ العنقِ طُولاً مُفْرِطًا إلا كَانَ فِي عَقْلِهِ بَعْضَ الدَّخَلِ؛ لِبُعْدِ ما بينَ طَرَفَيْ شُعَاعِ نُورِ عَقْلِهِ.

والتحقيقُ: أن العقلَ في القلبِ كما دَلَّ عليه الوحيُ.

والذين قالوا: إن العقلَ في الدماغِ استدلوا: بأن كُلَّ ما يؤثرُ على الدماغِ يؤثرُ على العقلِ. وهذا لا دليلَ فيه، لإمكانِ أن يكونَ العقلُ في القلبِ - كما هو الحقُّ - وسلامتُه مشروطةٌ بسلامةِ الدماغِ، وهذا لا إشكالَ فيه.

والعقلُ الصحيحُ هو الذي يعْقِلُ صاحبَه عن الوقوعِ فيما لا يَنْبَغِي، كما قال (جل وعلا) عن الكفارِ: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك: آية ١٠] أما العقلُ الذي لا يَزْجُرُ عمَّا لا ينبغي فهو عقلٌ دنيويٌّ يعيشُ به صاحبُه، وليس هو العقلَ بمعنى الكلمةِ".

((والعقل إذا وافق الكتاب والسنة اعتبر مصدرا، أي أن المرجعية هي الكتاب والسنة والعقل وأحكامه يتبعهما)).

فالعقل ليس مصدرا من مصادر التشريع، ولا يوجد دليل على اعتباره مصدر تشريع، فإين قال الله لنا حكموا العقل أو ارجعوا له.

العقل عند السنة وسيلة فهم للدليل الشرعي لا حاكم عليه، كما قال بعض العلماء هو كاشف للمصدر وليس مصدرا في ذاته.

قال الله تعالى" فاستمسك بالذي أوحي إليك"

وقال تعالى" وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا"

وقال تعالى" فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول".

والآيات في هذا كثيرة.

كما أن العقول تتفاوت وعندها سوف نختلف أي عقل نقدم، والحق واحد لا يتعدد.

وقد سبق وأن تكلمنا عن مسألة التحسين والتقبيح العقلي، فالعقل تابع للكتاب والسنة، فإن صح النقل وعارضه العقل فالخلل في العقل لا محالة وقد سبق وان تكلمنا على ذلك.

((رابعاً: أبرز المؤلفات في علم العقيدة قديماً وحديثاً

أولى الأئمة والعلماء من أهل السنة والجماعة علم العقيدة اهتماماً خاصاً فاهتموا به وقرروا مسائله، وحرصوا على التأليف فيه، والعناية بمسائله عناية خاصة، ومن أبرز ما ألف في علم العقيدة قديماً:

١. كتاب الشريعة للآجري.

٢. كتاب السنة لابن أبي عاصم.

٣. كتاب السنة للخلال.

٤. كتاب التوحيد لابن مندة.

٥. كتاب السنة لعبد الله بن أحمد.

٦. كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي.

٧. كتاب الحجة في بيان المحجة للأصبهاني.

٨. كتاب العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٩. كتاب شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز. وغيرها من الكتب ..

ومن كتب العلماء المتأخرين:

١. كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب. وشروحاته الكثيرة، ومنها كتاب فتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن، وكتاب تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله. وغيرها من الشروحات. وكتاب الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٢. كتب سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ومنها: العقيدة الصحيحة وما يضادها والقوادح في العقيدة والسلامة منها.

٣. كتب الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، ومنها: عقيدة أهل السنة والجماعة، وشرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة.

٤. كتاب الأسئلة والأجوبة في العقيدة للشيخ صالح الأطرم.

٥. كتاب الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان وكتاب عقيدة التوحيد له حفظه الله.

٦. كتاب العقيدة للشيخ د/ محمد بن عودة السعوي. وغيرها من الكتب)).

((ثالثاً/ مباحث في العقيدة:

١. أركان الإيمان إجمالاً:

١ – عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره.

وهذه الأصول تسمى أركان الإيمان، وقد دلت عليها نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، وأجمعت عليها الأمة.

قال تعالى: {ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين} [البقرة ١٧٧]. وقال تعالى: {آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله} [البقرة ٢٨٥]، وقال تعالى: {ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً} [النساء ١٣٦].

وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

وهذه الأصول العظيمة قد اتفقت عليها الرسل والشرائع، ونزلت بها الكتب السماوية، ولم يجحدها أو شيئا منها إلا من خرج عن دائرة الإيمان وصار من الكافرين قال تعالى: {إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيما} [النساء ١٥٠ – ١٥٢])).

وكلامه واضح والتفصيل فيه يخرجنا عن المقصود.

((٢. التوحيد وأنواعه:

التوحيد: هو إفراد الله بالخلق والتدبير، وإخلاص العبادة له، وترك عبادة ما سواه، وإثبات ماله من الأسماء الحسنى والصفات العليا، وتنزيهه عن النقص والعيب.

وهو بهذا التعريف يشمل أنواع التوحيد الثلاثة وهي:

١. توحيد الربوبية: وهو الإقرار بأن الله وحده هو الخالق للعالم، وهو المدبر المحيي والمميت، وهو الرزاق)).

وكما يقول أستاذنا عبد المعبود حسن – رحمه الله – توحيد الربوبية هو فعل الرب تجاه العبد، وتوحيد الألوهية هو فعل العبد تجاه الرب.

((والإقرار بهذا النوع مركوز في الفطر، لا يكاد ينازع فيه أحد من الأمم. كما قال تعالى: {ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله} [الزخرف ٨٧])).

بالرغم من أن توحيد الربوبية أمر مركوز في الفطر، مجبولة عليه النفوس، متكاثرة على تقريره الأدلة، إلا أنه وجد في الناس من حصل عنده انحراف فيه.

جاء في " الموسوعة العقدية" تحت عنوان الفرق التي أشركت بالربوبية :

"١ – المجوس: (الأصلية) قالوا بالأصلين: النور والظلمة، وقالوا: إن النور أزلي، والظلمة محدثة.

٢ – الثنوية: (أصحاب الاثنين الأزليين): الذين يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس الذين قالوا بحدوث الظلام، لكن قالوا باختلافهما في الجوهر، والطبع، والفعل، والخبر، والمكان، والأجناس، والأبدان، والأرواح، ولم يقولوا بتماثلهما في الصفات والأفعال، كما ترى، وإن قالوا بتساويهما في القدم.

٣ – المانوية: (أصحاب ماني بن فاتك): قالوا: إن العالم مصنوع من أصلين قديمين، ولكن قالوا باختلافهما في النفس، والصورة، والفعل، التدبير.

٤ – النصارى: (القائلون بالتثليث): فالنصارى لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضها عن بعض، بل هم متفقون على أنه صانع واحد يقولون: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد، ويقولون: واحد بالذات ثلاثة بالأقنوم. أما الأقانيم فإنهم عجزوا عن تفسيرها.

وقولهم هذا متناقض أيما تناقض وتصوره كاف في رده، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولهذا قال طائفة من العقلاء: إن عامة مقالات الناس يمكن تصورها إلا مقالة النصارى وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا، بل تكلموا بجهل، وجمعوا في كلامهم بين النقيضين ولهذا قال بعضهم: لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا عن أحد عشر قولاً.

هذا وقد بين الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) ما عندهم من التناقض، وكذلك الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه (محاضرات في النصرانية).

٥ – القدرية: هم في الحقيقة مشركون في الربوبية، وهذا لازم لمذهبهم؛ لأنهم يرون أن الإنسان خالق لفعله، فهم أثبتوا لكل أحد من الناس خلق فعله.

والخلق إنما هو مما اختص الله به، قال تعالى: وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ [الصَّافَّات: ٩٦]، وأفعال العباد لا يخرجها شيء من عموم خلقه –عز وجل–.

٦ – الفلاسفة الدهرية: في قولهم في حركة الأفلاك بأنها تسعة، وأن التاسع منها وهو الأطلس يحرك الأفلاك كلها، فجعلوه مبدأ الحوادث، وزعموا أن الله يحدث ما يقدره في الأرض.

٧ – عبدة الأصنام من مشركي العرب وغيرهم: ممن كانوا يعتقدون أن الأصنام تضر وتنفع، فيتقربون إليها، وينذرون لها، ويتبركون بها.

٨ – غلاة الصوفية: لغلوهم في الأولياء، وزعمهم أنهم يضرون، وينفعون، ويتصرفون في الأكوان، ويعلمون الغيب، ولقولهم بوحدة الوجود، وربوبية كل شيء.

٩ – الشيعة: لقولهم بأن الدنيا والآخرة للإمام، يتصرف بهما كيف يشاء، وأن تراب الحسين شفاء من كل داء، وأمان من كل خوف، ولقولهم: إن أئمتهم يعلمون الغيب، ويعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا بإذنهم.

وهذا باطل، وبطلانه لا يحتاج إلى دليل، بل إن فساده يغني عن إفساد .

١٠ – النصيرية: لقولهم بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبأنه المتصرف بالكون، لوصفهم إياه بأوصاف لا يجوز أن يوصف بها أحد إلا الله –عز وجل– مع اختلاف أقوالهم في هذا؛ فبعضهم يقول: إنه يسكن في الشمس ويسمون بـ: الشمسية.

وبعضهم يقولون: إنه يسكن في القمر، ويسمون بـ: القمرية.

وبعضهم يقولون: إنه يسكن في السحاب، ولذا إذا رأوا السحاب قالوا: السلام عليك يا أمير النحل.

١١ – الدروز: لقولهم بألوهية الحاكم بأمر الله العبيدي، وغلوهم فيه، ووصفه بأوصاف لا تليق إلا بالله وحده، كقولهم عنه: (إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور).

١٢ – من يعتقدون تأثير النجوم والكواكب والأسماء: وذلك كحال الذين يتتبعون الأبراج ويقولون – رجماً بالغيب – إذا ولد فلان في البرج الفلاني أو الشهر الفلاني أو اليوم الفلاني، أو كان اسمه يبدأ بحرف كذا أو كذا – فسيصيبه كذا وكذا، ويضعون عليها دعايات تقول: من شهر ميلادك تعرف حظك، أو من اسمك تعرف حظك.

كل ذلك شرك في الربوبية؛ لأنه ادعاء لعلم الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له.

١٣ – القانونيون: الذين يصدون ويصدفون عن شرع الله، والذين يحكمون الناس بالقوانين الوضعية، التي هي من نحاتة أفكارهم، وزبالة أذهانهم فهؤلاء محاربون لله، منازعون له في ربوبيته وحكمه وشرعه. رسائل في العقيدة لمحمد بن إبراهيم الحمد– ص: ١٢٨".

((٢. توحيد الألوهية: وهو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة.

فالألوهية معناها العبادة، والإله معناه المعبود، ولهذا يسمى هذا النوع من التوحيد بتوحيد العبادة))

وتوحيد الألوهية: هو إفراد الله بالعبادة. ويسمى باعتبار إضافته إلى الله تعالى بـ (توحيد الألوهية)، ويسمى باعتبار إضافته إلى الخلق بـ (توحيد العبادة)، و (توحيد العبودية) و (توحيد الله بأفعال العباد)، و (توحيد العمل)، و (توحيد القصد)، و (توحيد الإرادة والطلب)، لأنه مبني على إخلاص القصد في جميع العبادات، بإرادة وجه الله تعالى.

((والأدلة على هذا النوع كثيرة منها قوله تعالى: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه} [الإسراء ٢٣])).

وقوله تعالى: {ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [الأنعام: ١٠٢]، وقال: { إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [يوسف: ٤٠]، وقوله: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } [النحل: ٣٦] ...

((وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، بمعنى أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الألوهية والقيام به، فمن عرف أن الله ربه وخالقه ومدبر أموره، وجب عليه أن يعبده وحده لا شريك له. وتوحيد الألوهية

متضمن لتوحيد الربوبية، بمعنى أن من عبد الله وحده لا شريك له، فلابد أن يكون قد اعتقد أنه هو ربه وخالقه)).

دلالة توحيد الربوبية على توحيد الألوهية فهي دلالة التزام؛ لأنه خارج عن معناه من أقر بتوحيد الربوبية وعلم أن الله سبحانه هو الرب وحده لا شريك له في ربوبيته لزمه من ذلك الإقرار أن يفرد الله بالعبادة وحده سبحانه وتعالى، لأنه لا يصلح أن يعبد إلا من كان ربا خالقًا مالكًا مدبرًا، وما دام كله لله وحده وجب أن يكون هو المعبود وحده.

ولهذا جرت سنة القرآن الكريم على سوق آيات الربوبية مقرونة بآيات الدعوة إلى توحيد الألوهية، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢١ ،٢٢].

وأما دلالة الألوهية على الربوبية فهي دلالة تضمن لأنه في ظل الألوهية توحيد الربوبية، فمن عبد الله ولم يشرك به شيئًا فهذا يدل ضمنًا على أنه قد اعتقد بأن الله هو ربه ومالكه الذي لا رب غيره.

((وتوحيد الألوهية هو أول ما يجب على المكلف، فيؤمر كل من يريد الدخول في الإسلام بالنطق بالشهادتين. وتوحيد الألوهية مقصود دعوة الرسل، وهو الأساس الذي تبنى عليه جميع الأعمال، وبدون تحققه لا تصح جميع الأعمال)).

قال الشيخ عبد الرحمن بن صالح المحمود في " موقف ابن تيمية من الأشاعرة" (٣/ ٩٣٤):

"أول واجب على المكلف:

هذه المسألة مبنية على مسألة أخرى، وهي كيفية حصول المعرفة بالله عند الإنسان، حيث وقع الخلاف فيها على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن معرفة الله لا تحصل إلا بالنظر، وهذا قول كثير من المعتزلة والأشاعرة وأتباعهم من أصحاب المذاهب الأربعة وغيرهم.

القول الثاني: أن المعرفة يبتديها الله اختراعا في قلوب العباد من غير سبب يتقدم، ومن غير نظر ولا بحث، وهذا قول كثير من الصوفية والشيعة، ومعنى هذا القول أن المعرفة بالله تقع ضرورة فقط.

القول الثالث: أن المعرفة بالله يمكن أن تقع ضرورة، ويمكن أن تقع بالنظر، وهذا قول جماهير المسلمين .

إذا تبين هذا فالذين قالوا بأن المعرفة لا تحصل إلا بالنظر اختلفوا في أول واجب على المكلف:

١- فقال بعضهم: أول واجب النظر الصحيح المفضي إلى العلم بحدوث العالم.

٢- وقالت طائفة: أول واجب القصد إلى النظر الصحيح.

٣- وقالت طائفة أخرى: أول واجب الشك.

٤- وقالت طائفة رابعة: أول واجب المعرفة بالله.

ويقابل هذه الأقوال من يرى أن أول واجب على المكلف الشهاداتان: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدا رسول الله، وإفراد الله بالعبودية.

وهذه المعرفة التي يوجبها الأشاعرة مباشرة أو بوسائلها من النظر أو القصد إلى النظر هي معرفة الله تعالى، أي الإقرار بوجوده تعالى وأنه خالق العالم وأن ما سواه مخلوق محدث...

وشيخ الاسلام يرى أن القول بأن أول واجب على المكلف هو النظر أو القصد إلى النظر أو معرفة الله أو الشك، قول باطل، وأن الصحيح أن أول واجب هو الشهادتان المتضمنتان لتوحيد الله وإفراده بالعبودية ويذكر لذلك عدة أدلة من الكتاب والسنة، ومنها:

١ – حديث معاذ المشهور، يقول ابن تيمية: " والنبي – صلى الله عليه وسلم – لم يدع أحدا من الخلق إلى النظر ابتداء، ولا إلى مجرد إثبات الصانع، بل أول ما دعاهم إليه الشهادتان، وبذلك أمر أصحابه، كما قال في الحديث المتفق على صحته لمعاذ ابن جبل – رضي الله عنهـ لما بعثه إلى اليمن: إنك تأتي قوما أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا اله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.. الحديث وكذلك[٤] سائر الأحاديث عن النبي صلى[٣] الله عليه وسلم موافقه لهذا، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة وابن عمر: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» .

وفي حديث ابن عمر: «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة» .

وهذا مما اتفق عليه أئمة الدين، وعلماء المسلمين، فإنهم مجمعون على ما علم بالاضطرار من دين الرسول، أن كل كافر فإنه يدعى إلى الشهادتين، سواء كان معطلاً، أو مشركاً، أو كتابياً، وبذلك يصير الكافر مسلماً، ولا يصير مسلماً بدون ذلك.

كما قال أبو بكر بن المنذر: أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم على أن الكافر إذ قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأن كل ما جاء به محمد حق، وأبرأ إلى الله من كل دين يخالف دين الإسلام – وهو بالغ صحيح يعقل – أنه مسلم، فإن رجع بعد ذلك فأظهر الكفر كان مرتداً، يجب عليه ما يجب على المرتد.

والقرآن العزيز ليس فيه أن النظر أول الواجبات، ولا فيه إيجاب النظر على كل أحد، وإنما في الأمر بالنظر لبعض الناس، وهذا موافق لقول من يقول: إنه واجب على من لم يحصل له الإيمان إلا به، بل هو واجب على كل من لا يؤدي واجباً إلا به.

وهذا أصح الأقوال.

فقوله تعالى: {أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون} وهذا بعد قوله: {ولكن أكثر الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون} .

---

(٣) انظر درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٧).

ثم قال تعالى: {أولم يتفكروا في أنفسهم} فالضمير عائد إلى الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة هم غافلون.

وقوله تعالى: {أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين * أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون} .

فهذا مذكور بعد قوله: {والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأملي لهم إن كيدي متين} .

ثم قال: {أولم يتفكروا ما بصاحبهم} ، فالضمير عائد إلى المكذبين، فإنه قال تعالى: {أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة} ثم قال تعالى: {أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون} فقول هؤلاء، كأبي المعالي وغيره: (أول ما يجب على العاقل البالغ، باستكمال سن البلوغ أو الحلم شرعاً، القصد إلى النظر الصحيح المفضي إلى العلم بحدث العالم) هو في الأصل من كلام المعتزلة، وهو كلام مخالف لما أجمع عليه أئمة الدين، ولما تواتر عن سيد المرسلين، بل لما علم بالاضطرار من دينه".

((٣. توحيد الأسماء والصفات. وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله من صفات النقص. قال عز وجل: {ليس كمثله شئ وهو السميع البصير} [الشورى ١١]. وقال: {الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى} [طه ٨])).

قال الشيخ العثيمين في "القواعد المثلى" ما ملخصه: "

قواعد في أسماء الله تعالى:

القاعدة الأولى: أسماء الله تعالى كلها حسنى.

أي: بالغة في الحسن غايته، قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} ، وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديرًا.

مثال ذلك: "الحي" اسم من أسماء الله تعالى، متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال. الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها.

القاعدة الثانية:

أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهي بالاعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله عز وجل، وبالاعتبار الثاني متباينة، لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص.

ف "الحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم" كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى، لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، وهكذا.

القاعدة الثالثة: أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعدٍّ تضمنت ثلاثة أمور:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها.

مثال ذلك: "السميع" يتضمن إثبات السميع اسما لله تعالى، وإثبات السمع صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أنه يسمع السر والنجوى، كما قال تعالى {وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} .

وإن دلت على وصف غير متعدٍّ تضمنت أمرين:

أحدهما: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

مثال ذلك: "الحي" يتضمن إثبات الحي اسما لله عز وجل وإثبات الحياة صفة له.

القاعدة الرابعة: دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة، وبالتضمن، وبالالتزام.

مثال ذلك: "الخالق" يدل على ذات الله، وعلى صفة الخلق بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي العلم والقدرة بالالتزام.

القاعدة الخامسة: أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها.

وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص.

القاعدة السادسة:

أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور: " أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك" الحديث، رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وهو صحيح.

فأما قوله صلى الله عليه وسلم: "إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة" فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد إذًا فمعنى الحديث: أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاه دخل الجنة.

ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم تعيين هذه الأسماء، والحديث المروي عنه تعيينها ضعيف.

القاعدة السابعة: الإلحاد في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها وهو أنواع:

الأول: أن ينكر شيئا منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم.

الثاني: أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين، كما فعل أهل التشبيه، وذلك لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص، بل هي دالة على بطلانه، فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها.

الثالث: أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارى له: (الأب) ، وتسمية الفلاسفة إياه (العلة الفاعلة) ، وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية، فتسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة، ينزه الله تعالى عنها.

الرابع: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز، واشتقاق اللات من الإله على أحد القولين، فسموا بها أصنامهم، وذلك لأن أسماء الله تعالى مختصة به، لقوله تعالى: {وَللهِّ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}

قواعد في صفات الله تعالى:

القاعدة الأولى: صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك.

قوله تعالى: {لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَللهِّ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} والمثل الأعلى: هو الوصف الأعلى.

القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء وذلك: لأن كل اسم متضمن لصفة، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا منتهى لها، كما أن أقواله لا منتهى لها، قال الله تعالى {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِّ إِنَّ اللهَّ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} .

ومن أمثلة ذلك: أن من صفات الله تعالى: المجيء، والإتيان، والأخذ، والإمساك، والبطش، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تحصى.

نصف الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد، ولا نسميه بها، فلا نقول: إن من أسمائه الجائي، والآتي، والآخذ، والممسك، والباطش، والمريد، والنازل، ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به.

القاعدة الثالثة: صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية. وسلبية.

فالثبوتية: ما أثبت الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك.

فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به.

والصفات السلبية: ما نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات نقص في حقه، كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب. فيجب نفيها عن الله تعالى لما سبق مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، وذلك لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده لا لمجرد نفيه؛ لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال، وذلك لأن النفي عدم، والعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً، ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له فلا يكون كمالاً، كما لو قلت: الجدار لا يظلم. وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصا

مثال ذلك: قوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ} ، فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته.

مثال آخر قوله تعالى: {وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً} نفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله.

القاعدة الرابعة: الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال فكلما كثرت وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر، ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية.

القاعدة الخامسة: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية. وفعلية.

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها، كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة. ومنها الصفات الخبرية: كالوجه واليدين والعينين.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلما، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء

القاعدة السادسة: يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين:

أحدهما: التمثيل.

والثاني: التكييف.

فأما التمثيل: فهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين.

وأما التكييف: فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا، من غير أن يقيدها بمماثل.

إن أيَّ كيفية تقدرها في ذهنك فالله أعظم وأجل من ذلك.

القاعدة السابعة: صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها فلا نثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته.

ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:

الأول: التصريح بالصفة، كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين، ونحوها.

الثاني: تضمن الاسم لها، مثل: الغفور متضمن للمغفرة، والسميع متضمن للسمع، ونحو ذلك.

الثالث: التصريح بفعل أو وصف دال عليها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة، والانتقام من المجرمين، الدال عليها على الترتيب قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا" الحديث. وقول الله تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً} ، وقوله: {إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ}" .

((٣. الشهادتان (معناهما و لوازمهما و نواقضها):

معنى شهادة أن لا إله إلا الله: الاعتقاد والإقرار أنه لا يستحق العبادة إلا الله، والتزام ذلك والعمل به.

والتفسير الصحيح لهذه الشهادة: لا معبود بحق إلا الله.

ومقتضى شهادة أن لا إله إلا الله هو ترك عبادة ما سوى الله من جميع المعبودات، المدلول عليه بالنفي، وهو قولنا: [لا إله] وعبادة الله وحده لا شريك له. المدلول عليه بالإثبات، وهو قولنا [إلا الله]. فكثير ممن يقولها يخالف مقتضاها، فيثبت الإلهية المنفية للمخلوقين والقبور والطواغيت والأشجار وغيرها..)).

جاء في "الموسوعة العقدية": " قال تعالى: {وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم} [البقرة:١٦٣] وقال: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون} [الأنبياء:٢٥] وقال: {وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره} [الأعراف:٦٥] فأجابوه ردا عليه بقولهم: {أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا} [الأعراف:٧٠] وقال تعالى: {ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير} [الحج:٦٢] فتضمن ذلك نفي الإلهية عما سوى الله، وهي العبادة وإثباتها لله وحده لا شريك له، والقرآن من أوله إلى آخره يبين هذا ويقرره ويرشد إليه.

قال الوزير أبو المظفر في الإفصاح: قوله: شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن يكون الشاهد عالما بأنه لا إله إلا الله، كما قال تعالى: فاعلم أنه لا إله إلا الله [محمد: ١٩] قال: واسم (الله) بعد (إلا) من حيث أنه الواجب له الإلهية، فلا يستحقها غيره سبحانه قال: وجملة الفائدة في ذلك: أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلهية وأثبت الإيجاب لله سبحانه كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله .. قال ابن رجب: (الإله) هو الذي يطاع فلا يعصى، هيبة له وإجلالا، ومحبة وخوفا ورجاء، وتوكلا عليه، وسؤالا منه ودعاء له، ولا يصلح هذا كله إلا الله عز وجل، فمن أشرك مخلوقا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحا في إخلاصه في قول (لا إله إلا الله) وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك..".

((ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: الاعتراف باطناً وظاهراً أنه عبد الله ورسوله إلى الناس كافة، والعمل بمقتضى ذلك من طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع ومقتضي شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته وتصديقه، وترك ما نهى عنه، والاقتصار على العمل بسنته، وترك ما عداها من البدع والمحدثات، وتقديم قوله على قول كل أحد)).

قال ابن تيمية في " اقتضاء الصراط المستقيم" (٢/ ٣٧٥): " فلا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله، ولا دين إلا ما شرعه الله ورسوله.

ولهذا، ذم الله المشركين في سورة الأنعام والأعراف وغيرهما، لكونهم حرموا ما لم يحرمه الله، ولكونهم شرعوا دينا لم يأذن به الله، كما في قوله تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا} [الأنعام: ١٣٦] إلى آخر السورة. وما ذكره في صدر سورة الأعراف، وكذلك قوله تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [الشورى: ٢١] .

وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا} [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦] فأخبره أنه أرسله داعيا إليه بإذنه فمن دعا إلى غير الله فقد أشرك، ومن دعا إليه بغير إذنه

فقد ابتدع، والشرك بدعة، والمبتدع يؤول إلى الشرك، ولم يوجد مبتدع إلا وفيه نوع من الشرك، كما قال تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: ٣١] وكان من إشراكهم بهم: أنهم أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم.

وقد قال تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة: ٢٩] فقرن بعدم إيمانهم بالله واليوم الآخر: أنهم لا يحرمون ما حرمه الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق.

والمؤمنون صدقوا الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيما أخبر به عن الله، وعن اليوم الآخر، فآمنوا بالله واليوم الآخر وأطاعوه فيما أمر ونهى، وحلل وحرم، فحرموا ما حرم الله ورسوله، ودانوا دين الحق، فإن الله بعث الرسول يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، فأمرهم بكل معروف، ونهاهم عن كل منكر، وأحل لهم كل طيب، وحرم عليهم كل خبيث ...".

((ونواقض الشهادتين هي نواقض الإسلام العشرة وهي)):

تعريف الناقض:

جاء في كتاب "الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة" (ص: ٢٣١): "

الناقض في اللغة:

المفسد لما أبرم من عقد، أو بناء.

فهو بمعنى ناكث الشيء، ومنشر العقد. والنقض ضد الإبرام.

ونقيضك؛ الذي يخالفك. قال تعالى: {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ {٩١} وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا}.

قال تعالى: {الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ}.

الناقض في الاصطلاح:

هو الاعتقاد والقول والفعل المكفر؛ الذي ينتفي به إيمان العبد ويزول، ويخرجه من دائرة الإسلام والإيمان إلى حظيرة الكفر، والعياذ بالله.

وفي المصطلح الفقهي عند الفقهاء؛ يطلق اسم المرتد على الذي ينقض إيمانه بهذه المكفرات الثلاث.

وفي كتب الفقه باب يسمى: (باب المرتد وأحكامه) ".

ثم قال (ص/ ٢٨٢): "إنكار أي فرع من فروع الإيمان، أو مسألة منها؛ هو كفر ببقية الفروع والمسائل، وخروج من دائرة الإيمان إلى حظيرة الكفر.

قال الله تعالى: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}.

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً {١٥٠} أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا}.

ففي هذه النصوص – وغيرها كثيرة – دلالة واضحة وصريحة على أن الإيمان والالتزام يجب أن يكون كلياً غير منقوص، والإيمان لا يقبل التجزئة في عناصره وأركانه ومسماه.

والإيمان ينتقض بانتقاض عنصر واحد من عناصره، فمن طعن في مسألة جزئية من مسائله، أو استحل المعصية؛ كأنما طعن في الإيمان كله".

((١ . الشرك في عبادة الله، ومنه الذبح لغير الله))[٤].

العبادة اسم جامع لكل ما يحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، أي: كل ما جاء في الشرع من الأوامر والنواهي، فمثلا: الصلاة عبادة، والزكاة عبادة، والصوم عبادة، والحج عبادة، والنذر عبادة، والذبح عبادة، والدعاء عبادة، والتوكل عبادة، والرغبة عبادة، والرهبة عبادة، والجهاد في سبيل الله عبادة، والأمر بالمعروف عبادة، والنهي عن المنكر عبادة، والإحسان إلى الجيران عبادة، وصِلَة الأرحام عبادة.

وكذلك النواهي، يتركها المسلم تعبُّدًا لله، يترك الشرك، يترك العدوان على الناس في الدماء، العدوان على الناس في الأموال، العدوان على الناس في الأعراض، جحد الحق، يتعبَّد بألا يفعل هذا المنكر، يتعبّد بألا يفعل الزنا، يتعبد لله بأن يترك شرب الخمر، يترك عقوق الوالدين، يترك التعامل بالربا، يترك الغيبة، يترك النميمة، كل هذا عبادة.

فالعبادة: الأوامر والنواهي: الأوامر تفعلها، والنواهي تتركها، تعبُّدًا لله. والأوامر كما قلنا قسمان:

أمر إيجاب، وأمر استحباب: أمر إيجاب كالصلاة، هذه واجبة، وأمر استحباب كالسواك مستحب، والنهي: نهي تحريم، كالنهي عن الزنا، ونهي تنزيه كالنهي عن الحديث بعد صلاة العشاء.

وسواء كان العمل ظاهرًا كالصلاة والصيام، أو باطنًا كالنية والإخلاص والصدق والمحبة فعليه فعله، والنهي سواءٌ كان ظاهرا كالزنا، أو باطنا كالعجب والكِبْر والغل والحقد والحسد فعليه تركه.

فإذًا العبادة تشمل الأوامر والنواهي، تشمل الأقوال والأفعال، الظاهرة والباطنة، التي جاء بها الشرع. فإذا صرف أي نوع ثبت في الشرع أنه مأمور به، أو ثبت في الشرع أنه منهي عنه، وقع في الشرك، سواء ثبت في الشرع أنه مأمور به أمر إيجاب، أو أمر استحباب، أو نهى عنه الشرع نهي تحريم أو نهي تنزيه، فإذا فعل الأوامر لغير الله، أو ترك النواهي لغير الله فقد وقع في الشرك.

والشرك هو : جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وإلهيته، والذي يغلب الإشراك فيه الألوهية.

والشرك أعظم ذنب عُصي به الله تعالى وهو أشد نواقض الإسلام جُرماً، وقد أخذ الله على نفسه أن لا يغفر للمشرك شركه إلا أن يتوب، فلا يكفِّر الشرك شيء من أنواع المكفرات المعروفة إلا أن يتوب المشرك من شركه، ولذا قال سبحانه : [النِّسَاء: ٤٨]{إِنَّ اللهَّ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}، وقال: {إِنَّهُ مَنْ

---

[٤] ( ) مستفاد من شرح نواقض الإسلام للشيخين الراجحي والطريفي.

يُشْرِكْ بِاللهَّ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُّ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} ، وهو الظلم العظيم، قال تعالى: [الأنعَام: ٨٢]{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} .

روى أحمد والبخاري ومسلم عن سليمان عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية [الأنعَام: ٨٢]{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه:[لقمَان: ١٣]{يَابُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهَّ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} .

روى الإمام أحمد والشيخان من حديث منصور عن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قلت: إن ذلك لعظيم، .. الحديث

كيف لا يكون أعظم الذنب وأظلم الظلم وأكبر الكبائر، وهو تشبيه للخالق بالمخلوق، وذنب لا يُغفر، وتنقص نزّه الله جل شأنه نفسه عنه، فمن أشرك مع الله غيره فقد حادّ وعاند وشاقّ الله وأثبت له ما نزه نفسه عنه، قال تعالى عن حال المشركين مع معبوديهم يوم القيامة: [الشُّعَرَاء: ٩٧-٩٨]{تاللهَّ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ *إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} .

وصاحب الشرك محرم عليه الجنة : [المَائدة: ٧٢]{إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهَّ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُّ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} .

ومحبط جميع عمله: [الأنعَام: ٨٨]{وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} وقال: [الزُّمَر: ٦٥]{لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} .

والعمل في الآية يشمل جميع عمل العبد، ولا يحبط جميع العمل الصالح ذنب سوى الشرك الأكبر.

والمشرك حلال الدم والمال إلا ما استثناه الشرع كأهل الذمة والعهد: [التّوبَة: ٥]{فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ} .

والشرك بالله ينقسم إلى نوعين:

١ -الشرك الأكبر

٢ -الشرك الأصغر.

فالنوع الأول : الشرك الأكبر : مخرج من الملة، مخلد صاحبه في النار، إن لقي الله غير تائب من شركه، وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الخالق سبحانه وتعالى، كالذبح لغير الله، لأهل القبور من الأولياء والصالحين أو الجن والشياطين، رغبة إليهم أو رهبة منهم، والخوف من أهل القبور والجن والشياطين أن يؤذوه ويضروه، ورجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من كشف الضر، وجلب النفع، وهذا ما يفعله كثير من الناس عند قبور الصالحين في هذا الوقت. قال تعالى: [يُونس: ١٨]{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهَّ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهَّ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَّ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } .

وهذا تسوية للمخلوق بالخالق قال تعالى عنهم في النار إذ يختصمون : [الشُّعَرَاء: ٩٧-٩٨] {تاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ *إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} فهو تسوية للمخلوق بالخالق في التعظيم، والمحبة التي هي روح العبادة.

وقد مثّل المؤلف رحمه الله لهذا الناقض قال: كالذبح لغير الله؛ لأن الذبح عبادة، قال الله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ} [الأنعام/ ١٦٢] وقال سبحانه: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [الكوثر/ ٢] فإذا ذبح لغير الله فقد صرف العبادة لغير الله، فيكون مُشركًا إذا ذبح، فإذا ذبح للجن أشرك، أو ذبح لصاحب القبر أشرك، أو ذبح للقمر أو للنجم، أو للولي، فإنه يكون قد أشرك.

ومثله الدُّعَاء، إذا دعا غير الله، بأن يطلب المدد من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، كطلب الشفاء من غير الله، أو طلب الاستجارة وتفريج الكربة من غير الله، أشرَكَ.

وكذلك الاستعانة بغير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله، والاستعاذة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، فقد أشرك.

وكذلك أيضاً من العبادات طاعة المخلوق في التحليل والتحريم، كأن يطيع أميرًا أو وزيراً أو عالماً أو عابداً أو أباً أو زوجاً أو سيداً يطيعه في تحليل الحرام أو تحريم الحلال؛ فيكون شركا؛ لأنه صرَف العبادة لغير الله؛ لأن الله تعالى هو المحلِّل والمحرِّم {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ الله} [الشورى/ ٢١].

ومثله الركوع، إذا ركع لغير الله، أو سجد لغير الله، فقد صرف العبادة لغير الله، أو طاف بغير بيت الله تقرُّبًا لذلك الغير، أو نذرًا لغير الله، أو حلق رأسه لغير الله كالصوفية يحلق أحدهم رأسه لشيخه تعبُّدا له، وكذلك يركع له أو يسجد له، أو يتوب لغير الله، كالصوفية الذين يتوبون لشيوخهم، والشيعة الذين يتوبون أيضاً لرؤسائهم، والنصارى الذين يتوبون لقسيسيهم؛ لأن التوبة عبادة، قال تعالى: {وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا الله} [آل عمران / ١٣٥] فالله تعالى هو أهل التقوى وأهل المغفرة، والله تعالى هو أهل التوبة، فإذا تاب لغير الله وقع في الشرك؛ لأنه صرف العبادة لغير الله.

<u>((٢. من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم)).</u>

قال الشيخ الراجحي : "الناقض الأول أعمّ، وهذا أخص، الناقض الأول (الشرك في عبادة الله) سواء كانت هذه العبادة دعاء، أو ذبحا، أو نذرا أو طاعة في التحليل والتحريم، أو ركوعا أو سجودا، عامٌّ.

والناقض الثاني خاص، وهو مَن يجعل بينه وبين الله وسائط، واسطة يدعوه أو يسأله الشفاعة، أو يتوكل عليه، فجعل الميت واسطة بينه وبين الله، يقول: يا فلان، اشفع لي عند الله! يا فلان، انقل حاجتي إلى الله! وهكذا.

أو يسأله الشفاعة، أو يتوكل عليه، يعتمد عليه في حصول مطلوبه، يتوكل على هذا الميت مثلا، أو على هذا الحي أيضا، يتوكل عليه في أن ينجيه من النار، ويتوكل عليه في أن ينصره على عدوه، يتوكل عليه في أن ييسر له الرزق، يتوكل عليه في حصول الولد، يتوكل عليه في النجاة من النار، أو في دخول الجنة، هذا لا يقدر عليه إلا الله.

فمن جعل بينه وبين الله واسطة، سواء كان حيا أو ميتا؛ فإنه يكون مشركا، إنما الحي يُسأل في الشيء الذي يقدر عليه، تقول: يا فلان، أعني في إصلاح سيارتي، يا فلان، أقرضني مالا، يا فلان، أَعِنِّي في إصلاح مزرعتي...".

@ قال ابن تيمية في "الواسطة بين الحق والخلق": " فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنب، وهداية القلوب، وتفريج الكروب، وسد الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين...

وإن أثبتم وسائط بين الله وبين خلقه ـ كالحجاب الذين بين الملك ورعيته ـ بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، فالله إنما يهدى عباده ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم، وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس، لقربهم منهم، والناس يسألونهم، أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك؛ لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج. فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه، فهو كافر مشرك، يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل. وهؤلاء مشبهون لله، شبهوا المخلوق بالخالق، وجعلوا لله أندادا.

وفى القرآن من الرد على هؤلاء، ما لم تتسع له هذه الفتوى.

فإن الوسائط التى بين الملوك وبين الناس، يكونون على أحد وجوه ثلاثة:

الوجة الأول: إما لإخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه.

ومن قال: إن الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بتلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم فهو كافر، بل هو ـ سبحانه ـ يعلم السر وأخفى، لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء {وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى: ١١] . يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين.

الوجه الثانى: أن يكون الملك عاجزًا عن تدبير رعيته، ودفع أعدائه ـ إلا بأعوان يعينونه ـ فلابد له من أنصار وأعوان، لذله وعجزه. والله ـ سبحانه ـ ليس له ظهير، ولا ولى من الذل، قال تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي لسَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ} [سبأ: ٢٢] ، وقال تعالى: {وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ كَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء: ١١١] .

وَكُلُّ مَا فى الوجود من الأسباب فهو خالقه، وربه ومليكه، فهو الغنى عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم وهم ـ فى الحقيقة ـ شركاؤهم فى الملك. والله ـ تعالى ـ ليس له شريك فى الملك، بل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير.

والوجه الثالث: أن يكون الملك ليس مريدًا لنفع رعيته، والإحسان إليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج. فإذا خاطب الملك من ينصحه، ويعظمه، أو من يدل عليه، بحيث يكون يرجوه ويخافه، تحركت إرادة الملك وهمته، فى قضاء حوائج رعيته، إما لما حصل فى قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير، وإما لما يحصل من الرغبة أو الرهبة من كلام المدل عليه.

والله ـ تعالى ـ هو رب كل شيء ومليكه، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وكل الأشياء إنما تكون بمشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو إذا أجرى نفع العباد بعضهم على بعض، فجعل هذا يحسن إلى هذا ويدعو له ويشفع فيه ونحو ذلك، فهو الذى خلق ذلك كله، وهو الذى خلق فى قلب هذا المحسن الداعى الشافع إرادة الإحسان والدعاء والشفاعة، ولا يجوز أن يكون فى الوجود من يكرهه على خلاف مراده، أو يعلمه ما لم يكن يعلم، أو من يرجوه الرب ويخافه.

ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم: " لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لى إن شئت، اللهم ارحمنى إن شئت، ولكن ليعزِم المسألة، فإنه لا مكره له ". والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون إلا بإذنه، كما قال: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء: ٢٨]، وقال تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللهِّ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} [سبأ: ٢٢، ٢٣].

فَبَيَّنَ أَنَّ كُلَّ من دعى من دونه ليس له ملك ولا شرك فى الملك، ولا هو ظهير، وأن شفاعتهم لا تنفع إلا لمن أذن له.

وهذا بخلاف الملوك، فإن الشافع عندهم قد يكون له ملك، وقد يكون شريكًا لهم فى الملك، وقد يكون مظاهرًا لهم معاونا لهم على ملكهم، وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك هم وغيرهم، والملك يقبل شفاعتهم، تارة بحاجته إليهم، وتارة لخوفه منهم، وتارة لجزاء إحسانهم إليه ومكافأتهم ولإنعامهم عليه، حتى إنه يقبل شفاعة ولده وزوجته لذلك، فإنه محتاج إلى الزوجة وإلى الولد، حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك، ويقبل شفاعة مملوكه، فإذا لم يقبل شفاعته، يخاف ألا يطيعه، أو أن يسعى فى ضرره، وشفاعة العباد بعضهم عند بعض، كلها من هذا الجنس، فلا يقبل أحد شفاعة أحد إلا لرغبة أو رهبة.

والله ـ تعالى ـ لا يرجو أحدًا، ولا يخافه، ولا يحتاج إلى أحد بل هو الغنى، قال تعالى: {أَلا إِنَّ للهِّ مَن فِي السَّمَاوَات وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ الله شُرَكَاء إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ} [يونس: ٦٦]. إلى ٦٨ إلى قوله: {قَالُوا اتَّخَذَ اللهُّ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}، والمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعهدونه من الشفاعة، قال تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ الله قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [يونس: ١٨] ...

والمقصود هنا: أن من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه، كالوسائط التى تكون بين الملوك والرعية، فهو مشرك، بل هذا دين المشركين عُبّاد الأوثان كانوا يقولون: إنها تماثيل الأنبياء والصالحين، وإنها وسائل يتقربون بها إلى الله، وهو من الشرك الذى أنكره الله على النصارى حيث قال: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ الله وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: ٣١]، وقال تعالى: {وَإِذَا

سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: ١٨٦] ، أى فليستجيبوا لى إذا دعوتهم بالأمر والنهى، وليؤمنوا بى أن أجيب دعاءهم لى بالمسألة والتضرع.

وقال تعالى: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} [الشرح: ٧، ٨] . وقال تعالى: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ} [الإسراء: ٦٧] ،وقال تعالى: {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ} [النمل: ٦٢] ، وقال تعالى: {يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن: ٢٩]

وقد بين الله هذا التوحيد فى كتابه، وحسم مواد الإشراك به حتى لا يخاف أحد غير الله، ولا يرجو سواه، ولا يتوكل إلا عليه، وقال تعالى: {فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً} [المائدة: ٤٤] ، {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ} أى يخوفكم أولياءه {فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٧٥] ،وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً} [النساء: ٧٧] ، وقال تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ} [التوبة: ١٨] ، وقال تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَّ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [النور: ٥٢] . فبين أن الطاعة لله ورسوله، وأما الخشية فلله وحده.

وقال تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ} [التوبة: ٥٩] ونظيره قوله تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣]...

ثم قال: " ومع علم المؤمن أن الله رب كل شىء ومليكه، فإنه لا ينكر ما خلقه الله من الأسباب، كما جعل المطر سبباً لإنبات النبات، قال الله تعالى: {وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ} [البقرة: ١٦٤] ، وكما جعل الشمس والقمر سببا لما يخلقه بهما، وكما جعل الشفاعة والدعاء سبباً لما يقضيه بذلك، مثل صلاة المسلمين على جنازة الميت، فإن ذلك من الأسباب التى يرحمه الله بها، ويثيب عليها المصلين عليه.

لكن ينبغى أن يعرف فى الأسباب ثلاثة أمور:

أحدها: أن السبب المعين لا يستقل بالمطلوب، بل لابد معه من أسباب أخر، ومع هذا فلها موانع. فإذا لم يكمل الله الأسباب، ويدفع الموانع، لم يحصل المقصود، وهو ـ سبحانه ـ ما شاء كان ـ وإن لم يشأ الناس ـ وما شاء الناس لا يكون إلا أن يشاء الله.

الثانى: ألا يجوز أن يعتقد أن الشىء سبب إلا بعلم، فمن أثبت شيئاً سبباً بلا علم أو يخالف الشرع، كان مبطلاً، مثل من يظن أن النذر سبب فى دفع البلاء وحصول النعماء. وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم: أنه نهى عن النذر وقال: " إنه لا يأتى بخير وإنما يستخرج به من البخيل ".

الثالث: أن الأعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ منها شيء سبباً إلا أن تكون مشروعة، فإن العبادات مبناها على التوقيف، فلا يجوز للإنسان أن يشرك بالله، فيدعو غيره ـ وإن ظن أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه ـ وكذلك لا يُعْبَد الله بالبِدَع المخالفة للشريعة ـ وإن ظن ذلك ـ فإن الشياطين قد تعين الإنسان على بعض مقاصده إذا أشرك، وقد يحصل بالكفر والفسوق والعصيان بعض أغراض الإنسان، فلا يحل له ذلك؛ إذ المفسدة الحاصلة بذلك أعظم من المصلحة الحاصلة به؛ إذ الرسول صلى الله عليه وسلم بعث بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فما أمر الله به فمصلحته راجحة، وما نهى عنه فمفسدته راجحة".

<u>((٣. من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم))</u>[1].

أولاً: قاعدة: "من لم يكفِّر الكفار أو شكَّ في كفرهم أو صحَّحَ مذهبهم فهو كافر"، قاعدةٌ صحيحة، أجمع عليها علماء المسلمين قديمًا وحديثًا؛ لأن من لم يكفر الكفار المقطوع بكفرهم بنصِّ القرآن والإجماعِ: فهو مكذب للقرآن والسنة.

قال القاضي عياض في كتابه" الشفا": "وَلِهَذَا نُكفِّر من لم يُكَفِّر مَنْ دَانَ بِغَيْرِ مِلَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمِلَلِ.. أَوْ وَقَفَ فِيهِمْ، أَوْ شَكَّ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ.. وَإِنْ أَظْهَرَ مَعَ ذَلِكَ الْإِسْلَامَ وَاعْتَقَدَهُ وَاعْتَقَدَ إِبْطَالَ كُلِّ مَذْهَبٍ سِوَاهُ.. فَهُوَ كَافِرٌ بِإِظْهَارِهِ مَا أَظْهَرَ مِنْ خِلَافِ ذَلِكَ."

ثم بين السبب بقوله: "لِقِيَامِ النَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ عَلَى كُفْرِهِمْ، فَمَنْ وَقَفَ فِي ذَلِكَ فَقَدْ كَذَّبَ النَّصَّ."

قال النووي في "روضة الطالبين": "مَنْ لَمْ يُكَفِّرْ مَنْ دَانَ بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ كَالنَّصَارَى، أَوْ شَكَّ فِي تَكْفِيرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ، فَهُوَ كَافِرٌ، وَإِنْ أَظْهَرَ مَعَ ذَلِكَ الْإِسْلَامَ وَاعْتَقَدَهُ."

وقال البهوتي في "كشاف القناع": "فهُوَ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ مُكَذِّبٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} ".

فهي من قواعد التكفير المتعلقة بردِّ النصوص الشرعية وتكذيبها، لا في وقوع بعض أفراد المسلمين في الكفر أو ارتكابهم ناقضًا من نواقض الإسلام؛ لذا لا تطبق هذه القاعدة إلا إن كان الخبر الوارد في التكفير صحيحًا متفقًا عليه، وبالتالي يكون من ترك تكفير مرتكبها رادًا لهذه الأخبار مكذبًا لها.

ثانياً: هذه القاعدة تشمل ثلاثة أمور:

الأول: وجوب القطع بكفر كل مَن دان بغير دين الإسلام من اليهود والنصارى والوثنيين وغيرهم على اختلاف مللهم وشرائعهم؛ إذ إن كفر هؤلاء ثابتٌ بنصوص عامة وخاصة من الكتاب والسنة.

فمن النصوص العامة: قوله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهَّ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: ١٩]، وقوله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: ٨٥].

وقوله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسُ محمد بيده، لا يسمعُ بي أحد من هذه الأمَّةِ -يهودِيّ ولا نصرانيّ- ثم يموت ولم يُؤمِنْ بالذي أُرْسِلْتُ به ، إلا كان من أصحابِ النَّار) رواه مسلم.

---

[1]) فتوى المكتب العلمي ـ هيئة الشام الإسلامية.

ومن النصوص الخاصة: قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهَّ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهَّ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهَّ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [التوبة: ٣٠].

وقوله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَّ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [المائدة: ٧٣].

فمن لم يكفر هؤلاء أو شكَّ في كفرهم أو صححَ دينهم وعقائدهم : فقد كذَّب الله –تعالى– ورسولَه صلى الله عليه وسلم، وردَّ حكمهما.

وقد نقل القاضي عياض في كتابه " الشفا" الإجماع على: " كُفْرِ مَنْ لَمْ يُكَفِّرْ أَحَدًا مِنَ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ، وَكُلَّ مَنْ فَارَقَ دِينَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ وَقَفَ فِي تَكْفِيرِهِمْ، أَوْ شَكّ."

الأمر الثاني الذي تشمله القاعدة: وجوب القطع بكفر طوائف ومذاهب الردة المجمع على كفرهم وردتهم، كالباطنية من القرامطة والإسماعيلية والنصيرية والدروز، والبابية والبهائية والقاديانية.

فقد حكم أهل العلم على هذه الطوائف بالكفر والردة؛ لاعتقاداتهم المنافية لأصول الإسلام من كل وجه، فمن لم يكفر هؤلاء أو شك في كفرهم بعد العلم بحقيقة حالهم ، فقد صحح مذهبهم وعقائدهم الكفرية، وطعن في دين الإسلام، فيكون كافراً مثلهم.

قال ابن تيمية في "الفتاوى"عن الدروز: "كُفْرُ هَؤُلَاءِ مِمَّا لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ؛ بَلْ مَنْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ فَهُوَ كَافِرٌ مِثْلُهُمْ."

الأمر الثالث الذي تشمله القاعدة: من ارتكب ناقضًا من نواقض الإسلام المجمع عليها بين العلماء، كالاستهزاءِ بالنبي صلى الله عليه وسلم، أو سبِّهِ، أو جحدِ ما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام.

فمن لم يكفر من ارتكب هذا النوع من النواقض؛ لإنكاره أن يكون ما قاله أو فعله كفرًا ، فهو كافر مثله.

قال ابن تيمية فيمن اعتقد جواز سب الصحابة أو اعتقد اعتقادًا كفريًا: "أما من اقترن بسببه دعوى أن عليا إله أو أنه كان هو النبي وإنما غلط جبريل في الرسالة ، فهذا لا شك في كفره ، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره."

ثالثًا: قاعدة (من لم يكفر الكافر فهو كافر) لا تشمل:

١ –ما اختلف العلماء في عدِّه من المكفِّرات، كاختلافهم في تارك الصلاة تكاسلاً، فمنهم من عدَّه كفراً مخرجاً من الملة، ومنهم من لم يوصله إلى ذلك، فلا يقال فيمن لم يكفر تارك الصلاة كسلاً: إنه كافر.

٢ –من امتنع من تكفير مسلم معيَّن ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام، فمثل هذا لا يُحكم بكفره؛ لأن تنزيل حكم الكفر على شخصٍ بعينه ليس مقطوعًا به، فقد يكون تكفيره والحكم عليه بالردة صوابًا أو خطأً، وقد يكون التوقُّف في تكفيره لوجود مانع، أو عدم توفر شرط، أو عدم قيام حجَّة، ونحو ذلك.

فلا يدخل في هذه القاعدة: من لم ينزل أحكام الكفر المتفق عليها على بعض الْمُعيَّنين، كمن لم يُنزِّل أحكام الطواغيت أو الحكم بغير من أنزل الله على أعيان الطوائف والأفراد؛ فإن الكفر بالطاغوت أصلٌ في الإسلام كما

قال تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا}، لكن تنزيل الطاغوت على فردٍ معينٍ محلُّ اجتهادٍ ونظر.

وحينها لا يقال: إن من لم يكفر مرتكب هذا الناقض فهو كافر؛ لأجل الخلاف أو الاجتهادِ فيه .

رابعًا: لا يجوز تنزيل هذه القاعدة على الأعيان إلا بعد تحقق شروط التكفير، وانتفاء موانعه.

فالتكفير المُطلق كقول (من لم يكفر الكافر فهو كافر) يختلف عن تكفير معينٍ من الناس بقول (فلان لم يكفر الكافر فهو كافر).

فالأفراد المُعيَّنون متفاوتون بحسب قيام الحجة عليهم، واجتهادهم وتأويلهم، وكثير من الغُلاة لا يُفرِّقون بين هذه المراتب بسبب الجهل بها.

قال ابن أبي العز الحنفي في "شرح الطحاوية": "الشخص المعيَّن يمكن أن يكونَ مجتهدًا مخطئًا مغفورًا له، ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله."

فقد يكون توقف الشخص عن تكفير الكفار الأصليين، أو المرتدين المتفق على ردتهم ناتجًا عن قصور في العلم أو لشبهة رآها، أو غير ذلك من موانع التكفير، (كالجهل، والخطأ، والإكراه، والتأويل)، فلا بد من التأكد من خلوها جميعها في هذا المعين.

نقل ابن حجر عن الشافعي في "فتح الباري" قوله: "من خالفَ بعد ثبوتِ الحُجة عليه فقد كفر، وأما قبل قيام الحُجة فإنه يُعذر بالجهل."

وقال ابنُ تيميةَ في "الفتاوى" في بيانِ حقيقةِ عقيدةِ وحدةِ الوجودِ، وأنها أشرُ من قولِ النصارى: "فَهَذَا كُلُّهُ كُفْرٌ بَاطِنًا وَظَاهِرًا بِإِجْمَاعِ كُلِّ مُسْلِمٍ ، وَمَنْ شَكَّ فِي كُفْرِ هَؤُلَاءِ بَعْدَ مَعْرِفَةِ قَوْلِهِمْ ، وَمَعْرِفَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ ، فَهُوَ كَافِرٌ كَمَنْ يَشُكُّ فِي كُفْرِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ."

فقد اشترط لهذا التكفير شرطين: معرفة قولهم أي معرفة حالهم ، ومعرفة دين الإسلام أي الأدلة على كفرهم.

فلا بد من إقامة الحجة على من لم يكفر الكافر، بتعليمه، وتوضيح الأمر له.

خامسًا: ضَلَّ في هذه القاعدة فريقان: فريقٌ فرَّط وضيع، وفريقٌ أَفْرَطَ وغلا.

١ -فأمَّا المضيعون: فلم يأخذوا بهذه القاعدة، وجحدوها، ولم يروا تكفير من لم يكفر الكفار بعد توافر القيود والضوابط.

وبعضهم زعم أنَّ تكفير الكافر مخالف لحرية الاعتقاد، ومنهم من نادى بوحدة الأديان، أو مساواتها ، وهذا القول تكذيب لله ورسوله وجحد لما أجمعت عليه الأمة.

٢- وأما الغلاة: فقد توسعوا في هذه القاعدة، حتى أدخلوا فيها المسلم الذي رموه بالردة والكفر، ثم ألزموا الآخرين بتكفيره، فإن لم يفعل كفروه عملاً بهذه القاعدة، زعموا!!.

((٤ . من اعتقد أن هدي غير النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه)).

قال الشيخ الطريفي: "يجب أن يعتقد المسلم أن قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره وحي من الله تعالى، فالسنة قسيمة للقرآن بالوحي، قال تعالى : [النّجْم: ٣-٤]{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ❋إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى } .

من ردّ أو جحد السنة أو شيئاً منها، فقد ردّ أو جحد القرآن أو شيئاً منه.

ومعارض السنة معارض القرآن، فكلاهما من وحي الله، وسنّة النبي صلى الله عليه وسلم خير هدي كما جاء في «صحيح مسلم» من حديث جابر مرفوعاً : «خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد».

والوحيان ناسخان لكل شريعة سابقة، وهما أصلح شريعة يهتدى ويقتدى بها، فقد روى أحمد في «مسنده» من حديث محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن بن عباس قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: الحنيفية السمحة. وسنده جيّد .

وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم كاملة لا نقص فيها: [المَائدة: ٣]{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا} وألزم الله بلزومها: [آل عِمرَان: ٨٥]{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} .

فمن اعتقد أن شيئاً من هدي الشرائع الأخرى سواءً كانت شرائع سماوية كاليهودية والنصرانية المحرّفة، أو التشريعات التي يضعها الناس ويقنّنونها من دون الله خير من هدي محمّد صلى الله عليه وسلم وأنفع للناس، وأصلح لاستقامة حياتهم وأمنهم ومعيشتهم، فهو كافر خارج من الملة بإجماع المسلمين وإن حكم بما أنزل الله.

وقد أمر الله بالتحاكم إلى شريعته، ولزوم حُكم نبيه صلى الله عليه وسلم، فمن فضّل حُكماً على حُكمه فهو كافر بالله العظيم.

فمن مقتضى الإيمان بالله ورسوله الخضوع لحكمه، والنزول عند شرعه، والرضا بأمره، ولزوم قضاءه في العقائد والأقوال والأفعال، والرجوع إلى كتاب الله وسنته عند الاختلاف في الخصومات والدماء والأموال وسائر الحقوق، فلا ينازع الله في حُكمه [الأنعَام: ٥٧]{إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ} .

فيجب على الحُكَّام الحكم بحكم الله وشرعه، وعلى المحكومين التحاكم إلى ما أنزل الله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قال تعالى: [النِّسَاء: ٦٠]{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا}

فقوله: (يزعمون) دل على كذب دعواهم الإيمان بما أنزل الله لمخالفتهم لموجبها وعملهم بما ينافيها.

ثم بين وأقسم سبحانه وتعالى أنه لا يجتمع الإيمان مع التحاكم إلى غير ما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : [النِّسَاء: ٦٥]{فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }

فنفى الله الإيمان مؤكداً ذلك بالقسم عمن لم يتحاكم إلى ما أنزل الله ويرضى بحكمه ويسلم له.

ونفي الإيمان هنا يدل على أن تحكيم ما أنزل الله بين الناس إيمان، وقُربة يتقرب بها إلى الله، فيجب مع التحكيم اعتقاد ذلك ديناً وتعبداً، لا أنه أصلح للناس فحسب.

وتحكيم شرع الله واجب في جميع ما يقع بين العباد من خصومات، وفي كل شئون الحياة، ولذا قال تعالى: [النِّسَاء: ٦٥]{فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ}، فاسم الموصول {ما} مع صلته من صيغ العموم، فالحكم عام في الدماء والأموال والأعراض وسائر الحقوق".

قال الشيخ ابن باز في "نواقض الإسلام": "من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام، أو أنها مساوية لها، أو أنه يجوز التحاكم إليها، ولو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سببا في تخلف المسلمين، أو أنه يحصر في علاقة المرء بربه، دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى. ويدخل في الرابع أيضا: من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر. ويدخل في ذلك أيضا: كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة؛ لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرمه الله إجماعا، وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة؛ كالزنا، والخمر، والربا، والحكم بغير شريعة الله – فهو كافر بإجماع المسلمين".

((٥. من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم)).

قال الشيخ الطريفي: " ومن كره وأبغض شيئاً مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من هدي وحُكم سواءً كان أمراً أو نهياً مما جاء به من العقائد والشرائع فقد كفر بالله تعالى، وهو من صفات المنافقين النفاق الاعتقادي الأكبر الذي يخرج صاحبه من الإسلام وصاحبه في الدرك الأسفل من النار.

كما يصنعه كثير من منافقي العصر من العلمانيين والليبراليين ومن حذا حذوهم ممن اغتر بما عليه الغرب، فكرهوا الحكم بما أنزل الله كحد السرقة وجلد شارب الخمر وقتل القاتل العمد ودية المرأة نصف دية الرجل فهؤلاء مبغضون لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله كفار خارجون من ملة الإسلام.

ولو عمل أحدهم بما أبغضه من شريعة الله لم ينفعه ذلك، كمن كره تعدد الزوجات مطلقاً وأبغض هذا التشريع فهو كافر بالله وإن عدد وتزوج أكثر من واحدة.

ومثله من كره حكم الله وقضاءه في أن شهادة المرأتين بشهادة الرجل الواحد أو كره ما جاءت به بعض النصوص الثابتة من أخبار مغيبة بزعم أنها لا تتوافق مع العقل أو مع الواقع.

قال الله تعالى : [مُحَمَّد: ٨-٩]{وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ *ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } فسماهم الله كفاراً بقوله (الذين كفروا) بسبب أنهم (كرهوا ما أنزل الله) ولكون الكفر لا يبقى معه من عمل الخير شيء فإنه يحبطه بالكلية قال (فأحبط أعمالهم).

وقد تجرأ كثير ممن يتسمى بالإسلام على كثير من أحكام الله، وهدي نبيه، تصريحاً أو تلميحاً بالكراهية لها، فتنوعت أهوائهم بردها، تارةً بأنها ليست مُلزمة، وتارةً بأنها خاصة بزمان ولّى وانقضى، وكل هذا من محادّة الله ورسوله.

ومن وقع في شيء من المعاصي مقراً بذنبه كشارب الخمر ومقترف الزنا وآكل الربا مع اعتقاده حرمتها فهو كسائر العصاة المذنبين الذين هم تحت مشيئة الله إن شاء عذبهم وإن شاء عاقبهم.

ولا يلزم من ارتكاب الحرام بغض تحريمه، ولا من ترك الواجب بغض إيجابه، ومن ألزم بذلك فقد سلك مسلك الخوراج في تكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار.

والآيات والأحاديث والآثار في بيان أن مرتكب الكبيرة باقٍ على إسلامه لا يلزم من ارتكابه بغضه للتشريع أكثر وأشهر من أن تذكر، ومن ذلك ما رواه البخاري في «صحيحه» من طريق زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب أن رجلا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب فأتى به يوماً فأمر به فجلد فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله» فقد منع من لعنه فضلاً عن إلزامه بكره وبغض تحريم الخمر.

والكره الذي لا يقع على ذات التشريع، مما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ككره الزوجة أن يُعدِّد عليها زوجها، وككره المؤمنين للقتال لما فيه من فقد النفس والمال قال تعالى: [البَقَرَة: ٢١٦]{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ}.

ونحوه كره المتوضئ الوضوء في اليوم البارد، قال عليه الصلاة والسلام: «وإسباغ الوضوء على المكاره».

وهذا أمر فطري لا يملكه العبد، فالزوجة لم يقع كرهها على ذات التشريع، والحكم العام في الإسلام، وإنما كرهت أن يتزوج زوجها زوجة أخرى، تكون قسيمة وضرة لها.

والمقاتل إنما كره القتال لما جبلت عليه النفس من حب الحياة وكراهية الموت لكنه مقر بفضل القتال في الإسلام، وقوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ} [البقرة: ٢١٦] ، أي شديد عليكم ومشقة، فإن المجاهد إما أن يقتل أو يجرح مع مشقة السفر ومجالدة الأعداء".

((٦. من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه)).

قال الشيخ البراك في "شرح النواقض": " والاستهزاء : السخرية. والاستهزاء والسخرية تنم وتدل على الاحتقار والكراهة، فالشيء المعظم محل للثناء والتبجيل والتعظيم والإشادة، والاستهزاء والسخرية إنما يكون بالشيء المهين عند الساخر، وهكذا كان أعداء الرسل يسخرون ويستهزءون بأنبياء الله وبالمؤمنين : {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ } [المطففين: ٢٩]، وقال تعالى : {وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ } [الأنعام: ١٠] واليوم الموقف يتكرر، فقد نضحت ألسن المنافقين في الصحف والإذاعات بالاستهزاء البين والخفي بدين الله {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} [محمد: ٣٠]، فهذا ضرب من النفاق.

وقد تجد شخصا مسلما في الظاهر يصلي، ويصوم، ويتصدق ، ويحج؛ لكن تأتي مواقف، تراه فيها يسخر ويستهزيء بالصلاة وفاعلها ، وبمناسك الحج، ويقول: ما فائدة هذا الدوران حول هذه البنية، وما فائدة رمي هذا الحصى، هذا لعب! وهذا الكلام منه هو عين الكفر.

فالاستهزاء بالله أو برسوله أو بالقرآن أو بشيء مما جاء به الرسول ؛ يدل على التكذيب ، وإن لم يصرح بالتكذيب.

والذي يخالط الناس أو يقرأ ما يكتبون يجد من هذا شواهد كثيرة، ووسائل الإعلام مسرح وميدان للحن المنافقين : {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ} [البقرة: ١٤] ، قولهم بين المؤمنين: نحن إخوانكم، ونحن مؤمنون؛ هذا استهزاء بالمؤمنين { اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } [البقرة: ١٥] ، فحذاري حذاري من كلمة يفوه بها الإنسان لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار ، ويكتب الله بها عليه سخطه إلى يوم يلقاه .

وتقدم أن جميع أسباب الردة ترجع إلى أنها تناقض الشهادتين ، والشهادتان تقتضيان تعظيم الله ورسوله وما جاء به، والاستهزاء ضد ذلك، وذكر الشيخ الدليل على هذا التناقض قوله تعالى : {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ } [التوبة: ٦٥، ٦٦] ، وهذه الآيات جاء في سبب نزولها ؛ أن رجلا قال في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطون ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء؛ يعنى : النبي له والمؤمنين ! فسبُّوا الرسول ، وخيار أصحابه بالجبن والكذب والشَّرَهِ في الأكل، فأخبر الله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فجاء هذا القائل ليعتذر، فوجد القرآن قد سبقه، فقال : يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونلعب، فقال له رسول الله : { أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ }.

فهذا الرجل كان مؤمنا، أو كان عنده أصل الإيمان وإيمانه ضعيف فكفر، أو كان منافقا مظهرا لإيمان، ثم باح بالكفر.

فالخطر عظيم، ويجب على المسلم أن يحبس لسانه، ولا يمزح في أمر الدين، وفيما يتعلق بالله وأسمائه وصفاته، وفيما يتعلق بالقرآن وبالسنة، وهدي رسول الله ؛ لأن المزح معناه: الهزل ضد الجد، فالمزح والسخرية والضحك يكون فيما بين الناس في الأمور العادية . أما أن يتجاوز إلى الاستهزاء بالرب العظيم، أو برسوله الكريم، أو بدينه القويم؛ فهذا يخرج به الإنسان من الإسلام إلى الكفر".

<u>((٧. السحر ومنه العطف والصرف. والعطف ما يحبب أحد الزوجين في الآخر، والصرف ما يصرف أحد الزوجين عن الآخر)).</u>

الصرف: عمل سحري يقصد منه تغيير الإنسان عما يهواه كصرف الرجل عن محبة زوجته إلى بغضها.

العطف: عمل سحري يقصد منه ترغيب الإنسان فيما لا يهواه بطرق شيطانية.

قال الشيخ الراجحي في شرح النواقض: "السحر هو في اللغة: عبارة عما خفي ولطف سببه.

وفي الشرع: هو عبارة عن عزائم ورُقى وعُقد، وأدوية وتدخينات تؤثر في القلوب والأبدان فتمرُض وتقتل وتفرق بين المرء وزوجه.

وسمي السحر سحرًا؛ لأن الساحر يؤثر في الخفاء، يعمل عزائم أو رُقَى، أو عقد تؤثر في الخفاء في القلوب والأبدان، قد تؤثر بالمرض، وقد تؤثر بالقتل، وقد تؤثر بالتفريق بين الزوج وزوجه.

فالساحر الذي يتصل بالشياطين لا بد أن يقع في الشرك؛ لأن الساحر الذي يتصل بالشيطان بينهما خدمة متبادلة، وهناك عقد، يعقد الشيطان الجني مع الساحر عقد، بمقتضى هذا العقد يكفر الإنسي الساحر، ولا بد أن يكفر، لأن الشيطان يطلب منه أن يتقرب إليه بالشركيات التي يريدها: كأن يطلب منه أن يلطخ المصحف بالنجاسة، أو يبول على المصحف، أو يذبح له.

فإذا فعل الشركَ الساحرُ خَدَمَه الجني بأن يستجيب لمطالبه، إذا أمره أن يلطم شخصا لطمه، أن يقتل شخصا قتله. أن يأتي له بشيء، يأتي له بالأخبار وغيرها لكن لا يستطيع الجني أن يفعل شيئا إلا بإذن الله الكوني القدري قال تعالى: ؟وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ؟ [البقرة/ ١٠٢].

فإذًا السحر شرك، فمن فعل السحر: تعلمه، أو علمه، أو فعله، أو رضي به، كفر؛ لأن الراضي كالفاعل، من رضي بالشرك فهو مشرك، والدليل قول الله تعالى: ؟وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ؟ [البقرة :١٠٢] في قصة الملَكين اللذين أُنْزِلَا إلى الأرض وفُتِنَا، فإذا جاءهما أحد يطلب أن يعلِّمَاه السحر نصحاه ونَهَيَاه أشد النهي، وقالا له: ؟إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ؟ [البقرة/ ١٠٢] فإذا أصر علماه.

ولقول الله عز وجل: ؟وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ؟ [البقرة/ ١٠٢] فكفروا بتعليم الناس السحر، فالسحر كفر ورِدّة، من فعل السحر أو رضي به فهو كافر.

(ومنه الصرف والعطف) الصرف: يصرف المرأة عن زوجها، والزوج عن امرأته، يعمل لهم سحرا بحيث إن الرجل إذا جاء إلى امرأته رآها في صورة قبيحة، فينفر منها، ولا يريد أن يقربها. أو الزوجة يكرِّهها في زوجها، إذا رأت زوجها رأته في صورة قبيحة، ما تطيق النظر إليه، فيحصل الفراق بينهما، ليس في أحدهما ما ينفر الآخر، لكن الساحر عمل لهما سحرا، فهذا هو الصرف، صرفها عنه، وصرفه عنها.

والعطف بالعكس، العطف يعني: يحبِّب المرأة، يجعل له سحرا بحيث إنه يميل إلى المرأة، ويحسنها ولو كانت قبيحة، ولو كانت دميمة الخلقة، يجعلها من أحسن الناس وأجمل الناس، وكذلك أيضاً إذا سحر المرأة يجعلها تنظر إلى زوجها أنه أحسن الناس، وأجمل الناس وإن كان كريها، وإن كان دميم الخلقة، هذا هو العطف، عطَفَها عليه، وعطفه عليها، فهذا من السحر.

ومنه التِّوَلَة، وهو شيء يصنعه السحرة، ويعطونه للزوج أو للزوجة يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته".

قال العلامة الشنقيطي – رحمه الله – في أضواء البيان عند قوله تعالى : { وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى } ما مختصره : [مسائل تتعلق بهذه الآية الكريمة.

المسألة الأولى :

اعلم أن السحر يطلق في اللغة على كل شيء خفى سببه ولطف ودق. ولذلك تقول العرب في الشيء الشديد الخفاء: أخفى من السحر. ولهذا قيل لملاحة العينين: سحر ؛ لأنها تصيب القلوب بسهامها في خفاء.

قال ابن كثير: لأن السحر في اللغة عبارة عما لطف وخفي سببه، ولهذا جاء في الحديث «إن من البيان لسحراً» وسمي السحور سحوراً لكونه يقع خفياً آخر الليل. والسحر: الرئة وهي محل الغذاء، وسميت بذلك لخفائها ولطف مجاريها إلى أجزاء البدن وغضونه، كما قال أبو جهل يوم بدر لعتبة: انتفخ سحره، أي انتفخت رئته من الخوف.

وقالت عائشة رضي الله عنها: «توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري ». وقال تعالى: {سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ} أي أخفوا عنهم عملهم ".

المسألة الثانية :

اختلف العلماء في السحر هل هو حقيقة أو هو تخييل لا حقيقة له.

والتحقيق أن منه ما هو حقيقة ، ومنه ما هو تخييل .

المسألة الثالثة :

اختلف العلماء فيمن يتعلم السحر ويستعمله فقال بعضهم: إنه يكفر بذلك، وهو قول جمهور العلماء منهم مالك وأبو حنيفة وأصحاب أحمد وغيرهم. وعن أحمد ما يقتضي عدم كفره. وعن الشافعي أنه إذا تعلم السحر قيل له صف لنا سحرك. فإن وصف ما يستوجب الكفر مثل سحر أهل بابل من التقرب للكواكب، وأنها تفعل ما يطلب منها فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر، وإلا فلا. وأقوال أهل العلم في ذلك كثيرة معروفة.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: التحقيق في هذه المسألة هو التفصيل. فإن كان السحر مما يعظم فيه غير الله كالكواكب والجن وغير ذلك مما يؤدي إلى الكفر فهو كفر بلا نزاع، ومن هذا النوع سحر هاروت وماروت المذكور في سورة «البقرة» فإنه كفر بلا نزاع. كما دل عليه قوله تعالى: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلكن الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} ، وقولـه تعالى: {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ} ، وقوله: {وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِى الأٌّخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ} ، وقوله تعالى: {وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} كما تقدم إيضاحه. وإن كان السحر لا يقتضي الكفر كالاستعانة بخواص بعض الأشياء من دهانات وغيرها فهو حرام حرمة شديدة ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر. هذا هو التحقيق إن شاء الله تعالى في هذه المسألة التي اختلف فيها العلماء.

المسألة الرابعة :

اعلم أن العلماء اختلفوا في الساحر هل يقتل بمجرد فعله للسحر واستعماله له أولاً؟ قال ابن كثير في تفسيره: قال ابن هبيرة: وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله له؟ فقال مالك وأحمد: نعم. وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا. فأما إن

قتل بسحره إنساناً فإنه يقتل عند مالك والشافعي وأحمد. وقال أبو حنيفة: لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك. أو يقر بذلك في حق شخص معين. وإذا قتل فإنه يقتل حداً عندهم إلا الشافعي فإنه قال: يقتل والحالة هذه قصاصاً.

والتحقيق في هذه المسألة إن شاء الله تعالى أن السحر نوعان منه ما هو كفر، ومنه ما لا يبلغ بصاحبه الكفر، فإن كان الساحر استعمل السحر الذي هو كفر فلا شك في أنه يقتل كفراً؟ لقوله صلى الله عليه وسلم: «من بدل دينه فاقتلوه».

وأظهر القولين عندي في استتابته أنه يستتاب، فإن تاب قبلت توبته. وقد بينت في كتابي (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) في سورة «آل عمران» أن أظهر القولين دليلاً أن الزنديق تقبل توبته؟ لأن الله لم يأمر نبيه ولا أمته صلى الله عليه وسلم بالتنقيب عن قلوب الناس؟ بل بالاكتفاء بالظاهر. وما يخفونه في سرائرهم أمره إلى الله تعالى. خلافاً للإمام مالك رحمه الله وأصحابه القائلين بأن الساحر له حكم الزنديق؛ لأنه مستمر بالكفر والزنديق لا تقبل توبته عنده إلا إذا جاء تائباً قبل الاطلاع عليه.

وأما إن كان الساحر عمل السحر الذي لا يبلغ بصاحبه الكفر، فهذا هو محل الخلاف بين العلماء. والأظهر عندي أن الساحر الذي لم يبلغ به سحره الكفر ولم يقتل به إنساناً أنه لا يقتل. لدلالة النصوص القطعية، والإجماع على عصمة دماء المسلمين عامة إلا بدليل واضح. وقتل الساحر الذي لم يكفر بسحره لم يثبت فيه شيء عن النَّبي صلى الله عليه وسلم، والتجرؤ على دم مسلم من غير دليل صحيح من كتاب أو سنة مرفوعة غير ظاهر عندي. والعلم عند الله تعالى، مع أن القول بقتله مطلقاً قوي جداً لفعل الصحابة له من غير نكير.

المسألة الخامسة :

اعلم أن الناس اختلفوا في تعلم السحر من غير عمل به. هل يجوز أو لا؟ والتحقيق وهو الذي عليه الجمهور: هو أنه لا يجوز، ومن أصرح الأدلة في ذلك تصريحه تعالى بأنه يضر ولا ينفع في قوله: {وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ} وإذا أثبت الله أن السحر ضار ونفى أنه نافع فكيف يجوز تعلم ما هو ضرر محض لا نفع فيها؟

المسألة السادسة :

اعلم أن العلماء اختلفوا في حل السحر عن المسحور. والتحقيق الذي لا ينبغي العدول عنه في هذه المسألة: أن استخراج السحر إن كان بالقرآن كالمعوذتين، وآية الكرسي ونحو ذلك مما تجوز الرقيا به فلا مانع من ذلك. وإن كان بسحر أو بألفاظ عجمية، أو بما لا يفهم معناه، أو بنوع آخر مما لا يجوز فإنه ممنوع. وهذا واضح وهو الصواب إن شاء الله تعالى كما ترى".

<u>((٨. مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين)).</u>

قال الشيخ البراك: " مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين معاونتهم على المسلمين بشتى طرق المعاونة، وشرها معاونتهم على قتال المسلمين، فالشيخ يقول : إنه من نواقض الإسلام، ويستدل على ذلك بقوله سبحانه : { وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَّ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [المائدة: ٥١]. وظاهره الإطلاق، وأن أي معاونة للكفار على المسلمين، فإنها كفر وردة، وناقض من نواقض الإسلام.

فأما إذا كانت المظاهرة للكفار على المسلمين نابعة عن بغض للإسلام والمسلمين والرغبة في إذلال المسلمين؛ فهذا هو عمل المنافقين، قال تعالى : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ} [الحشر: ١١، ١٢].

وأما إذا كانت المظاهرة ليست في أمور القتال، وإنما في أمر من الأمور التي قد تحقق للكفار مصلحة، وتكون هذه المعاونة لغرض دنيوي؛ إما رغبة أو رهبة مع بغض الكفار والبراءة من دينهم ؛ فهذه فيها نظر، ويمكن أن يستدل على أن ذلك لا يكون كفرا بقصة حاطب بن أبى بلتعة رضي الله عنه؛ وذلك أن حاطبا كان من المهاجرين، وكان ممن شهد بدرا ، وكان له بمكة أولاد ومال، ولم يكن من قريش أنفسهم؛ بل كان حليفة لهم، فلما عزم رسول الله على فتح مكة حين نقض أهلها العهد، فأمر النبي و المسلمين بالتجهز لغزوهم، وقال: «اللهم عم عليهم خبرنا»، فعمد حاطب فكتب كتابة وبعثه إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوهم ليتخذ بذلك عندهم يدا، فأطلع الله تعالى على ذلك رسول الله استجابة لدعائه ، فبعث عليا والزبير والمقداد قال : «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها»، قال علي : فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة ، فقلنا : أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، قلنا : لتخرج الكتاب أو لنلقي الثياب ، قال : فأخرجت الكتاب من عقاصها، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ، فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ، فقال رسول الله : «يا حاطب ما هذا؟ !» ، قال : لا تعجل علي، إني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفر ولا ارتداد عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه صدقكم»، فقال عمر رضي الله عنه : دعني أضرب عنق هذا المنافق ! فقال رسول الله : «إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»، فأنزل الله قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} [الممتحنة: ١] إلخ السورة ، وقد ختمت السورة بمثل البداية، قال تعالى : { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ } [الممتحنة: ١٣]".

((٩ . من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم)).

قال الشيخ الطريفي : " وهذا الناقض يتضمن ما ذكره المؤلف في الناقض الثالث وهو قوله: (من لم يُكفِّر المُشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم)، فمن اعتقد أن أحداً من الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله

عليه وسلَّم، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام، فهو لم يُكفر ما دان به من دين غير الإسلام، ولكن هذا الناقض أوسع.

وهذا الناقض يتضمن إنكاراً لنصوص الكتاب والسنة التي تبين عموم الرسالة التي أرسل بها نبي الأمة صلى الله عليه وسلم، وإبطالاً لها، فقد أرسله الله للناس كافه.

قال تعالى : [سَبَإ: ٢٨]{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} أي إلا إلى جميع المكلفين من الخلق.

وقال تعالى : [الأعرَاف: ١٥٨]{قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِّ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} .

وقال تعالى : [الفُرقان: ١]{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} .

بشيراً ونذيراً أي تبشر من أطاعك وأمتثل أمرك بالجنة وتنذر من عصاك بالنار.

قال تعالى : [آل عِمرَان: ١٩]{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهَّ الإِْسْلاَمُ} أي لا دين عند الله يقبله سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بنبي هذه الأمة محمد صلى الله عليه وسلم الذي سد جميع الطرق إلى الله إلا من جهته فمن لقي الله بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بدين غير شريعته فليس بمتقبل منه ذلك كما قال تعالى: [آل عِمرَان: ٨٥]{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِْسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} .

قد ثبت في «الصحيح» عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فضلت على الأنبياء بست، أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون».

وفي «الصحيح» أيضاً من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بعثت إلى الأسود والأحمر.

وروى أحمد في «مسنده» من حديث مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتابٍ أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه النبي صلى الله عليه وسلم فغضب فقال: «أمتهوكون فيها يا بن الخطاب!، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيءٍ فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى صلى الله عليه وسلم كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني» .

ومن رد وأنكر شيئاً من الأحكام في القرآن أو السنة الثابتة المعلومة بالضرورة ولو نصاً واحداً فقد كفر، فكيف بمن رد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالجملة.

ومن آمن بشريعة محمد فيلزمه الإيمان بعموم رسالته، وآوامره ونواهيه، وإلا لم ينفعه إيمانه ذلك.

وقد قال صلى الله عليه وسلم كما في «الصحيح» من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»...

قال ابن حزم الأندلسي في «الإحكام»: (٥/ ١٠٩) : (إنما أوجب النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان به على من سمع بأمره صلى الله عليه وسلم فكل من كان في أقاصي الجنوب والشمال والمشرق وجزائر البحور والمغرب

وأغفال الأرض من أهل الشرك فسمع بذكره صلى الله عليه وسلم ففرض عليه البحث عن حاله وإعلامه والإيمان به) انتهى المقصود منه.

وقد ثبت بالتواتر بالوقائع المتعددة أنه صلى الله عليه وسلم بعث كتبه ورسله يدعو ملوك الآفاق والبلدان وطوائف بني آدم من عربهم وعجمهم كتابيهم وأميهم إلى شريعته التي نسخت سائر الشرائع، امتثالاً لأمر الله له بذلك".

((١٠ . الإعراض عن دين الله، لا يتعلمه ولا يعمل به)).

قال الشيخ البراك: "من ضروب الكفر: كفر الإعراض، فمن الكفار من يُعرض عن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لا يصغي لها ولا يدري عنها، يُدعى فلا يُصغي، ولا يتفكر ولا يتأمل.

ثم إذا كان الإنسان مظهرا للإسلام شاهدا للشهادتين، لكنه أعرض عن دين الله، فلا يهمه حلال ولا حرام، ولا يعمل بشيء من دين الله، ولا يسأل عن شيء، فهو لا يصلي، ولا يصوم، ولا يحج، ولا يتصدق لله، ولا يذكر الله ، ولا يتلو شيئا من القرآن، ولا يترك الزنا خوفا من الله، ولا يترك شرب الخمر خوفا من الله ، فإن تركه؛ فإنما لأنه لا يتهيأ له، فهل يمكن أن يكون مسلم ؟!

لا يمكن أبداً ؛ لأن هذا الإعراض الكلي مناقض للشهادتين ، فلو كان صادقا لعمل بشيء من دين الله .

والكلام على هذا غير الكلام على بعض الأعمال التي يختلف أهل العلم : هل تركها كفر أم لا؟ كالصلاة مثلا، فهذا موضوع آخر، فترك الصلاة فيه خلاف بين أهل العلم ...

واستدل الشيخ لهذا الناقض بقوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ } [السجدة: ٢٢] ، وفي الآية الثانية: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا } [الكهف: ٥٧] ، وقال سبحانه وتعالى : {وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ} [الأحقاف: ٣] ، فهذا الذي يدعي الإسلام، ويشهد الشهادتين، ثم هو معرض كل الإعراض عن دين الله، هذا الإعراض يكذب ما يدعيه من شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمدا رسول الله، وهذا النوع تجده إن عمل شيئا ؛ عمله نفاقا ، فإذا صار بين الناس وقاموا يصلون قام يصلي أما إذا خلا، فلا يصلي ولا يصوم ؛ لأن هذه أعمال لا يفعلها الإنسان خالية إلا إذا كان مؤمن بالله ورسوله، وبأنها أعمال صالحة تنفعه".

((قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: لا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطراً، وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه)).

وقال في " كشف الشبهات (ص: ٥٦): "بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأخذ أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها. والآية الثانية قوله تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ –

ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ} [النحل: ١٠٦ - ١٠٧] فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئنا بالإيمان، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعله خوفا أو مداراة أو مشحة بوطنه، أو أهله، أو عشيرته أو ماله، أو فعله على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره، فالآية تدل على هذا من جهتين: الأولى قوله: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ} [النحل: ١٠٦] فلم يستثن الله تعالى إلا المكره. ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل. وأما عقيدة القلب فلا يكره عليها أحد. والثانية قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ} [النحل: ١٠٧] فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا فآثره على الدين".

وقال الشيخ الراجحي: "يقول المؤلف: لا فرق بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره، فعندنا حالات: أولا: فعل ناقضا من نواقض الإسلام، فعله هازلا، مثل شخص استهزأ بالصلاة، استهزأ بالدين، يمزح يسخر، يكفر أو لا يكفر؟ الجواب: يكفُر.

شخص جاد، يسخر بالدين جازما، يكفُر، سواء كان ساخرا أو جادا، شخص آخر فعل ناقضا من نواقض الإسلام خائفا على نفسه، أو خائفا على ماله، أو على ولده، يكفر، ولو كان خائفا، فقد فعل ناقضا، سبّ الإسلام، وسب دين الإسلام عند شخص حتى يبقى ماله لا يؤخذ؛ لأنه يخشى إذا ما سب الإسلام أُخِذَ ماله، يخشى على ماله، أو يخشى على نفسه أو على ولده، يكفر أو لا يكفُر؟ يكفر.

فإذًا من فعل ناقضا من نواقض الإسلام هازلا يكفُر، جادًّا، يكفُر، خائفا، يكفر، إلا المُكره، إذا فعلها مع الإكراه بشرط أن يكون قلبه مطمئنا بالإيمان.

أما إذا اطمئن قلبه بالكفر فيكفر أيضا، مثل إنسان وضع السيف على رقبته وقيل: تكفر وإلا قتلناك، هذا إذا تكلم بكلمة الكفر بشرط أن يكون قلبه مطمئنا بالإيمان، لا يكفُر.

أما إذا لما وضع السيف على رقبته جازما بالكفر والعياذ بالله، كفر وقلبه مطمئن بالكفر يكفر أيضاً نعوذ بالله.

فتكون الحالات خمساً: أربع حالات يكفر، والخامسة لا يكفر:

الحالة الأولى: فعل الكفر، أو ناقضاً من نواقض الإسلام: مازحاً هازلاً يكفر.

الحالة الثانية: فعل الكفر، أو ناقضاً من نواقض الإسلام جادًّا، يكفُر.

الحالة الثالثة: فعل الكفر خائفاً، يكفُر.

الحالة الرابعة: فعل الكفر مكرهاً، واطمئن قلبه بالكفر، لمّا أُكره جاز له الكفر، يكفُر

الحالة الخامسة: فعل الكفر مكرهاً، واطمئن قلبه بالإيمان، لا يكفُر.

تكون خمس حالات، أربع حالات يكفُر، والحالة الخامسة لا يكفُر، ما الدليل؟ قد يقول بعض الناس: إنه خائف على نفسه أو أهله أو ماله، يتكلم بكلمة الكفر حتى يبقى ماله، نقول: هذا كفر، قال تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} [النحل/ ١٠٦]

إذًا استثنى الرب سبحانه وتعالى حالة واحدة، المُكره، بشرط أن يكون قلبه: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} وقال الله سبحانه: {وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ ولهمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ} [النحل/ ١٠٦ – ١٠٧].

فالذي يكفر لأجل المال أو خوفا على ماله أو أهله، فقد استحب الدنيا على الآخرة قدم الدنيا على دينه {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ}. [النحل/ ١٠٧]

وكذلك إذا فعل الكفر هازلا، وكذلك إذا فعله جادا، وكذلك إذا فعله مكرها واطمئن قلبه بالكفر، ولا يستثنى إلا المكره إذا اطمئن قلبه بالإيمان.

والمراد بالمكره، ما كان تحت التهديد، أي: يكون إكراها ملجما بأن يوضع السيف على رقبته، أو يهدد من شخص قادر، أو يعلم أنه ينفذ في الحال، فهذا يكون مكرها!

فإذا اطمئن قلبه بالإيمان فلا يضر كونه يتكلم بكلمة الكفر، أو يفعل الكفر، أما مسألة الخوف، أي: مجرد الخوف فقط، فهذا لا يبيح له الكفر، الخوف على نفسه أو أهله أو ماله؛ فإنه يكون كافرا".

خاتمة: إثبات هذه النواقض لا يستلزم تكفير المعين:

قال الشيخ سليمان العلوان في خاتمة شرحه على النواقض: "إذا علم ما تقدم من النواقض التي تحبط الأعمال وتجعل صاحبها من الخالدين في النار، فليعلم أن المسلم قد يقول قولاً أو يفعل فعلاً قد دل الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على أنه كفر ورده عن الإسلام، ولكن لا تلازم عند أهل العلم بين القول بأن هذا كفر وبين تكفير الرجل بعينه.

فليس كل من فعل مكفراً حكم بكفره؛ إذ القول أو الفعل قد يكون كفراً، لكن لا يطلق الكفر على القائل أو الفاعل إلا بشرطه؛ لأنه لا بد أن تثبت في حقه شروط التكفير، وتنتفى موانعه؛ فالمرء قد يكون حديث عهد بإسلام، وقد يفعل مكفراً ولا يعلم أنه مكفر، فإذا بُيِّنَ له؛ رجع وقد ينكر شيئاً متأولاً أخطأ بتأويله.. وغير ذلك من الموانع التي تمنع من التكفير.

وهذا أصل عظيم، يجب تفهمه والاعتناء به؛ لأن التكفير ليس حقًّا للمخلوق، يكفر من يشاء على وفق هواه، بل يجب الرجوع في ذلك إلى الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، فمن كفّره الله ورسوله، وقامت عليه الحجة؛ فهو كافر، ومن لا فلا.

وفي "الصحيحين" وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: "أسرف رجل على نفسه، فلما حضره الموت؛ أوصى بنيه؛ فقال: إذا أنا مُتُّ؛ فأحرقوني، اسحقوني، ثم ذروني في الريح في البحر، فو الله، لئن قدر عليَّ ربي؛ ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً". قال: " ففعلوا ذلك به، فقال للأرض أدى ما أخذت. فإذا هو قائم، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: خشيتك يا رب (أو قال مخافتك)! فغفر له بذلك."

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "الفتاوى" (٣/ ٢٣١): فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذُرِّي، بل اعتقد أنه لا يُعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه،

فغفر له بذلك، والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أولى بالمغفرة من مثل هذا."

وقال رحمه الله في "المسائل الماردينية": (ص ٧١): وحقيقة الأمر في ذلك: أن القول قد يكفر كفراً، فيطلق القول بتكفير صاحبه، فيقال: من قال كذا؛ فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها."

والحاصل أن مذهب أهل التحقيق التفريق بين تكفير الفعل وبين تكفير الفاعل، وكذلك الأمر في التبديع هناك فرق بين تبديع القول أو الفعل وبين تبديع القائل أول الفاعل فليس كل من فعل بدعة صار مبتدعاً.

ومن نظر في سيرة السلف؛ عرف حقيقة هذا القول، وعلم أن مذهبهم وهذه طريقتهم، ورأى ما هم عليه من العدل والإنصاف وقول الحق والحرص على هداية الخلق، لما خصهم الله به من العلم النافع والعمل الصالح، وهذا هو الواجب على جميع الخلق: أن يكون قصدهم بيان الحق وإزهاق الباطل مع العدل والإنصاف؛ ليكون الدين كله لله".

٤ . العبادة (حقيقتها وشروطها):

تعريف العبادة لغة:

((أصل معنى العبادة والعبودية في اللغة الذل والخضوع)) العبادة: الطاعة مع الخضوع – قال الراغب: (العبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل).

وقال الزجاج (ومعنى العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع) وقال الجوهري (أصل العبودية: الخضوع والتذلل) **((والتعبيد: التذليل، يقال: طريق معبد إذا كان مذللاً))** للسالكين قد أزيل عنه الأحجار والأشجار المؤذية **((وطئته الأقدام))** وبعيرٌ مُعَبَّدٌ: مُذَلَّلٌ.

((والعبادة: الطاعة والتعبد والتنسك)).

كذا بالأصل وصواب العبارة كما في الصحاح: " والعِبادة: الطاعةُ. والتَعَبُّدُ: التَنَسُّكُ".

((وقد تنوعت عبارات العلماء في تعريفها، ومن التعريفات الجيدة للعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، ولها أنواع كثيرة لا يمكن الإحاطة بها، ومنها ما يكون بالقلب، ومنها ما يكون باللسان، ومنها ما يكون بالجوارح، فمما يكون بالقلب: المحبة والخوف والرجاء، ومما يكون باللسان: الدعاء والاستعانة وقراءة القرآن، ومما يكون بالجوارح الصلاة والركوع والسجود ونحو ذلك)) وعلى هذا فالعبادة بمفهومها الواسع تشمل كل مناحي الحياة والدين، فكل عمل ابتغي به وجه الله فهو من العبادة. فهي تشمل الأمور التالية:

١ – الفرائض وشعائر الإسلام الظاهرة كالصلاة والزكاة وغيرها وما زاد على ذلك من النوافل والتطوع ووجوه القربات.

٢- وتشمل أيضاً الأخلاق الفاضلة التي تسعد المجتمع كصلة الأرحام والوفاء بالعهود والإحسان لليتيم وغير ذلك.

٣- وتشمل الأعمال القبلية التي هي من أصول الإيمان كحب الله وخشيته والتوكل عليه.

٤- وتشمل سياج الأمة وحصنها الأكبر ألا وهو الجهاد في سبيل الله وقتال المارقين والمنافقين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- بل وتشمل العبادة كل عمل نافع يقصد به فاعله ابتغاء رضا الله والحصول على الأجر كإطعام البهائم والإحسان إلى المملوك. وتشمل الحاجات الضرورية التي يقصد منها الحفاظ على النوع الإنساني كالأكل والشرب وتمتع الزوج مع زوجته وغير ذلك.

وبهذا يظهر خطأ في قصر العبادة على بعض جوانبها وإهمال الأخرى. كمن يهتم بالأعمال الظاهرة مثلاً ويهمل من أعمال القلوب كحب الله والإنابة إليه ما هو من أعظم أصول الدين، ويظن بعض المتدينين أنه إذا أتى بالأعمال الظاهرة فهو مؤمن ولو علق قلبه بغير الله حباً ورجاء كرئاسة أو جاه أو مال ونحو ذلك. فليست الأعمال الباطنة بأقل أهمية من الأعمال الظاهرة، والدين كل لا يتجزأ[1].

وهذا التعريف الذي ذكره الماتن إنما هو باعتبار اسماً، فهي تعني: المتعبد به.

والعبادة لها إطلاقات أربع:

فللعبادة معان بحسب ما تتعلق به، وبحسب كونها مصدراً أو اسماً، وبحسب المتوجه بها إليه، وبحسب ما يلاحظ فيها من حق، فهذه أربعة إطلاقات:

الإطلاق الأول: إطلاقات العبادة بحسب ما تتعلق به:

فالعبادة من حيث تعلقها بعموم الخلق وخصوصهم تنقسم إلى عبادة عامة كونية وإلى خاصة شرعية.

فالعبادة العامة: هي عبادة القهر والملك وهي تشمل أهل السموات والأرض كلهم مؤمنهم وكافرهم، فالجميع عبيد مربوبون لله قال الله تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا} [مريم: ٨٨ - ٩٣] .

وأما العبادة الخاصة الشرعية، فهي عبادة الطاعة والخضوع والذل والمحبة الاختيارية، وهي خاصة لمن وفقه الله من المكلفين من الأنبياء والمرسلين وعامة المؤمنين بهم.

ومن الآيات الواردة فيها قول الله تعالى: {يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ}[الزخرف: ٦٨] وقوله: {فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} [الزمر: ١٧ - ١٨] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

---

(1) منهج شيخ الإسلام في العبادة والتزكية لعبد الله الحيالي.

الإطلاق الثاني: إطلاقات العبادة بحسب الاسمية والمصدرية:

فالعبادة باعتبارها مصدراً تعني التعبد، وهو فعل العابد وتعريفها: (التذلل لله محبة وتعظيماً بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه) .

وأما باعتبارها اسماً، فهي تعني: المتعبد به وتعريفها: (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة) وهذا الذي ذكره الماتن هنا .

والإطلاق الثالث للعبادة:

هو باعتبار المتوجه بها إليه: فمن توجه بعبادته لله تعالى كانت هذه العبادة توحيداً، ومن توجه بها إلى غير الله كانت شركاً، فعن الثاني يقول الله جل وعلا فيمن دعا غيره: {ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ} [فاطر: ١٣ – ١٤] فدعاؤهم لغير الله عبادة لهم، وسماها الله تعالى شركاً، وهكذا كل عبادة من صلاة وصيام وزكاة وحج وغير ذلك إذا توجه بها صاحبها إلى الله تعالى كان ذلك توحيداً، وإذا صرفها إلى غير الله تعالى كانت شركاً.

الإطلاق الرابع للعبادة: باعتبار ما يُلاحظ فيها من حق: فإن العبادة قد تطلق على معنى أخص وهو ما يقابل المعاملات، ولذلك فإن الفقهاء في كتب الفقه يدرجون أبواباً في قسم العبادات وهي: الصلاة والزكاة والصيام والحج، وما عداها في باب المعاملات وهذا لا يعني أن العبادات منحصرة في المذكورات فقط بل تشمل غيرها، بل إن المعاملات نفسها داخلة في مسمى العبادة العام وذلك من جهة التزامها وفق الشرع[٧].

((ويشترط لقبول العبادة شرطان، يترتبان بعد دخول العبد في الإسلام)) وهذا شرط أساسي في قبول جميع الأعمال الصالحة والكافر لا تصح منه نية، وقال الله تعالى: "ومَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أو أنْثى وهوَ مُؤمِن فأولَئِكَ يَدخلونَ الجنّة" فالله تعالى شرَطَ لِقَبول الأعمال الصالحة الايمانَ بقوله "وهُوَ مُؤمِن" وبدليل ما جاء في صحيح البخاريّ عن البراء رضي الله عنه، يقول: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل مقنع بالحديد، فقال: يا رسول الله أقاتل أو أسلم؟ قال: «أسلم، ثم قاتل»، فأسلم، ثم قاتل، فقتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عمل قليلا وأجر كثيرا».

الكفار مخاطبون بفروع الشريعة:

قال الشنقيطي في "أضواء البيان" (_٧/ ١١٤): "قوله تعالى: (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) قد استدل بعض علماء الأصول بهذه الآية الكريمة، على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة؛ لأنه تعالى صرح في هذه الآية الكريمة، بأنهم مشركون، وأنهم كافرون بالآخرة، وقد توعدهم بالويل على شركهم وكفرهم بالآخرة، وعدم إيتائهم الزكاة، سواء قلنا إن الزكاة في الآية هي زكاة المال المعروفة، أو زكاة

---

٧) انظر الموسوعة العقدية.

الأبدان بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، ورجح بعضهم القول الأخير لأن سورة فصلت هذه، من القرآن النازل بمكة قبل الهجرة، وزكاة المال المعروفة إنما فرضت بعد الهجرة سنة اثنتين.

وعلى كل حال، فالآية تدل على خطاب الكفار بفروع الإسلام، أعني امتثال أوامره واجتناب نواهيه، وما دلت عليه هذه الآية الكريمة، من كونهم مخاطبين بذلك وأنهم يعذبون على الكفر، ويعذبون على المعاصي، جاء موضحا في آيات أخر كقوله تعالى عنهم مقررا له: (ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخآئضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين) فصرح تعالى عنهم، مقررا له أن من الأسباب التي سلكتهم في سقر، أي أدخلتهم النار، عدم الصلاة، وعدم إطعام المسكين، وعد ذلك مع الكفر بسبب التكذيب بيوم الدين، ونظير ذلك قوله تعالى: (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) ثم بين سبب ذلك فقال: (إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم هاهنا حميم ولا طعام إلا من غسلين) إلى غير ذلك من الآيات".

<u>معنى مخاطبتهم:</u>

قال الشيخ العثيمين في تفسير سورة البقرة عند قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) [البقرة: ١٦٨]

: (من فوائد الآية أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة؛ لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ)؛ وهم داخلون في هذا الخطاب؛ ومخاطبتهم بفروع الشريعة هو القول الصحيح؛ ولكن ليس معنى خطابهم بها أنهم ملزمون بها في حال الكفر؛ لأننا ندعوهم أولاً إلى الإسلام، ثم نلزمهم بأحكامه؛ وليس معنى كونهم مخاطبين بها أنهم يؤمرون بقضائها؛ والدليل على الأول قوله تعالى: (وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ) [التوبة: ٥٤]؛ فكيف نلزمهم بأمر لا ينفعهم؛ هذا عبث، وظلم؛ وأما الدليل على الثاني فقوله تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ) [الأنفال: ٣٨]؛ ولهذا لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أحداً ممن أسلم بقضاء ما فاته من الواجبات حال كفره؛ والفائدة من قولنا: إنهم مخاطبون بها – كما قال أهل العلم – زيادة عقوبتهم في الآخرة؛ وهذا يدل عليه قوله تعالى: (إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧)) [المدثر: ٣٩ – ٤٧]).

<u>((وهما:</u>

<u>١. أن لا يعبد إلا الله، بأن تكون العبادة خالصة لله وحده.</u>

<u>٢. أن لا يعبد سبحانه إلا بما شرع بأن تكون العبادة موافقة لشرعه)).</u>

قال الشيخ أحمد فريد: "قال بعض السلف: ما من فعلة وإن صغرت إلا ونشر لها ديوانان: لم وكيف؟ أي لم فعلت هذا الفعل؟ وهل أردت به وجه الله عز وجل وحده أم أشركت معه غيره؟ وكيف فعلت هذا الفعل؟ وهل هو مطابق لسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم هو من البدع المحدثات؟ وكل بدعة ضلالة.

فيشترط لقبول العمل شرطان: الشرط الأول: الإخلاص.

الشرط الثاني: متابعة سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

دل على هذين الشرطين قوله عز وجل: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف:١١٠] فالعمل الصالح هو الموافق لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله: {وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف:١١٠] أي: يكون هذا العمل صادراً عن إخلاص.

وقوله عز وجل: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ} [النساء:١٢٥]، فإسلام الوجه هو إخلاص القصد والنية، والإحسان هو متابعة سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال عز وجل: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الملك:٢] لم يقل الله عز وجل: أكثر عملاً، بل قال: ((أحسن عملاً)) فالامتحان في حسن العمل وليس في كثرته.

قال الفضيل بن عياض: أخلصه وأصوبه، فإن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل.

فهذان شرطان لقبول أي عمل، فينبغي للعبد أن يوفر هذين الشرطين: الإخلاص، والمتابعة.

الإخلاص

قيل في تعريف الإخلاص: هو إفراد الله عز وجل بالقصد في العبادة، أي: أن يعمل العبد العمل لا يريد به إلا وجه الله عز وجل.

وقيل: هو تجريد قصد التقرب إلى الله عز وجل من جميع الشوائب.

وقيل: هو نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق.

هذه معاني الإخلاص.

وقد يظن ظان بأن الإخلاص أمر يسير يتيسر لكل عبد في كل حال، في حين أن العلماء يقولون: تخليص النيات على العمال أشق عليهم من جميع الأعمال.

وقال بعضهم: إخلاص ساعة نجاة الأبد، ولكن الإخلاص عزيز.

وقيل للإمام سهل: يا أبا محمد! أي شيء أشد على النفس؟ قال: الإخلاص؛ إذ ليس لها فيه نصيب.

فالنفس تحب الظهور والمدح والرياسة، وزينت لها الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، فحتى يتيسر للعبد الإخلاص وتختم به أعماله ينبغي عليه أن يقطع حب الدنيا من قلبه، وأن يملأه بحب الله عز وجل، فيكون المحرك له من داخله محبة الله عز وجل وإرادة الدار الآخرة، فعند ذلك يتيسر عليه الإخلاص، وأما غيره فباب الإخلاص مسدود عليه إلا في النادر.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: لو أعلم أن الله عز وجل يقبل مني سجدة بالليل وسجدة بالنهار لطرت شوقاً إلى الموت، إن الله عز وجل يقول: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة:٢٧].

فالإخلاص من أشد الأشياء على النفس.

وقال عز وجل: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان:٢٣] فكل عمل كان بإرادة غير الله مشوباً مغموراً يجعله الله عز وجل يوم القيامة هباءً منثوراً.

وقال عز وجل: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة:٥].

وقال عز وجل: {أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} [الزمر:٣]، أي: لا يقبل الله عز وجل إلا الدين الخالص.

وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم: (أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر – أي المدح – فما له؟ قال: لا شيء له، فأعادها السائل عليه ثلاث مرات، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا شيء له. ثم قال صلى الله عليه وسلم: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه).

وقال صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى) أي أن العمل مهما كان موافقاً للسنة فإنه لا يُقبل إلا بتوفر النية الصالحة.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات) يخص الطاعات والمباحات دون المعاصي، فإن المعصية لا تصير طاعة بالقصد الصالح والنية الصالحة، ولكن العمل المباح تقوى النية الصالحة على رفعه إلى درجة الطاعات، فيمكن للعبد أن يتاجر بمباحاته مع الله عز وجل، فالنية الصالحة ترفع رتبة المباح فتجعله من القربات والطاعات، ولكن لا تقوى النية الصالحة على أن تقلب البدعة سنة أو تقلب المعصية طاعة.

هذا الشرط الأول من شرطي قبول العمل، وهو الإخلاص.

المتابعة

الشرط الثاني: وهو متابعة سنة النبي صلى الله عليه وسلم، دل على هذا الشرط قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام مسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) فكل عمل لا يندرج تحت الشريعة ولا تكون شريعة النبي صلى الله عليه وسلم حاكمة عليه بالصحة فهو مردود على فاعله وغير مقبول مهما كانت نية صاحبه؟ فمن عمل عملاً لا يندرج تحت الشريعة ولم تكن شريعة النبي صلى الله عليه وسلم حاكمة عليه بالصحة فهو رد، بمعنى مردود.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة).

وقال: (فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة).

فخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفيتم.

وقال الإمام مالك: الاعتصام بالسنة نجاة؛ لأن السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك.

قال الحسن البصري: ادعى ناس محبة الله عز وجل فابتلاهم الله عز وجل بهذه الآية: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} [آل عمران:٣١]..".

((٥. الابتداع في الدين (أسبابه وحكمه):

تعريف البدعة: في اللغة مأخوذة من البدع وهو الاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: {بديع السموات والأرض} [البقرة ١١٧]. أي مخترعها على غير مثال سابق.

والابتداع على قسمين: ابتداع في العادات، كابتداع المخترعات الحديثة، وهذا مباح، لأن الأصل في العادات الإباحة.

وابتداع في الدين، وهذا المحرم، لأن الأصل فيه التوقيف، قال – صلى الله عليه وسلم –: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

وأما الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع فكثيرة ومنها:

١. الجهل بأحكام الدين، فكلما امتد الزمن، وبعد الناس عن آثار الرسالة، قل العلم وفشا الجهل، قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤوسا جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا» فلا يقاوم البدع إلا العلم والعلماء، وإذا فقد العلم والعلماء، أُتيحت الفرصة للبدع أن تظهر وتنتشر.

٢. اتباع الهوى. فمن أعرض عن الكتاب والسنة اتبع هواه قال تعالى: {فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله} [القصص ٥٠] والبدع إنما هي نسيج الهوى المتبع.

٣. التعصب لآراء الرجال. فهو يحول بين المرء واتباع الدليل ومعرفة الحق. قال تعالى {وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا} [البقرة ١٧٠].

٤. التشبه بالكفار. وهو أشد ما يوقع في البدع، قال صلى الله عليه وسلم: «لتركبن سنن من كان قبلكم».

ولا شك أن الاعتصام بالكتاب والسنة فيه نجاة من الوقوع في البدع والضلال قال تعالى: {وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله} [الأنعام ١٢٣].

حكم البدعة في الدين:

لا شك أن كل بدعة في الدين، فهي محرمة وضلالة، قال صلى الله عليه وسلم:» إياكم محدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» وقال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» فدل الحديث على أن كل محدثة في الدين فهي بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة.

فمعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة، فمنها ما هو كفر صراح، كالطواف بالقبور تقرباً إلى أصحابها، أو تقديم الذبائح والنذور لها ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم، وغيرها، ومنها ما هو فسق اعتقادي كبدع القدرية وبعض الخوارج، ومنها ما هو معصية كبدع بعض الصوفية في

تحريم الزواج والوصال في الصوم)). والكلام في البدع ليس هذا محله وسوف يأتي الكلام عليها تفصيلا بإذن الله في دروس أصول البدع.

((٦. الكفر والشرك والنفاق (حقيقة كل نوع وأقسامه).

أولاً: الكفر:

لغة: الستر والتغطية)).

قال أبو عبيد: وأما الكافر فيقال والله أعلم: إنما سمي كافرا لأنه متكفِّر به كالمتكفِّر بالسلاح وهو الذي قد ألبسه السلاح حتى غطّى كل شيء منه، وكذلك غطى الكفر قلب الكافر، ولهذا قيل لليل: كافر؛ لأنه ألبس كل شيء.

ويقال: الكافر سمي بذلك للجحود، كما يقال: كافرني فلان حقي إذا جحده حقه) .

وقال ابن قتيبة: أمَّا الكافر، فهو من قولك: كفَرْت الشيء إذا غطَّيْته، ومنه يقال: تكفَّر فلان في السِّلاح إذا لَبِسَه. فكأن الأصل في قولهم: كافر، أي ساتر لِنِعَم الله عليه. وكان بعض المُحَدِّثين يذهب في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)) إلى التكفُّر في السلاح، يريد: ترجعوا بعد الولاية أعداء يتكفَّر بعضكم لبعض في الحرب).

وقال الأزهري: وقال الليث: يقال: إنه سُمِّيَ الكافر كافراً لأن الكُفر غطَّى قلبه كلَّه ...

وفيه قول آخر: وذلك أن الكافر لما دعاه الله جل وعز إلى توحيده فقد دعاه إلى نعمة يُنعم بها عليه إذا قبلها، فلما ردَّ ما دعاه إليه من توحيده كان كافراً نعمة الله أي مغطياً لها بإبائه حاجباً لها عنه[1].

وشرعا: ضد الإيمان فإن الكفر: عدم الإيمان بالله وبرسله سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل مجرد شك وريب أو إعراض أو حسد أو كبر)).

والكفر شرعا: ضد الإيمان، فيكون قولا وعملا واعتقادا وتركا، كما أن الإيمان قول وعمل واعتقاد.

وهذا مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة، خلافا لمن حصر الكفر في التكذيب أو الجحود بالقلب أو بالقلب واللسان، ونفى أن يكون بالعمل أو بالترك.

قال شيخ الإسلام: الكفر عدم الإيمان بالله ورسوله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب أو إعراض عن هذا حسدا أو كبرا أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة.

وقال ابن حزم: وهو في الدين صفة من جحد شيئا مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه، ببلوغ الحق إليه، بقلبه دون لسانه، أو بلسانه دون قلبه، أو بهما معا، أو عمل عملا جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان.

وقال الإمام إسحاق بن راهويه: ومما أجمعوا على تكفيره وحكموا عليه كما حكموا على الجاحد، فالمؤمن الذي آمن بالله تعالى ومما جاء من عنده ثم قتل نبيا أو أعان على قتله، ويقول: قتل الأنبياء محرم، فهو كافر .

---

[1]) انظر الموسوعة العقدية.

وقال البربهاري: ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله، أو يرد شيئا من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو يذبح لغير الله، أو يصلي لغير الله، وإذا فعل شيئا من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام .

وقال شيخ الإسلام: فمن قال بلسانه كلمة الكفر من غير حاجةٍ عامداً لها عالماً بأنها كلمة الكفر، فإنه يكفر بذلك ظاهرا وباطنا، ولا يجوز أن يقال إنه في الباطن يجوز أن يكون مؤمنا، ومن قال ذلك فقد مرق من الإسلام .

وقال: إن سب الله أو سب رسوله: كفر ظاهرا وباطنا، سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم أو كان مستحلا له، أو كان ذاهلا عن اعتقاده، وهذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل.

وقال أيضا: فمن صدق الرسول، وأبغضه وعاداه بقلبه وبدنه، فهو كافر قطعا بالضرورة .

وقال ابن القيم: وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية، فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختيارا، وهي شعبة من شعب الكفر، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف، فهذا أصل[1].

قال ابن القيم في " الفوائد" (ص: ١٥٧): "أركان الكفر أربعة الكبر والحسد والغضب والشهوة فالكبر يمنعه الانقياد والحسد يمنعه قبول النصيحة وبذلها والغضب يمنعه العدل والشهوة تمنعه التفرغ للعبادة فإذا انهدم ركن الكبر سهل عليه الانقياد وإذا انهدم ركن الحسد سهل عليه قبول النصح وبذله وإذا انهدم ركن الغضب سهل عليه العدل والتواضع وإذا انهدم ركن الشهوة سهل عليه الصبر والعفاف والعبادة وزوال الجبال عن أماكنها أيسر من زوال هذه الأربعة عمن بلي بها ولا سيما إذا صارت هيئات راسخة وملكات وصفات ثابتة فإنه لا يستقيم له معها عمل البتة ولا تزكو نفسه مع قيامها بها وكلما اجتهد في العمل أفسدته عليه هذه الأربعة وكل الآفات متولدة منها وإذا استحكمت في القلب أرته الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل والمعروف في صورة المنكر والمنكر في صورة المعروف وقربت منه الدنيا وبعدت منه الآخرة وإذا تأملت كفر الأمم رأيته ناشئا منها وعليها يقع العذاب وتكون خفته وشدته بحسب خفتها وشدتها فمن فتحها على نفسه فتح عليه أبواب الشرور كلها عاجلا وآجلا ومن أغلقها على نفسه أغلق عنه أبوب الشرور فإنها تمنع الانقياد والإخلاص والتوبة والإنابة وقبول الحق ونصيحة المسلمين والتواضع لله ولخلقه ..".

تتمة: قواعد مهمة في معرفة أنواع الكفر:

قال الشيخ علي بن عبد العزيز الشبل في "مسألة الإيمان دراسة تأصيلية" ما مختصره: " وهذه القواعد والضوابط هي كالتالي:

١-الكفر اصطلاح وحكم شرعي محضٌ مرده إلى الله في كتابه وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته الصحيحة الثابتة عنه، وليس مبناه على الهوى والتشهي وسوء الظن أو فاسد الفهم.

فمن كفَّرهم الله أو كفَّرهم رسوله صلى الله عليه وسلم عيناً أو جنساً أو وصفاً وجب وتعَّين تكفيرهم، وما لا فلا، وليس لأحد ابتداء تكفيرهم دون مستند شرعي صحيح وصريح.

---

[1] الموسوعة العقدية نقلا عن الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين لمحمد بن محمود آل خضير - ١/ ١٢٧

٢- أن الكفر كالإيمان له شعب كثيرة، قال ابن القيم في "كتاب الصلاة " ص (٥٤-٥٣) : ((الكفر والإيمان متقابلان إذا زال أحدهما، خلفه الآخر. ولما كان الإيمان أصلاً له شعب متعددة، وكل شعبة منها تسمى إيماناً، فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والحج والصيام، والأعمال الباطنة كالحياء، والتوكل، والخشية من الله، والإنابة إليه حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق، فإنه شعبة من شعب الإيمان، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً، منها ما يلحق بشعبة الشهادة، ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى، ويكون إليها أقرب.

وكذلك الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان، فشعب الكفر كفر، والحياء شعبة من الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر، والصدق شعبة من شعب الإيمان، والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان.

وشعب الإيمان قسمان: قولية وفعلية، وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية. ومن شعب الإيمان القولية: شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوال الإيمان. وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية، فكما يكفر الإتيان بكلمة الكفر اختياراً، وهي شعبة من شعب الكفر، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، فهذا أصل.

وههنا أصل آخر، وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب، لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة. وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق، فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سراً وجهراً ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه، ولا نؤمن به...)) اهـ.

- ملاحظة وتنبيه:

ولما كان الكفر شعباً كثيرة، فإن هذه الشعب متفاوتة، الكفر فيها درجات، فمنها الكفر الأكبر كسب الله ورسوله ودينه، ومنها الكفر الأصغر؛ كسب المسلم وقتله والنياحة، كما أن الكفر الأكبر، شعبه متفاوتة أيضاً تفاوتاً واضحاً، وكل من نوعي الكفر الأكبر والأصغر على مراتب بعضها أشد من بعض، ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الفتاوى (٢٠/ ٨٧) : ((واعلم أن الكفر بعضه أغلظ من بعض، فالكافر المكذب أعظم جرماً من الكافر غير المكذب؛ فإنه جمع بين ترك الإيمان المأمور به، وبين التكذيب المنهي عنه، ومن كفر وكذَّب وحارب الله

ورسوله والمؤمنين بيده أو لسانه، أعظم ممن اقتصر على مجرد الكفر والتكذيب، ومن كفر وقتل وزنا وسرق وصد وحارب كان أعظم جرماً)) اهـ.

٣-أن الكفر نوعان: كفر أكبر مخرج عن الملة، ومحبط للعمل، وموجب للخلود في النار، ولا يُغفر لصاحبه، وينفى عن صاحبه اسم الإيمان أصلاً وكمالاً، كالسحر وسب الله أو رسوله أو دينه أو كتابه أو الإعراض عن دين الله..!!

وكفر أصغر لا يخرج من الملة ولا يحبط العمل ولا يوجب الخلود في النار، وهو تحت مشيئة الله في مغفرته، ولا ينافي أصل الإيمان، بل ينافي كماله الواجب، وهو حكم الكبائر من الذنوب، كالنياحة على الميت، والطعن في الأنساب، وقتال المسلم..الخ.

٤-أنه هناك علاقة بين الكفر الأكبر والشرك الأكبر، وهي علاقة عموم وخصوص، فكل شرك كفر وليس كل كفر شركاً.

فالذبح لغير الله والنذر له والخوف منه خوف عبادة؛ شرك مع الله في تلك العبادات، وهو كفر أكبر مخرج عن الملة، ومناقض للإيمان.

أما سب الله ورسوله ودينه أو الاستخفاف بشرعه أو بالمصحف ونحو ذلك فهو كفر مخرج عن الملة، ولا يعد شركاً في الاصطلاح.

وكذلك الإعراض أو الاستكبار أو الشك والارتياب فهو كفر أكبر ولا يُسمى شركاً.

٥- أن أهل السنة الجماعة يفرقون بين الكفر المطلق والكفر المُعيَّن بالكفر الأكبر مطلقاً على غير معنيين، ولهم شروط وضوابط وتورَّع وديانة في إيقاعه على المعينين، فإنهم يرون كفر المعين يقع عليه بنفسه، وأهم هذه الشروط في إيقاع الكفر الأكبر عليه بلوغ الحجة عليه، واندفاع الشبهة عنه".

<u>أنواعه: الكفر نوعان:</u>

<u>الأول: كفر أكبر مخرج عن الملة وهو خمسة أقسام:</u>

<u>١ . كفر التكذيب ودليله قوله تعالى: {ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين} [العنكبوت٦٨])).</u>

قال الشيخ عبد العزيز الراجحي: " أما النوع الأول من أنواع الكفر الاعتقادي -وهو كفر التكذيب والجحود- فهو كاسمه، يكون صاحبه مكذباً ويكون جاحداً لله أو لرسوله صلى الله عليه وسلم، والدليل على هذا النوع من الكفر قول الله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِّ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ} [العنكبوت:٦٨].

وكفر التكذيب والجحود ينقسم إلى أقسام باعتبارات:

فينقسم بالنسبة إلى جهة التكذيب إلى قسمين:

القسم الأول: تكذيب بالقلب واللسان، وهو اعتقاد كذب الرسل وجحد ما جاءوا به، فيكذب ويجحد ما جاءت به الرسل بقلبه ولسانه، وهذا القسم قليل في الكفار، ونادر جداً، وقد لا يوجد، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى

أعطى الرسل من الآيات والبراهين والحجج والأدلة الواضحة على صدقهم وصدق ما جاءوا به ما يتبين به صدقهم لكل أحد، حتى قامت الحجة وانجلت المعذرة، قال الله سبحانه وتعالى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء:١٦٥]، فهذا الكفر قليل؛ لأن حجج الرسل وأدلتهم تدل على صدقهم، وهي واضحة نيرة لكل أحد، وأوضح من الشمس في رابعة النهار.

القسم الثاني: تكذيب باللسان مع اعتراف القلب وتصديقه، وهذا القسم كثير في الكفار، وهو الغالب على أعداء الرسل، ومن أمثلة هذا النوع كفر فرعون وقومه، فإن فرعون وقومه معترفون بصدق موسى عليه الصلاة والسلام وأنه رسول من عند الله، لكنهم كذبوا بألسنتهم فصاروا مكذبين وجاحدين، قال الله تعالى عن فرعون وقومه: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} [النمل:١٤]، فقوله: {وَجَحَدُوا بِهَا} [النمل:١٤] يعني: بألسنتهم، {وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ} [النمل:١٤]، فنفوسهم مستيقنة مصدقة، أخبر سبحانه وتعالى عن موسى أنه قال لفرعون: {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ} [الإسراء:١٠٢] فقال له: {عَلِمْتَ} [الإسراء:١٠٢]، والعلم هو اليقين، ففرعون متيقن، لكنه كذب وجحد بلسانه عناداً للحق وتكذيباً للحق الواضح البين.

ومن أمثلة ذلك أيضاً: كفر ثمود الذين أرسل الله إليهم صالحاً، قال الله سبحانه وتعالى: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا} [الشمس:١١]، أي: بسبب طغيانها، فالطغيان هو الذي حملهم على التكذيب بألسنتهم وإن كانوا مصدقين ومعترفين ببواطنهم وقلوبهم.

وكذلك كفار مكة ومشركو قريش كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم بألسنتهم وهم متيقنون في الباطن معترفون بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم، قال الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَك} [الأنعام:٣٣] يعني كفار قريش، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلمن يعني: لا يكذبونك بقلوبهم، {وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} [الأنعام:٣٣] يعني: يجحدون بألسنتهم، فنفى عنهم التكذيب وأثبت لهم الجحود؛ لأن الجهة منفكة، فجهة الجحود غير جهة الاعتراف والتصديق، فهم لا يجحدون بقلوبهم ولكن يجحدون بألسنتهم، ولهذا قال الله تعالى: {فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ} [الأنعام:٣٣] يعني: بقلوبهم، {وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} [الأنعام:٣٣]، وهذا القسم كثير في الكفار.

وينقسم بالنسبة إلى المكذب به إلى قسمين:

تكذيب مطلق عام، وتكذيب مقيد خاص، فالأول كأن يكذب بجميع ما أنزل الله به من الكتب وبجميع ما أرسل الله به الرسل، وهذا تكذيب مطلق عام، ومن ذلك قول الله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام:٩١] أي: اليهود، فقد أنكروا الرسالات كلها وقالوا: {مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام:٩١]، قال الله تعالى رداً عليهم: {قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} [الأنعام:٩١]، فمن عتوهم وعنادهم أنهم قالوا: {مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام:٩١].

القسم الثاني: كفر مقيد خاص، كأن يجحد أو ينكر فريضة من فرائض الإسلام، كأن ينكر وجوب الصلاة، أو ينكر وجوب الزكاة، أو ينكر وجوب الحج، أو ينكر البعث بعد الموت، فهذا لم ينكر كل شيء ولم يجحد كل شيء، وإنما أنكر شيئاً خاصاً، فيكون كافراً خارجاً من الملة؛ لأن هذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، فإنه لا خلاف في وجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج، فإذا أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة وجوبه كَفَر، وإذا قال: الصلاة غير واجبة كفر ولو صلى، أو قال: الزكاة غير واجبة كفر ولو زكى، أو قال: الصوم غير واجب كفر، أو قال الحج غير واجب كفر؛ لأن هذه فرائض وواجبات معلومة من الدين بالضرورة وليس فيها خلاف...

بخلاف ما إذا أنكر شيئاً فيه خلاف بين أهل العلم، فهذا لا يكفر، كما لو أنكر الوضوء من لحم الإبل، فهذا لا يكفر؛ لأن المسألة فيها خلاف، فبعض العلماء يرى الوضوء من لحم الإبل وبعضهم لا يرى ذلك، أو أنكر تحريم الدخان؛ لأن الدخان قيل فيه: إنه ليس بحرام، والصواب أنه حرام، لكن بعض الناس قال: إنه ليس بحرام، فمن أجل الشبهة لا يكفر، بخلاف الخمر فإنه مجمع على تحريمه، ولم يقل أحد: إن الخمر حلال بخلاف الدخان، وإن كان الصواب أنه محرم، وقد اتفق العلماء في المملكة على تحريم الدخان، لكن بعض العلماء في خارج المملكة أفتوا بعدم تحريمه، فمن أجل ذلك لا يكفر من أنكر تحريم الدخان لأجل الشبهة...

فالذي جحد فريضة من فرائض الإسلام، أو جحد تحريم محرم من محرمات الإسلام، أو جحد صفة وصف الله بها نفسه، أو جحد خبراً أخبر الله به، وأنكر ذلك متعمداً لا عن جهل ولا عن تأويل يعذر فيه، بل عن عناد وعن علم وعن مكابرة كافر فيه أما إذا جحد شيئاً من ذلك جاهلاً فهذا معذور حتى يعلم وتقوم عليه الحجة، أو أنكره متأولاً تأويلاً يعذر فيه، مثل بعض الأشاعرة حين تأولوا بعض الصفات فتأولوا الرضا بالثواب، وهناك فرق بين الجاحد وبين المتأول، فالجاحد المنكر يكفر، فالذي يجحد قدرة الله، أو علم الله، مكذب لله في إثباته العلم لنفسه وقدرته، وهذا بخلاف المتأول، فالمتأول يقول: أنا أثبت الاستواء لكن معناه الاستيلاء وأثبت الرضا لكن معناه الثواب. فهذا متأول، وفرق بين المتأول وبين الجاحد، فالجاحد يكفر والمتأول يعذر بتأويله ولا يكفر...".

تتمة:

بعض العلماء يسوي بين كفر الحجود والتكذيب والاستحلال والإنكار.

قال الدكتور محمد علي الوهيبي في " نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف" (ص: ٢٤٠): "إن المتأمل جيداً لا يكاد يفرق بين مفهوم كفر الجحود والتكذيب والاستحلال والإنكار حين يبحث في كلام العلماء حول المكفرات، ولعل السبب في ذلك أن هذه النواقض كلها من النواقض الاعتقادية التي يكفر من وقع في واحد منها إجماعاً، ولذلك لم يعتن في الغالب في التفريق بين معانيها .

ثم قال: " الفرق بين الجحد والتكذيب والاستحلال والانكار:

من الآيات الصريحة في التفريق بين الجحد والتكذيب قوله تعالى: (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) فالآية نفت عنهم التكذيب وأثبتت الجحود مما يدل على عدم تلازمها .. إذا يمكن أن يقال أن التكذيب أعم من الجحود إذ الجحود يكون في اللسان، والكذب يكون في القلب واللسان والعمل، ويمكن أن يقال أيضاً

كل جحود تكذيب وليس كل تكذيب جحوداً... ومن الفروق التي يذكرها بعض العلماء بين الجحد والتكذيب، أن الجحد يقترن بالعناد في كثير من الأحيان، قال الخفاجي: (الفرق بين التكذيب والجحد أن الأول مطلق الإنكار، والثاني: الإنكار لما يعلم حقيقته عناداً)) وذكر الإمام ابن القيم – رحمه الله – من أنواع الكفر: (كفر جحود وعناد وقصد مخالفة الحق .. وغالب ما يقع هذا النوع فيمن له رياسة علمية في قومه من الكفار أو رياسة سلطانية ..)).

أما الاستحلال فمعناه: أن يعتقد في المحرمات أن الله لم يحرمها أو أنها مباحة) (ونجد كلام العلماء عن الاستحلال حينما يتكلمون عن الكبائر وعدم كفر مرتكبها إلا إذا استحلها، فالاستحلال إذا: كفر اعتقادي محض يختص بمخالفة النواهي باستحلالها، بخلاف التكذيب الذي لا يختص بالجانب الاعتقادي فقط، ولا يختص بتكذيب الأمر والنهي بل يستعمل غالباً للأخبار فيقال مصدق ومكذب.

أما الإنكار: فيقابل المعرفة، كما أن التكذيب فيقابل التصديق ، يقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: (إن الإنسان قد يكون مكذباً ومنكراً لأمور لا يعلم أن الرسول أخبر بها وأمر بها، ولو علم ذلك لم يكذب ولم ينكر، بل قلبه جازم بأنه لا يخبر إلا بصدق ولا يأمر إلا بحق، ثم يسمع الآية أو الحديث، أو يتدبر ذلك، أو يفسر له معناه، أو يظهر له ذلك بوجه من الوجوه فيصدق بما كان مكذباً به، ويعرف ما كان منكراً له، وهذا تصديق جديد وإيمان جديد يزداد به إيمانه)).

يقول الإمام ابن تيمية – رحمه الله –: (ومن جحد وجوب بعض الواجبات الظاهرة المتواترة: كالفواحش، والظلم والخمر والميسر والزنا وغير ذلك، أو جحد حل بعض المباحات الظاهرة المتواترة: كالخبز واللحم والنكاح. فهو كافر مرتد، يستتاب فإن تاب وإلا قتل)).

<u>((٢. كفر الإباء والاستكبار مع التصديق، ودليله قوله تعالى {وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين} [البقرة٣٤])).</u>

قال ابن القيم في "مدارج السالكين" (١/ ٣٤٦): "وأما كفر الإباء والاستكبار فنحو كفر إبليس، فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار، ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، ولم ينقد له إباء واستكبارا، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل، كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه {أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون} [المؤمنون: ٤٧] وقول الأمم لرسلهم {إن أنتم إلا بشر مثلنا} [إبراهيم: ١٠] وقوله: {كذبت ثمود بطغواها} [الشمس: ١١] وهو كفر اليهود كما قال تعالى {فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به} [البقرة: ٨٩] وقال {يعرفونه كما يعرفون أبناءهم} [البقرة: ١٤٦] وهو كفر أبي طالب أيضا، فإنه صدقه ولم يشك في صدقه، ولكن أخذته الحمية، وتعظيم آبائه أن يرغب عن ملتهم، ويشهد عليهم بالكفر".

<u>((٣. كفر الشك وهو كفر الظن. ودليله قوله تعالى –عن صاحب الجنة– {وما أظن الساعة قائمة} [الكهف ٣٦])).</u>

قال الشيخ عبد العزيز الراجحي: " كفر الشك وهو ألا يجزم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ولا بكذبه، بل

يشك في أمره، فليس عنده جزم بالصدق ولا بالكذب، بل يشك في أمره.

والشك يكون في أول الأمر ولا يكتمل؛ لأنه حينما يشك إما أن ينظر في دلائل صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وإما ألا ينظر، فإن لم ينظر صار معرضاً والتحق بقسم الإعراض، وإن نظر فلا بد من أن يتبين له الحق، وحينئذ يكون له أحوال: فإما أن يؤمن ويصدق فيكون مؤمناً بالله ورسوله، وإما أن يعترف ويصدق بقلبه ويجحد بلسانه، فيكون مكذباً جاحداً، وإما أن يصدق بقلبه ولسانه لكن يستكبر ولا يقبل، فيكون كفره بالإباء والاستكبار.

والدليل على هذا النوع من الكفر -وهو كفر الشك والظن- كفر صاحب الجنتين الذي قص الله علينا قصته مع صاحبه في سورة الكهف فقال تعالى: {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً} [الكهف:٣٢ - ٣٦]، فهذا الشك شك في الساعة وقيامها، فأخبر أنه كفر بهذا الشك، {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا} [الكهف:٣٧ - ٣٩].

ومثال ذلك أيضاً قول الله تعالى: {لا يَسْأَمُ الإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً} [فصلت:٤٩ - ٥٠] فهذا شك {وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} [فصلت:٥٠].

والمقصود بالإنسان في قوله تعالى: {يَسْأَمُ الإِنْسَانُ} [فصلت:٤٩] أي: الكافر، بدليل أنه شك في الساعة.

إذاً: لا يكون هناك إيمان مع الشك، بل لابد من الجزم واليقين، فإذا شك الإنسان أو تردد فليس بمؤمن".

<u>((٤ . كفر الإعراض. ودليله قوله تعالى: {والذين كفروا عما أنذروا معرضون} [الأحقاف ٣])).</u>

قال د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين في " تسهيل العقيدة الإسلامية (ص: ٢٣٠): "ورد ذكر الإعراض في كتاب الله تعالى في آيات كثيرة، وأصل الإعراض هو: التولي عن الشيء، والصدود عنه، وعدم المبالاة به.

والإعراض عن دين الله تعالى قسمان:

القسم الأول: الإعراض المكفر: وهو أن يترك المرء دين الله ويتولى عنه بقلبه ولسانه وجوارحه، أو يتركه بجوارحه مع تصديقه بقلبه ونطقه بالشهادتين.

وهذا القسم له ثلاث صور، هي:

١- الإعراض عن الاستماع لأوامر الله عز وجل، كحال الكفار الذين هم باقون على أديانهم المحرفة أو الذين لا دين لهم، ولم يبحثوا عن الدين الحق مع قيام الحجة عليهم، فهم أعرضوا عن تعلم ومعرفة أصل الدين الذي يكون به المرء مسلماً، فهم يمكنهم معرفة الدين الحق والسير عليه، ولكنهم لم يلتفتوا إلى ذلك، ولم يرفعوا به رأساً.

٢- الإعراض عن الانقياد لدين الله الحق وعن أوامر الله تعالى بعد استماعها ومعرفتها، وذلك بعدم قبولها فيترك ما هو شرط في صحة الإيمان، وهذا كحال الكفار الذين دعاهم الأنبياء وغيرهم من الدعاة إلى الدين الحق، أو عرفوا الحق بأنفسهم، فلم يسلموا، وبقوا على كفرهم، قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ} [الأحقاف:٣] .

٣ - الإعراض عن العمل بجميع أحكام الإسلام وفرائضه بعد إقراره بقلبه بأركان الإيمان ونطقه بالشهادتين.

فمن ترك جنس العمل بأحكام الإسلام، فلم يفعل شيئاً من الواجبات، لا صلاة ولا صياماً ولا زكاةً ولا حجاً ولا غيرها، فهو كافر كفراً أكبر بإجماع السلف ، لقوله تعالى: {قُلْ أَطِيعُوا اللهَّ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَّ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} [آل عمران:٣٢] "١"، ولقوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} [السجدة:٢٢] ، ولآيات أخرى كثيرة تدل على كفر عموم المعرضين، ولأن تركه لجميع الأعمال الظاهرة دليل على خلو باطنه من الإيمان والتصديق الجازم.

القسم الثاني: الإعراض غير المكفر: وهو أن يترك المسلم بعض الواجبات الشرعية غير الصلاة()، ويؤدي بعضها".

((٥. كفر النفاق. ودليله قوله تعالى: {ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون} [المنافقين ٣])).

قال الشيخ حافظ حكمي في "٢٠٠ سؤال وجواب" (ص: ٩٨): "هو ما كان بعدم تصديق القلب وعمله مع الانقياد ظاهرا رئاء الناس، ككفر ابن سلول وحزبه الذين قال الله تعالى فيهم: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهَّ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ - يُخَادِعُونَ اللهَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ - فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهَّ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [البقرة: ٨ - ١٠]".

وقال الشيخ محمد إسماعيل المقدم في "سلسلة الإيمان والكفر: " أما إذا انتفى عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان مع انقياد الجوارح، فهو يصلي ويصوم ويزكي ويشهد الشهادتين، لكن انتفى عمل القلب، فلا نية ولا إخلاص ولا محبة ولا إذعان بالقلب، فهذا هو كفر النفاق، سواء وجد التصديق المطلق أو انتفى، وسواء انتفى بتكذيب أو شك".

وسوف يأتي الكلام على النفاق وأقسامه قريبا بإذن الله.

((الثاني: كفر أصغر لا يخرج من الملة، وهو الكفر العملي، وهوالذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كفراً، وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»)).

قال الشيخ عبد الله بن عبد الحميد الأثري في " الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة (ص: ٢٤٩) كفر أصغر غير مخرج من الملة:

وهو ما لا يناقض أصل الإيمان؛ بل ينقصه ويضعفه، ولا يسلب صاحبه صفة الإسلام وحصانته، وهو المشهور عند العلماء بقولهم: (كفر دون كفر) ويكون صاحبه على خطر عظيم من غضب الله - عز وجل - إذا لم يتب منه؛ وقد أطلقه الشارع على بعض المعاصي والذنوب على سبيل الزجر والتهديد؛ لأنها من خصال الكفر، وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر، وما كان من هذا النوع فمن كبائر الذنوب.

٠() عند من يقول بكفر تارك الصلاة كسلا و هي مسألة خلافية.

وهو مقتض لاستحقاق الوعيد والعذاب دون الخلود في النار، وصاحب هذا الكفر ممن تنالهم شفاعة الشافعين، ولهذا النوع من الكفر صور كثيرة، منها:

١- كفر النعمة:

وذلك بنسبتها إلى غير الله تعالى بلسانه دون اعتقاده.

قال تعالى: {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ} .

كقول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي على سبيل إسناد النعمة إلى آبائه، أو قول أحدهم: لولا فلان لم يكن كذا.. وغيرها مما هو جار على ألسنة كثير من الناس، والمراد أنهم ينسبونه إلى أولئك، مع علمهم أن ذلك بتوفيق الله.

ومن ذلك تسمية الأبناء بعبد الحارث، وعبد الرسول، وعبد الحسين ونحوها؛ لأنه عبده لغيره الله مع أنه هو خالقه والمنعم عليه.

٢- كفران العشير والإحسان:

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أريت النار؛ فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن) قيل: أيكفرن بالله. قال: (يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان؛ لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت خيراً قط) .

٣- الحلف بغير الله تعالى: لقوله صلى الله عليه وسلم: (من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك) .

فإجماع أهل السنة والجماعة على أن هذا الشرك والكفر هما من الأصغر الذي لا يخرج صاحبه من الإسلام، ما لم يعظم المخلوق به في قلب الحالف كعظمة الله تعالى.

٤- قتال المسلم: لقوله صلى الله عليه وسلم: (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر). وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا ترجعوا بعدي كفاراً؛ يضرب بعضكم رقاب بعض) .

فهذا النوع من الكفر غير مخرج من الملة باتفاق الأئمة؛ لأنهم لم يفقدوا صفات الإيمان، لقول الله تعالى: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} .

٥- الطعن في النسب، والنياحة على الميت:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اثنتان في الناس هما بهم كفر؛ الطعن في النسب، والنياحة على الميت) .

٦- الانتساب إلى غير الأب:

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (لا ترغبوا عن آبائكم؛ فمن رغب عن أبيه فهو كفر).

وقال صلى الله عليه وسلم: (ليس من رجل ادعى لغير أبيه – وهو يعلمه – إلا كفر، ومن ادعى قوماً ليس له فيهم نسب؛ فليتبوأ مقعده من النار) .

وأنواع الكفر الأصغر كثيرة يتعذر حصرها؛ فكل ما جاءت به النصوص الشرعية من تسميته كفراً، ولم يصل إلى حد الكفر الأكبر، أو النفاق الأكبر، أو الشرك الأكبر، أو الفسق الأكبر، أو الظلم الأكبر؛ فهو كفر أصغر.

((ثانياً: الشرك:

هو جعل شريك لله في ربوبيته وإلهيته))

تعريف الشرك لغةً:

تقول: شاركته في الأمر وشركته فيه أشركه شَرِكا وشَرِكة، ويخففان بكسر الأول وسكون الثاني. وذلك إذا صرت له شريكا. وأشركته: جعلته شريكا، والشرك - بالتخفيف - أغلب في الاستعمال، ويكون مصدرا واسما جمعه إشراك، بمعنى النصيب.

والشَرَك: حبالة الصائد. والشركة: معظم الطريق ووسطه.

ومرجع مادة الشرك: إلى الخلط والضم.

وأما في الشرع: فهو كل ما ناقض التوحيد أو قدح فيه مما ورد في الكتاب أو السنة تسميته شركا [1].

والشرك الأكبر يكون في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

@ جاء في "الموسوعة العقدية" ما ملخصه: " أولاً الشرك في الربوبية.

هو اعتقاد متصرف مع الله عز وجل في أي شيء من تدبير الكون، من إيجاد أو إعدام، أو إحياء أو إماتة، جلب خير أو دفع شر، أو غير ذلك من معاني الربوبية، أو اعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته كعلم الغيب وكالعظمة والكبرياء ونحو ذلك.

وقال الله تعالى: مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ [فاطر: ٢ - ٣] الآيات، وقال تعالى: وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ [يونس: ١٠٧] الآية، وقال تعالى: قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ [الزمر: ٣٨].

وقال تبارك وتعالى: وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ [الأنعام: ٥٩] الآيات، وقال تعالى: قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ [النمل: ٦٥] الآية، وقال تعالى: وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء [البقرة: ٢٥٥] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يقول الله تعالى: العظمة إزاري، الكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منهما أسكنته ناري)) وهو في الصحيح.

ثانيا الشرك في الألوهية:

وهو شرك في عبادة الله، وإن كان صاحبه يعتقد أنه - سبحانه - لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته ولا في أفعاله، وهو الذي يسمى بالشرك في العبادة، وهو أكثر وأوسع انتشاراً ووقوعاً من الذي قبله، فإنه يصدر ممن يعتقد أنه لا إله إلا الله، وأنه لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع إلا الله، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه، ولكن لا يخلص لله

[1] قال د.عواد بن عبد الله المعتق في بحثه عن توحيد الألوهية المنشور في "مجلة البحوث الإسلامية" (٧٦/ ١٣١).

في معاملته وعبوديته، بل يعمل لحظ نفسه تارة، ولطلب الدنيا تارة، ولطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند الخلق تارة أخرى، فلله من عمله وسعيه نصيب، ولنفسه وحظه وهواه نصيب، وللشيطان نصيب، وللخلق نصيب.

قال الله عز وجل – كما في الحديث القدسي: – ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك معي فيه غيري فهو للذي أشرك به، وأنا منه بريء))، ويقول أصحاب هذا الشرك مخاطبين لآلهتهم وقد جمعهم الجحيم: تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ [الشعراء: ٩٧ – ٩٨]، ومعلوم أنهم ما سووهم به في الخلق والرزق والإماتة والإحياء، والملك والقدرة، وإنما سووهم في الحب والتأله والخضوع لهم والتذلل والتعظيم.

ثالثا الشرك في الأسماء والصفات:

وهو: أن يجعل لله تعالى مماثلاً في شيء من الأسماء أو الصفات، أو يصفه تعالى بشيء من صفات خلقه.

فمن سمى غير الله باسم من أسماء الله تعالى معتقداً اتصاف هذا المخلوق بما دل عليه هذا الاسم مما اختص الله تعالى به، أو وصفه بصفة من صفات الله تعالى الخاصة به فهو مشرك في الأسماء والصفات.

وكذلك من وصف الله تعالى بشيء من صفات المخلوقين فهو مشرك في الصفات.

((وهو نوعان:

الأول: أكبر يخرج من الملة، ويخلد صاحبه في النار إذا مات ولم يتب منه، وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، كدعاء غير الله، والتقرب بالذبائح والنذور لغير الله)).

وقال د. عواد بن عبد الله المعتق ما ملخصه: الشرك الأكبر: وهو أن يجعل الإنسان لله ندا في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته.

وعُرف أيضا: بأنه تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله. والتعريفان متقاربان.

حكمه: يخرج من الملة وصاحبه حلال الدم والمال، وفي الآخرة مخلد في النار.

قال تعالى: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ}.

وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}.

وقال تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}.

ضرره: لهذا الشرك أضرار كثيرة، منها ما يلي:

أ – أنه يحبط العمل، قال تعالى: {وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

٢ – أن الله حرم عليه الجنة، فهو خالد مخلد في النار إذا مات على الشرك. قال تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}.

٣ – أن الله لا يغفر له إلا بالتوبة. قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}. وقال تعالى: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ}.

٤ – أن المشرك حلال الدم والمال، قال تعالى: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ}

كما تحرم مناكحته؛ لقوله تعالى: {وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا} .

كما تحرم ذبيحته؛ لقوله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} .

ويستثنى أهل الكتاب، فحرائر نسائهم العفيفات غير المحاربات وذبائحهم حلال؛ لقوله تعالى: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} .

كما أن المشرك لا يرث ولا يورث، إن كان مرتدا فماله لبيت المال، وإن كان مشركا أصليا شرع جهاده، فإن قتل في الجهاد فماله غنيمة، وإن مات في غير جهاد فماله لورثته من أهل دينه، ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين.

٥ - أن المشرك قد ارتكب أعظم جريمة وأفظع ظلم؛ حيث جعل للخالق ندا من خلقه، فهو أظلم الناس وأضلهم. قال تعالى: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} . وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} . وقال تعالى: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} .

أنواعه:

من أنواع الشرك الأكبر ما يلي:

أ - شرك الطاعة:

والمراد به طاعة المخلوق في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله عن رضا واطمئنان قلب.

مثال تحليل ما حرم الله: تحليل الربا، والخمور، والسفور. ومثال تحريم ما أحل الله: تحريم تعدد الزوجات ونحو ذلك مما فيه استبدال لأحكام الله، فمن أطاع مخلوقا في ذلك غير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد جعله شريكا لله في التشريع.

قال تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} . وفي الحديث الصحيح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - تلا هذه الآية على عدي بن حاتم الطائي.فقال: يا رسول الله لسنا نعبدهم! قال: «أليس يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه، قال: بلى، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: تلك عبادتهم".

٢ - شرك الدعاء:

الدعاء في القرآن تارة يراد به دعاء العبادة، وتارة دعاء المسألة، وتارة يراد به مجموعهما. وقوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} يتناول نوعي الدعاء، وبكل منهما فسرت الآية، قيل: أعطيه إذا سألني، وقيل أثيبه إذا عبدني.

المراد بدعاء العبادة: هو عبادة الله بأنواع العبادات، كالصلاة والصيام والذبح والنذر وغيرها مما شرعه الله لعباده وأمرهم به، خوفا وطمعا، يرجو رحمة الله ويخاف عقابه.

وإن لم يكن في ذلك صيغة سؤال وطلب. وسمى دعاء؛ لأنه سائل لما يطلبه بامتثال الأمر فهو سؤال بلسان الحال.

ومن صرف شيئا من تلك العبادات لغير الله كمن ذبح لغير الله، فهو مشرك مصادم لما بعث الله به رسوله من قوله تعالى: {قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي} ، وقوله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} ، أي لا تعبد مع الله أحدا، فسمي مشركا في دعاء العبادة.

وأما دعاء المسألة، فهو ما يصدر من العبد من توجه بالقلب واللسان طالبا خيرا أو دفع ضر، الواجب أن يكون لله وحده لا شريك له؛ إذ هو المالك للنفع والضر . قال تعالى: {وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ} ، وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن دعاء الله عبادة له، فيكون صرفه لغير الله شركا ، فإذا توجه الداعي إلى غير الله فإما أن يكون حيا أو ميتا، إن كان ميتا فهو شرك على إطلاقه كمن يتوجه إلى صاحب قبر ، وإن كان حيا وليس في مقدور العبد فهو شرك.

وإن كان في مقدور العبد فليس بشرك.

٣ – شرك المحبة:

المحبة قسمان: مشتركة وخاصة.

القسم الأول: المشتركة، وهي ثلاثة أنواع:

أحدهما: محبة طبيعية كمحبة الجائع للطعام.

الثاني: محبة رحمة وإشفاق كمحبة الوالد لولده.

الثالث: محبة أنس وألف، كمحبة الشريك لشريكه والصديق لصديقه.

وهذه الثلاثة لا تستلزم التعظيم، لذا لا يكون وجودها شركا، لكن ينبغي أن تكون المحبة الخاصة مقدمة عليها.

الثاني: المحبة الخاصة: وهي محبة العبودية المستلزمة للذل، والخضوع، والتعظيم، وكمال الطاعة، وإيثار المحبوب على غيره، وهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله، ومتى أحب العبد بها غيره كان شركا، قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} .

قال الإمام ابن القيم في تفسير هذه الآية: " أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا " .

<u>((الثاني: أصغر لا يخرج من الملة، لكنه ينقص التوحيد، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر))</u> [2].

<u>تعريفه</u>: هو كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر وجاء في النصوص تسميته شركا.

<u>حكمه</u>: محرم، بل أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر، لكنه لا يخرج من ارتكبه من ملة الإسلام، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ} قال مجاهد وسعيد بن جبير وشهر بن حوشب: هم المراؤن بأعمالهم. . . يمكرون بالناس يوهمون أنهم في طاعة الله تعالى .

وقال – صلى الله عليه وسلم –: «أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر » الحديث.

---

٢ () مجلة البحوث الإسلامية (٧٦/ ١٣٩) البحث السابق.

ضرره: من أضراره أنه يبطل ثواب العمل، وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجبا، فإنه ينزل منزلة من لم يعمل. ومن أضراره أيضا أنه وسيلة قد تؤدي بصاحبها إلى الشرك الأكبر.

((وهو قسمان:

١. شرك ظاهر على اللسان، كالحلف بغير الله، قال صلى الله عليه وسلم: «من حلف بغير الله فقد أشرك، ومثل قول: ما شاء الله وشئت)).

الشرك في الألفاظ: ومن ذلك:

أ – الحلف بغير الله، كقول الرجل: وحياتي.

حكمه: من الشرك الأصغر إذا لم يعتقد تعظيم من حلف به وكان عالما الحكم، فإن كان جاهلا علم، فإن أصر فهو والعالم سواء، كل منهما مشرك شركا أصغر. ومن الشرك الأكبر إن اعتقد تعظيم المحلوف به مثل تعظيم الله وكان عالما الحكم. أما إذا كان جاهلا، علم، فإن أصر فهو والعالم سواء، كل منهما مشرك شركا أكبر.(٢)

الأدلة على تحريمه: اتفق الكتاب والسنة والإجماع على تحريمه.

من الكتاب قوله تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}

فإن قيل: الآية نزلت في الأكبر، قيل: السلف يحتجون بما نزل في الأكبر على الأصغر كما فسرها ابن عباس وغيره؛ لأن الكل شرك، ومن السنة ما ورد في الصحيحين من حديث ابن عمر مرفوعا «أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال: " ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت (١)»، ومن الإجماع ما قاله ابن عبد البر: " لا يجوز الحلف بغير الله إجماعا"

٢ – قول: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت، ونحوهما مما فيه مساواة بين الخالق والمخلوق.

حكمه: إن قام بقلبه تعظيم لذلك المسوي بينه وبين الله وكان عالما فهو شرك أكبر، وإن كان جاهلا، علم، فإن أصر فهو والعالم سواء، كل منهما مشرك شركا أكبر، وإن لم يقم بقلبه تعظيم لذلك المسوى بينه وبين الله وهو عالم بالنهي فهو شرك أصغر، فإن كان جاهلا، علم، فإن أصر فهو والعالم سواء، كل منهما مشرك شركا أصغر.

الأدلة على تحريمه:

من الأدلة على تحريم قول: ما شاء الله وشئت ولولا الله وأنت ونحوهما، قوله تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.(٤)

يقول ابن عباس في هذه الآية: الأنداد: هو الشرك، وهو أن تقول: والله وحياتك، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، هذا كله شرك.(

ومن السنة ما روي عن حذيفة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان".

٣ – إسناد بعض الحوادث إلى غير الله – عز وجل – واعتقاد تأثيره فيها:

ومن الشرك في اللفظ إسناد بعض الحوادث إلى غير الله – عز وجل – واعتقاد تأثيره فيها، مثاله: قول البعض: لولا وجود فلان لحصل كذا وكذا ونحوه مما فيه نسبة بعض الحوادث إلى أسبابها القريبة.

الدليل على تحريمه قوله تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} .(٣)

يقول ابن عباس: الأنداد: هو الشرك، وهو أن تقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، إلى أن قال: هذا كله شرك.

٤ – قول البعض مطرنا بنوء كذا:

كذلك من أنواع الشرك الأصغر قول البعض: مطرنا بنوء كذا مع عدم اعتقاده بأن للنجم تأثيرا، وإنما المؤثر هو الله وحده، فهذا القول شرك أصغر؛ لأنه نسب نعمة الله إلى غيره.

الدليل على تحريمه: ما روي عن زيد بن خالد – رضي الله عنه – قال: «صلى بنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: " هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر. . . إلى أن قال: وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب ».

((ومنه شرك في الأفعال مثل لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، وتعليق التمائم خوفاً من العين»)).

مثل لبس الحلقة والخيط وتعليق التمائم لرفع بلاء أو دفعه، مثل من يعلق التميمة اتقاء للعين إذا اعتقد أنها أسباب، فهو شرك أصغر.

أما إذا اعتقد أنها تدفع بنفسها فهو شرك أكبر؛ لأنه تعلق بغير الله .

قال – صلى الله عليه وسلم –: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك».

((٢. شرك خفي: هو الشرك في الإرادات والنيات، كالرياء. قال صلى الله عليه وسلم: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: {الرياء})).

ومن ذلك: الرياء، والسمعة، وإرادة الإنسان بعمله الدنيا.

١ – الرياء والسمعة.

الرياء: هو إظهار العبادة لقصد رؤية الناس فيحمدوا صاحبها .

وأما السمعة: فيراد بها نحو ما يراد بالرياء، لكنها تتعلق بحاسة السمع والرياء بحاسة البصر مثل: أن يرفع صوته بالقراءة أو الذكر، أو يعمل العمل الصالح ويتحدث به ليكسب السمعة الحسنة.

حكمهما: الرياء والسمعة إن دخلا في أساس العمل بمعنى أنه لم يأت بأصل العبادة من صلاة أو قراءة أو ذكر إلا لأجل الرياء والسمعة فهو شرك أكبر، وهو شرك المنافقين، وإن دخلا في تحسينه فهو شرك أصغر ؛ ولذا ورد التحذير منهما في الكتاب والسنة. قال تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} .

وقال – صلى الله عليه وسلم –: «من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به».

٢ – إرادة الإنسان بعمله الدنيا:

المراد به: هو أن يعمل الإنسان أعمالا صالحة يريد بها الدنيا. مثاله: كالذي يتعلم ليأخذ مالا أو ليحتل منصبا، كمن يتعلم القرآن أو يواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد ونحو ذلك.

والفرق بينه وبين الرياء أن المرائي يبحث عن المدح والثناء، والمريد بعمله الدنيا يبحث عن المادة كالمال والمنصب .

حكمه: إن كان مراد العبد من عمله منحصرا في العمل لأجل الدنيا، فهذا ليس له في الآخرة نصيب، وإن كان مراده من عمله وجه الله والدنيا والقصدان متقاربان فهذا شرك أصغر. وإن كان مراد العبد من عمله وجه الله وحده لكنه يأخذ على عمله جعلا يستعين به على العمل، فهذا لا يضر أخذه على إيمان العبد إن شاء الله تعالى .

الأدلة على تحريمه: من الأدلة على تحريمه قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ} {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} .

وقال – صلى الله عليه وسلم –: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة ». . . " الحديث . وقال – صلى الله عليه وسلم –: «من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله – عز وجل – لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة».

((ثالثاً: النفاق.

تعريفه: لغة: مصدر نافق ينافق نفاقاً، وهو مأخوذ من النافقاء، أحد مخارج اليربوع من جحره، فإنه إذا طُلب من مخرج، هرب إلى الآخر وخرج منه)).

جاء في "الموسوعة العقدية" : "سمي به من نافقاء اليربوع، فإن اليربوع له جحر يقال له: النافقاء، وآخر يقال له: القاصعاء، فإذا طلب من القاصعاء قصع فخرج من النافقاء، كذا المنافق يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي يدخل فيه، وقيل: نسبة إلى نافقاء اليربوع أيضاً، لكن من وجه آخر وهو إظهاره غير ما يضمر، وذلك: أنه يخرق الأرض حتى إذا كاد يبلغ ظاهر الأرض ترك قشرة رقيقة حتى لا يعرف مكان هذا المخرج، فإذا رابه ريب دفع ذلك برأسه، فخرج، فظاهر جحره تراب كالأرض، وباطنه حفر، فكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر.

ولعل النسبة إلى نافقاء اليربوع أرجح من النسبة إلى النفق (لأن النفق ليس فيه إظهار شيء، وإبطال شيء آخر، كما هو الحال في النفاق، وكونه مأخوذاً من النافقاء باعتبار أن المنافق يظهر خلاف ما يبطن، أقرب من كونه مأخوذاً منه باعتبار أنه يخرج من غير الوجه الذي دخل فيه، لأن الذي يتحقق فيه الشك الكامل بين النافقاء والنفاق هو إظهار شيء وإخفاء شيء آخر، إضافة إلى أن المنافق لم يدخل في الإسلام دخولاً حقيقياً حتى يخرج منه).

((شرعاً: إظهار الإسلام والخير وإبطان الكفر والشر)).

قال الشيخ محمد بن عبد الله الوهيبي في "نواقض الإيمان": (ص: ٣٠٩): "أما النفاق في الاصطلاح الشرعي فهو القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد) ، أو هو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه،

(وأساس النفاق الذي بنى عليه المنافق لابد وأن تختلف سريرته وعلانيته وظاهره وباطنه، ولهذا يصفهم الله في كتاب–ه بالكذب كما يصف المؤمنين بالصدق، قال تعالى: (ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون)) (وقال: (والله

يشهد إن المنافقين لكاذبون)) (وأمثال هذا كثير)) ، إذا أخص وأهم ما يميز المنافقين الاختلاف بين الظاهر والباطن، وبين الدعوى والحقيقة كما قال تعالى: (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين)) ، قال الإمام الطبري- رحمه الله: (أجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل النفاق، وأن هذه الصفة صفتهم) ، وقد يطلق بعض الفقهاء لفظ الزنديق على المنافق، قال شيخ الإسلام- رحمه الله-: (ولما كثرت الأعاجم في المسلمين تكلموا بلفظ "الزنديق" وشاعت في لسان الفقهاء وتكلم الناس في الزنديق: هل تقبل توبته؟ ... والمقصود هنا: أن "الزنديق" في عرف هؤلاء الفقهاء، هو المنافق الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره، سواء أبطن ديناً من الأديان: كدين اليهود والنصارى أو غيرهم، أو كان معطلاً جاحداً للصانع، والمعاد، والأعمال الصالحة ...)) ، وقال الإمام ابن القيم- رحمه الله- في بيان مراتب المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم: "الطبقة الخامسة عشر: طبقة الزنادقة، وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله، وهؤلاء المنافقون، وهم في الدرك الأسفل من النار)) ".

((والنفاق نوعان:

الأول: اعتقادي وهو الأكبر الذي يخرج صاحبه من الإسلام، وصاحبه مخلد في النار)).

وهو ستة أنواع:

١ . تكذيب الرسول – صلى الله عليه وسلم –.

٢ . تكذيب بعض ما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم –.

٣ . بغض الرسول – صلى الله عليه وسلم –.

٤ . بغض بعض ما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم –.

٥ . السرور بانخفاض دين الرسول – صلى الله عليه وسلم –.

٦ . الكراهية لانتصار دين الرسول – صلى الله عليه وسلم –)).

قال الشيخ محمد بن عبد الله الوهيبي في " نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف (ص: ٣١٧) فيتحصل مما ذكره هذان الإمامان [أي ابن تيمية وابن عبد الوهاب]- بعد دمج الأنواع المتشابهة أو المتقاربة- خمس صفات أو أنواع وهي:

١ – تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم، أو تكذيب بعض ما جاء به.

٢ – بغض الرسول صلى الله عليه وسلم، أو بغض ما جاء به.

٣ – المسرة بانخفاض دين الرسول صلى الله عليه وسلم، أو الكراهية بانتصار دين الرسول صلى الله عليه وسلم.

٤ – عدم اعتقاد وجوب تصديقه فيما أخبر.

٥ – عدم اعتقاد وجوب طاعته فيما أمر.

وبالنظر إلى الآيات التي ذكرت أحوال المنافقين، وكلام المفسرين حولها، يمكن أن يضاف إلى هذه الصفات صفات أخرى وهي:

٦ – أذى الرسول صلى الله عليه وسلم أو عيبه ولمزه.

٧ – مظاهرة الكافرين ومناصرتهم على المؤمنين.

٨ – الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين لأجل إيمانهم وطاعتهم لله ولرسوله.

٩ – التولي والإعراض عن حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم.

فالوقوع في أي صفة من هذه الصفات يخرج من الملة، وهذه الصفات أكثرها متعلق بحق الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول شيخ الإسلام- رحمه الله-: (... فالنفاق يقع كثيراً في حق الرسول، وهو أكثر ما ذكره الله في القرآن من نفاق المنافقين في حياته ...)".

قوله: ((١. تكذيب الرسول – صلى الله عليه وسلم –.))[3].

تكذيب الرسول –صلى الله عليه وسلم– في الباطن، مع إظهار الإسلام والانقياد ظاهراً، قال تعالى: {إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون* اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون}(المنافقون: ١–٢)، وقال: {وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير* ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير} (فاطر: ٢٥، ٢٦).

قوله: ((٢. تكذيب بعض ما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم –.)).

فتكذيب ذلك البعض يتناقض مع مطلق الإيمان بصدقه عليه الصلاة والسلام، وما هو لازمٌ من التسليم بما جاء به وأنّه حق، فكيف يشهد أنه رسول الله، ثم يؤمن بأن بعض ما جاء به مخالفٌ للصواب؟ والإرسال والنبوّة تقتضيان عصمة من ابتعثه الله من الكذب والخطأ، فكان هذا التفاوت بين شهادة اللسان بالنبوة والرسالة، وبين اعتقاد الجنان بإمكان وقوع الكذب منه، هو نفاقٌ مخرج من الملّة، كما قال شيخ الإسلام: "الطعن في الرسول طعن في المُرسِل، وتكذيبه تكذيبٌ لله تبارك وتعالى، وإنكار لكلامه وأمره وخبره، وكثيرٍ من صفاته."

قوله: ((٣. بغض الرسول – صلى الله عليه وسلم –.)).

بغض الرسول –صلى الله عليه وسلم–، ذلك لأن محبّة النبي عليه الصلاة والسلام فرضُ عينٍ لا يتم الإيمان إلا بمحبّته حباً يفوق حب جميع البشر؛ لما في حديث الصحيحين :(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده، والناس أجمعين) .وفي رواية لأحمد: (ومن نفسه)، فإذا كان الإيمان مترتّباً على تفوّق محبّة الرسول –صلى الله عليه وسلم– في النفس على كلّ من عداه من الأهل والعشيرة والأحباب، فيكون بغضهُ مذهباً لأصل الإيمان، قال ابن الهمام" :كل من أبغض رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بقلبه كان مرتّداً" ووجه النفاق هنا: أنّه يُظهر للناس شهادته بالنبوّة والرسالة، مع إبطانه لما هو ناقضٌ لهذه الشهادة، ببغض المُرسَل إليه.

قوله: ((٤. بغض بعض ما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم –.)).

ومما يلحق بذلك، بغض ما جاء به الرسول –صلى الله عليه وسلم–، فإن المحبة شرط من شروط لا إله إلا الله،

---

٣ () وشرح هذه الأنواع مستفاد من مقال على موقع إسلام ويب مع بعض الزيادات.

ويستلزم ذلك: محبة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، ومحبّته تكون لذاته ولما جاء به من الأحكام الشرعيّة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية" :وحقيقته –أي الامتناع عن الانقياد للشرع– كفر؛ لأنه يعترف لله ورسوله بكل ما أخبر به، ويصدّق بكل ما يصدق به المؤمنون، لكنه يكره ذلك ويبغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده ومشتهاه، ويقول: أنا لا أقر بذلك ولا ألتزمه، وأبغض هذا الحق وأنفر عنه،.. وتكفير هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، والقرآن مملوء من تكفير مثل هذا النوع"، وهذا صحيح، ومن أمثلته ما جاء في قوله تعالى :{ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم} (محمد:٩)، فالتعاسة والضلال وحبوط العمل ترتّب على بغضهم لما أنزله الله على رسوله، فكان دليلاً على نقضهِ لعروة الإسلام.

ووجه كون هذا البغض من النفاق: أن المنافق يمتثل ظاهراً لأوامر الله، فيُصلّي ويزكي ويأتي بالعبادات مع المسلمين، لكن قلبه امتلأ بُغضاً وكراهيةً لهذه العبادات بالرغم من كون الامتثال لها من شروط لا إله إلا الله، فهذا التباين بين الظاهر والباطن هو عين النفاق، وقد جعل الله تعالى هذه الكراهية من علامات أهل النفاق، وذلك في قوله تعالى: {ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون} (التوبة:٥٤)، وقوله سبحانه : {فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله} (التوبة:٨١)

قوله: ((٥. السرور بانخفاض دين الرسول – صلى الله عليه وسلم –.)).

وهذه الصفة ذكرها الله عز وجل عن المنافقين في أكثر من موضع، فهم بسبب موالاتهم للكافرين يسعون معهم لإضعاف المسلمين وإثارة الفتن بينهم، والتخذيل ويسيئون الظن بوعد الله ونصره، ويحبون ظهور الكفار وانتصارهم على المسلمين ويفرحون بذلك، وبالمقابل يصيبهم الهم والغم حينما ينتصر المسلمون.

قال عز من قائل: [إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون]) وفي أخرى، يقول سبحانه وتعالى: [إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط] يقول ابن حزم –رحمه الله –: ".. وأما الذي أخبر الله تعالى بأنه إن أصابت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– سيئة ومصيبة تولوا وهم فرحون، أو أنه إن أصابته حسنة ساءتهم فهؤلاء كفار بلا شك."

"وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصب ونصر وتأييد، وكثروا، وعز أنصارهم، ساء ذلك المنافقين، وإن أصاب المسلمين سنة أي جدب أو أديل عليهم الأعداء – لما لله تعالى في ذلك من الحكمة كما جرى يوم أحد – فرح المنافقون بذلك")

قوله: ((٦. الكراهية لانتصار دين الرسول – صلى الله عليه وسلم –)).)).

كراهيّة انتصار الدين، والعمدة في ذلك قوله تعالى: :{إن تصبك حسنة تسؤهم } (التوبة: ٥٠)، فالمنافقون لا يريدون أن يعايشوا انتصارات المسلمين في جميع الميادين، سواءٌ في ذلك ميادين القتال والنزال، وميادين الدعوة والإصلاح، وميادين التعليم والتثقيف، وكلّما علتْ ألويةُ القبول والانتشار للإسلام، زاد غيظهم وحَنَقُهم، وهذا –كما يقول الشوكاني– ، وهذا من خبث ضمائر المنافقين وسوء أفعالهم، والإخبار بعظيم عداوتهم لرسول الله –

صلى الله عليه وسلم- وللمؤمنين.

والحالُ أن من يسوؤه انتصار الدين وعلوّه، فهو كالُمستاء لانتصار الرسول نفسِه، لا فرق في ذلك، وإننا لنجدُ ذلك حين ننظرُ إلى الرابط اللطيف بين آيتين كريمتين: { إن تصبك حسنة تسؤهم} و(التوب:٥٠) وقوله سبحانه وتعالى: {إن تمسسكم حسنة تسؤهم} (آل عمران:١٢٠)، ووجهُ الاشتراك أن بُغض انتصار المسلمين ليس لجنسِهم أو عرقِهم أو لونهم، وإنما هو لُمعتقدهم ودينهم، فمن ساءه هذا الانتصار فهو بمثابة من ساءه انتصار الرسول نفسه، لأن المؤمنين هم أتباعُه وأولياؤه.

إشكال:

قال الشيخ محمد الوهيبي في "نواقض الإيمان" (ص: ٣٢٥): " يقال: من المعلوم أن النفاق الأكبر، أن يظهر المرء الإسلام وهو في الباطن خلاف ذلك، فكيف يصح إطلاق النفاق، على من أظهر مثل هذه المكفرات ولم يبطنها؟ ونجيب على ذلك بما يلي:

١ - إما أن يقال: إن هذا الإظهار ليس إظهاراً عاماً يعرفه المسلمون عنهم، بل يظهرون ذلك فيما بينهم فقط مثل قولهم: هو أذن، أو قولهم: أنؤمن كما آمن السفهاء ونحو ذلك، قال تعالى عنهم: [وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون] (فهؤلاء المنافقون إذا لقوا المهاجرين والأنصار قالوا آمنا كإيمانكم وإذا خلوا رجعوا إلى شياطينهم أي رؤساءهم. وقال مجاهد: إلى أصحابهم من المنافقين والمشركين قالوا إنا معكم أي على دينكم، إنما نحن مستهزءون بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بما نظهر من الإسلام) قال الإمام البغوي - رحمه الله -: "فإن قيل: كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم (أنؤمن كما آمن السفهاء) قيل إنهم يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين") وهذا من التذبذب الذي يتصفون به.

٢ - ويمكن أن يقال: إن النفاق كالإيمان أصله في القلب والذي يظهر من الأقوال والأفعال فرع له ودليل عليه، فإذا وجدت مثل هذه الصفات كان ذلك دليلاً على نفاق صاحبها) وإن كان الغالب على المنافقين أن لا يظهروا للمؤمنين ما يدل على نفاقهم إلا حينما يحصل للمسلمين مصيبة أو ابتلاء وشدة.

٣ - ويمكن أن يقال - أيضاً -: إن بعض هذه الصفات وإن اتصف بها المنافقون غالباً إلا أنها قد لا تختص بالمنافقين فقط، فقد يجاهر بها من يدعي الإسلام، فيوالي الكفار ولاءاً ظاهراً، أو يعيب وينتقص الرسول صلى الله عليه وسلم علناً، فيكفر بذلك، ويكون كفره كفراً ظاهراً، وليس كفر نفاق".

((الثاني: النفاق العملي. وهو ما ورد من النصوص تسميته نفاقاً ولم يصل إلى حد الاعتقادي، مثل الكذب والخلف والغدر والخيانة. قال صلى الله عليه وسلم: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان» وفي رواية: «وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر»))

قال النووي: "هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلاً من حيث إن هذه الخصال توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك، وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقاً بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر، ولا هو منافق يخلد في النار فإن إخوة يوسف صلى الله عليه وسلم جمعوا هذه الخصال وكذا وجد لبعض

السلف والعلماء بعض هذا أو كله، وهذا الحديث ليس فيه بحمد الله تعالى إشكال، ولكن اختلف العلماء في معناه، فالذي قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار، أن معناه أن هذا الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم، فإن النفاق إظهار ما يبطن خلافه، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال، ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر، ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم، وقوله بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار صلى الله عليه وسلم: "كان منافقاً خالصاً" معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال، قال بعض العلماء هذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه فأما من يندر ذلك منه فليس داخلاً فيه، فهذا هو المختار في معني الحديث ... ") .

وقال الخطابي: "هذا القول إنما خرج على سبيل الإنذار للمرء المسلم، والتحذير له أن يعتاد هذه الخصال، فتفضي به إلى النفاق، لا أن من بدرت منه هذه الخصال، أو فعل شيئاً من ذلك من غير اعتياد أنه منافق) .

قال الإمام الترمذي رحمه الله في تعليقه على حديث: (أربع من كن فيه كان منافقاً ...) : (وإنما معنى هذا عند أهل العلم نفاق العمل، وإنما نفاق التكذيب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا روي عن الحسن البصري شيئاً من هذا أنه قال: النفاق نفاقان، نفاق عمل ونفاق التكذيب).

((ومنه التكاسل عن أداء الصلاة في الجماعة، ومراءاة الناس وعدم ذكر الله إلا قليلاً، قال تعالى: «إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يرآءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً» [النساء ١٤٢]) .

قال الشنقيطي في " أضواء البيان"(١/ ٣٢٠): "بين في هذه الآية الكريمة صفة صلاة المنافقين بأنهم يقومون إليها في كسل ورياء، ولا يذكرون الله فيها إلا قليلا، ونظيرها في ذمهم على التهاون بالصلاة، قوله تعالى: ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى الآية [٩ \ ٥٤] ، وقوله: فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الآية [١٠٧ \ ٤] ، ويفهم من مفهوم مخالفة هذه الآيات أن صلاة المؤمنين المخلصين ليست كذلك، وهذا المفهوم صرح به تعالى في آيات كثيرة بقوله: قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون [٢٣ \ ١، ٢] ، وقوله: والذين هم على صلواتهم يحافظون [٢٣ \ ٩] ، وقوله: يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة الآية [٢٤ \ ٣٧ \ ٣٦] ، إلى غير ذلك من الآيات". فهذه العلامات دلالة على مطلق النفاق من اختلاف الظاهر والباطن وإنما كان نفاق هؤلاء أكبر لإسرارهم الفكر وإظهارهم الإيمان بخلاف من لم يبطن الكفر ولكن حصل منه رياء وتكاسل عن آداء بعض الصلوات فنفاقه أصغر.

((وينبغي على العبد الحذر من هذا النوع؛ لأنه وسيلة إلى النفاق الاعتقادي المخرج من الملة)).

وقال ابن رجب: "وحاصل الأمر أن النفاق الأصغر كله يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية كما قاله الحسن ... ").

ومن هذا الباب الإعراض عن الجهاد فإنه من خصال المنافقين، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شبعة من نفاق"، ومن ذلك ما رواه البخاري: "قال أناس لعبدالله بن عمر: إنا ندخل على سلطاننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم، قال: كنا نعده نفاقاً".

وقال ابن العربي: "النفاق هو إظهار القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد. (أصوله) وهي قسمان:

أحدهما: أن يكون الخبر أو الفعل في توحيد الله وتصديقه أو يكون في الأعمال، فإن كان في التوحيد كان صريحاً، وإن كان في الأعمال كانت معصية، وكان نفاقاً دون نفاق كما تقدم القول في كفر دون كفر ...".

قال الشيخ عبد الله بن عبد الحميد الأثري في " الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة" (ص: ٢٥٩): "النفاق الأصغر؛ غير المخرج من الملة: هو النفاق العملي، واختلاف السر والعلانية في الواجبات، وذلك بعمل شيء من أعمال المنافقين؛ مع بقاء أصل الإيمان في القلب وصاحبه لا يخرج من الملة، ولا ينفى عنه مطلق الإيمان، ولا مسمى الإسلام، وهو معرض للعذاب كسائر المعاصي، دون الخلود في النار، وصاحبه ممن تناله شفاعة الشافعين بإذن الله. وهذا النوع من النفاق مقدمة وطريق للنفاق الأكبر؛ لمن سلكه وكان ديدنه".

وقال الشيخ عبد الله الوهيبي في "نواقض الإيمان" (ص: ٣١٥): "وخلاصة القول في النفاق الأصغر، أنه نوع من الاختلاف بين السريرة والعلانية مما هو دون الكفر، وذلك كالرياء الذي لا يكون في أصل العمل، وكإظهار مودة الغير والقيام بخدمته مع إضمار بعضه والإساءة إليه وكالخصال الواردة في حديث شعب النفاق ونحو ذلك، فعلى المسلم الحذر من الوقوع في شيء من ذلك".

<u>((٧. الافتراق في الدين (نشأته وأسبابه):</u>

<u>كان الناس قبل مبعث النبي – صلى الله عليه وسلم – في أعظم جاهلية وشر واختلاف وتفرق، قد التبس عليهم الحق، قال المقداد بن الأسود رضي الله عنه: "لقد بعث النبي – صلى الله عليه وسلم – على أشد حال بعث عليه نبي من الأنبياء في فترة وجاهلية، ما يرون ديناً أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرّق بين الحق والباطل")).</u>

الأثر الذي ذكره رواه أحمد وغيره مطولا وصحح إسناده الشيخ الألباني والشيخ الأرناؤوط.

وظاهر كلام الماتن أنه يرى أن جميع أهل الفترة كانوا من أهل الجاهلية والشرك.

وبداية لابد من التعريف بأهل الفترة:

<u>تعريف الفترة لغة :</u>

قال ابن منظور في "لسان العرب" مادة: ف ت ر : (الفَتْرَةُ: الِانْكِسَارُ وَالضَّعْفُ. وفَتَرَ الشيءُ وَالْحَرُّ وَفُلَانٌ يَفْتُرُ ويَفْتِر فُتُوراً وفُتاراً: سَكَنَ بَعْدَ حِدَّةٍ ولانَ بَعْدَ شِدَّةٍ ..).

ومادة فتر من المعاني الدالة على ما بين وجودين، أو معنيين، أو حالتين.

<u>معنى الفترة اصطلاحا :</u>

هي مدة انقطاع الرسالة بين نبيين، وما في حكمها.

وإنما قلنا (بين نبيين) ، ولم نقل بين رسولين؛ لأن النبي أعم من الرسول، فالنبي هو الذي يأتي مجدداً لشرع رسول قبله ، والرسول يأتي بشرع جديد، فالتعبير بالنبي يستلزم أن يكن هناك رسلا ، أما التعبير بالرسول فلا يستلزم وجود أنبياء.

قولنا (ما في حكمها) يشمل من عاش بعد بعثة النبي ولم تصلهم دعوته، كنحو من نشأ في بادية بعيدة، أو وصلتهم الدعوة مشوهة ولم يتمكنوا من الوصول للحق؛ لكونهم في ديار كفر، أو لبعد مكانه عن ديار الإسلام، فلم يتمكنوا من معرفة الإسلام الصحيح بأي وسيلة من الوسائل.

ولا يدخل فيهم مقلدة أهل الكتاب من أهل زماننا، ولو كانوا في ديار كفر لتوفر وسائل المعرفة في هذا العصر، وإنما أصمهم عن قبول الحق عبادتهم لأحبارهم ورهبانهم، وقوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر: ٢٤] تبين أنهم جاءهم نذير كما هو معلوم بالضرورة ويتوارث الأجيال دعوته إلا أنهم حرفوا وبدلوا.

ويدخل في حكمهم أيضا أولاد المشركين ...

أقسام أهل الفترة :

المتتبع لأحوال أهل الفترة يجد أن منهم من وصلت إليه بقايا من دعوة النبي السابق كبقايا دين إبراهيم عليه السلام مثلا.

المتتبع لأحوالهم يجد أن جل اعتمادهم في الوصول للدين الحق هو سؤال الأحبار الرهبان وكان قد أصاب دينهم التحريف التبديل فكان الكثير منهم ينصح بإتباع دين إبراهيم عليه السلام – الذي كان قد اندثر معظمه إلا بقايا من تعظيم الكعبة والحجابة السدانة ... كما حدث لزيد بن عمرو وانتظار النبي الذي يبعث آخر الزمان، وبعضهم أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه كسلمان الفارسي، وأبو ذر رضي الله عنهما، أما زيد ففي إسلامه اختلاف، ذكر ابن حجر في التهذيب أنه علم ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم فذهب يريده فقتل في الطريق وكان زيدا يقول: اللهم لو أني أعلم أحب الوجوه إليك لعبدتك به، ولكني لا أعلم ثم يسجد على راحلته. أخرجه البخاري معلقا ووصله النسائي وابن إسحاق وغيرهما وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه : "إنه يبعث أمة وحده" كما رواه البزار وأبو يعلى وغيرهما بإسناد حسن.

فهذا وأمثاله لم ترسل إليهم رسل ولم تصل إليهم شرائع كاملة ولذلك فلهم حكم أهل الفترة، ولا نجزم لأحد بجنة ولا بنار إلا بدليل.

وعلى الطرف الأخر نجد من أهل الفترة من غير وبدل ودعا إلى عبادة الأصنام، كعمرو بن لُحَيٍّ بن عامر الأسدي، وهو أول من غير في دين إسماعيل عليه السلام، قدم الشام فوجد أهلها يعبدون الأصنام فأعجب بها، فأخذ منها وأتى مكة، ودعا الناس إلى عبادتها، وكان آنذاك سيد قومه، فـهو أول من سن عبادة الأصنام، وهو الذي بحر البحيرة، وسيب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه – يجر أمعاءه– في النار وكان أول من سيب السوائب» رواه البخاري.

وهؤلاء هم أهل الجاهلية، قال ابن الأثير: (هي الحال الَّتي كانت عليها العرب قبل الإسلام؛ من الجَهْل بالله ورَسُوله وشرائع الدِّين، والمفاخَرة بالأنساب والكِبْرِ والتَّجَبُّر وغير ذلك).

وقال المناوي: (زمن الفترة سمي به لكثرة الجهالة فيه كقتل البنات والطيرة والكهانة والنياحة والميسر والنيروز ومنع القود عن مستحقه وطلب الحق ممن ليس عليه كأصله وفرعه).

وقال الشيخ صالح آل الشيخ : (الجاهلية راجعة إلى الجهل بالله جل وعلا، وبما يستحقه، وبما يحبه من الدين والطاعة، وهذه الجاهلية هي كل ما كان عليه الناس قبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مما خالفوا فيه الدين المشترك للرسل – صلوات الله وسلامه عليهم – ، أو ما شرعه من الدين الحق على ألسنة رسله. فيشترك في ذلك ما كان عليه أهل الجاهلية من العرب، وأهل الجاهلية من أهل اليهود، وأهل الجاهلية من النصارى، وأهل الجاهلية من المجوس، وأهل الجاهلية من الصابئة، وهكذا إلى جميع أنواع أهل الملل...)

القسم الثالث: وهم من لم تصل إليهم هذه البقايا أو صلت إليهم مشوشة ومحرفة، وهذا هو الحال الغالب على أهل هذه الفترة وقد اختلف فيهم العلماء على أقوال ثلاثة :

أنهم من أهل النار ، والثاني أنهم من أهل الجنة والراجح هو أنهم معذورون بالفترة في الدنيا، وأن الله يوم القيامة يمتحنهم بنار يأمرهم باقتحامها، فمن اقتحمها دخل الجنة وهو الذي كان يصدق الرسل لو جاءته في الدنيا، ومن امتنع دخل النار وعذب فيها، وهو الذي كان يكذب الرسل لو جاءته في الدنيا ؛ لأن الله يعلم ما كانوا عاملين لو جاءتهم الرسل.

فقد روى أحمد وغيره عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرَمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرَمُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ، مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا " وهو حديث حسن لغيره.

قوله: ((وكان – صلى الله عليه وسلم – حريصاً على أمته أشد الحرص، فما توفي إلا وقد نص على كل ما يعصم من المهالك، قال – صلى الله عليه وسلم –: «أيم الله لأتركنكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها»)).

الحديث الذي ذكره اخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" وصححه الشيخ الألباني.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في " درء تعارض العقل والنقل" (١/ ٧٣): "وبذلك يتبين أنه عليه الصلاة والسلام نص علي كل ما يعصم من المهالك نصاً قاطعاً للعذر، وقال تعالى {وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون} [التوبة: ١١٥] ، وقال تعالى {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا} [المائدة: ٣] ، وقال تعالى {لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل} [النساء: ١٦٥] ، وقال تعالى {وما على الرسول إلا البلاغ المبين} [النور: ٥٤] ، وقال {إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم} [الإسراء:

٩] ، وقال تعالى {ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا * وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما * ولهديناهم صراطا مستقيما} [النساء: ٦٦-٦٨] ، وقال تعالى {قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام} [المائدة: ١٥-١٦] .

و «قال أبو ذر لقد توفي رسول الله صلي الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً» .

وفي صحيح مسلم: «أن بعض المشركين قالوا لسلمان: لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، قال: أجل» .

و «قال صلى الله عليه وسلم تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك» وقال «ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به، ولا من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم عنه» وقال «ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه خيراً لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه شراً لهم»".

((فلما توفي الرسول – صلى الله عليه وسلم – سار الصحابة رضي الله عنهم على ما عهد إليهم نبيهم من الطاعة وترك التفرق، وكانوا جماعة واحدة، وإن وقع اختلاف في الرأي بينهم فهو عرضي سرعان ما يحسم بالاتفاق ورجوع المخالف إلى الصواب)).

قال أحمد محمد هاشم في " آداب الاختلاف لدى الصحابة رضوان الله عليهم": " الاختلاف في عهد الخلفاء الراشدين والصحابة من بعدهم، وكانت هذه الحقبة قد ظهرت لحظة لحاقه عليه الصلاة والسلام ، بالرفيق الأعلى وعقب وفاته، كما امتدت حتى نهاية القرن الأول للهجرة النبوية، حيث ظهرت فيها بين الصحابة اختلافات متعددة، ومتنوعة: ومنها ما كان ذا علاقة بذات النص النبوي الأحادي، ومنها ما تعلق بفهم الصحابي لمضمون النص، ومنها ما سار عليه الصحابة في أداء العبادة والسنن، ومنها ما كان ذا صلة بالاختلاف السياسي والمصالح الشخصية، وأغلبها كانت تحل بالعودة إلى الدليل مع التحري في صحته، أو التسليم بموقف الجماعة، ومثلنا على ذلك: موقف عبد اللهَّ بن مسعود، رضي اللهَّ عنه من الصلاة في منى، حيث كان رسول اللهَّ عليه الصلاة والسلام ، وأبوبكر وعمر وصدر من خلافة عثمان يصلونها ركعتين قصراً، ثم صلاها عثمان أربعاً، فلما بلغ ابن مسعود ذلك استرجع ثم قام فصلى أربعاً، فقيل له استرجعت يابن مسعود ثم صليت أربعاً؟، فقال: الخلاف شر، وهناك أمثلة كثيرة ...

١-حقيقة وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، حيث أصر عمر بن الخطاب أنه عليه الصلاة والسلام ، لم يمت، واعتبر الخبر إرجافاً من المنافقين، وامتطى سيفه منفعلاً متوعداً، حتى جاء أبوبكر، رضوان اللهَّ عليهم، وقرأ على الناس الحضور قول اللهَّ تبارك وتعالى: {وما مُحَمَّدٌ إلا رسولٌ قد خلتْ من قبلهِ الرسلُ أفإن ماتَ أو قُتِلَ انقلبتُم على أعقابكم ومَنْ ينقلبْ على عَقبيهِ فلن يَضُرَّ الله شيئاً وسيجزي اللهُ الشاكرين} (سورة آل عمران، الآية: ١٤٤)، وقول الله تعالى: {إنك ميتٌ وإنهم لميتون} (سورة الزمر، الآية: ٣٠)، فسقط السيف من يد عمر، رضي اللهَّ عنه، واستيقن أن الرسول عليه الصلاة والسلام ، قد مات، كما استيقن انقطاع الوحي.

٢.اختلافهم في دفنه عليه الصلاة والسلام ، فمن قائل ندفنه في مسجده، ومن قائل ندفنه مع أصحابه، وصار الأمر في أخذ ورد، وحين ظهر أبوبكر عليهم، روى حديثاً كان قد سمعه، حيث قال: إني سمعت رسول الله

يقول: "ماقبض نبي إلا دفن حيث قبض". فسلم القوم، ورفع فراش رسول اللهَّ عليه الصلاة والسلام ، الذي توفي عليه، وحُفرَ له تحته، وهذان أمران كانا قد أزيل الاختلاف فيهما بعد الرجوع إلى كتاب اللهَّ في القضية الأولى، وإلى الحديث النبوي الشريف الذي رواه أبوبكر، رضي الله عنه، في القضية الثانية.

.٣ اختلافهم في خلافة رسول اللهَّ عليه الصلاة والسلام ، وفي من تكون؟، أفي المهاجرين أم الأنصار؟ وصار في الأمر ما صار، كما حكته كتب التاريخ، وذكره الرواة والمحدثون، فقال عمر بن الخطاب: "فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى تخوفت الاختلاف، فقلت ابسط يدك يا أبا بكر، فبايعته، ثم بايعه المهاجرون والأنصار، وتدافع الناس لمبايعته" هكذا استطاع الصحابة، رضوان اللَّه عليهم، حسم الخلاف بينهم، حفاظاً على جذوة الإسلام، ومضى المسلمون قدماً برسالة الحق إلى حيث شاء اللهَّ لها أن تنتشر وتعلو.

ومن الاختلافات ما حدث في عهد الخلفاء الراشدين وبينهم، ومن ذلك اختلافهم حول قتال مانعي الزكاة، وبالحوار الإسلامي، وبفضل إيمانهم القوي وتسليمهم بوحدة الدعوة، وتحليهم بصدق النية وسلامة الطوية مع قوة في العزيمة تمكنوا من وأد الاختلاف بالوصول إلى اتفاق كل الصحابة على قتال مانعي الزكاة.

ثم ساق بعض الأمثلة على الاختلاف على المستوى الثنائي بين بعض فقهاء الصحابة، رضوان اللهَّ عليهم.

((واستمر الأمر كذلك حتى قتل عثمان رضي الله عنه ووقعت الفتنة بين الصحابة التي ظهرت على إثرها فرقة الخوارج، الذين خرجوا على علي رضي الله عنه بعد حادثة التحكيم، وكفروا مرتكب الكبيرة، وبعض كبار الصحابة مثل علي ومعاوية رضي عنهما)).

تعريف الخوارج:

جاء في "موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام": "كل من خرج على الإمام وعلى الجماعة المسلمة بالسيف للدعاء إلى معتقده وكان خروجه نابعا من مخالفة الأصول في الشريعة" فهذا التعريف أقرب لتعريف الخوارج كفرقة من الفرق، أما من خرج لغير ذلك مما تقدم فيطلق عليهم اسم الخروج العام، ويطلق عليهم خوارج "كحكم شرعي، وصفة لفعلهم. إذ كل من خرج على إمام المسلمين وجماعتهم بالسيف، وكان الدافع لهذا الخروج عقيدة يعتقدها من تكفير المخالفين أو بدعة يدعو إليها يسمى خارجيا، ويعتبرون خوارج ويلحقهم الذم الوارد في النصوص، لذلك يطلق على فرقة الرافضة خوارج مارقة بهذا المعنى. وإن كانت الخوارج والرافضة كلها تكفر بالمعاصي، وترى الخروج على إمام المسلمين وجماعتهم على خلاف فيما بينهم في تفصيل ذلك إلا أن الفيصل بينهما هو القول في علي رضي الله عنه، فالخوارج الحرورية تكفره، والرافضة تتولاه. لذا إذا أردنا أن نعرف الخوارج الحرورية بتعريف خاص بهم كفرقة من الفرق، لا كحكم شرعي فيهم أو تعريف عام لهم نقول: هم كل من كفر علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعثمان وأصحاب الجمل ومن رضي بالتحكيم، وهم الذين يكفرون بالمعاصي، ويرون الخروج على إمام المسلمين وجماعتهم، ويتولون فرقة المحكمة الأولى".

وعرف الشهرستاني في "الملل والنحل" (١/ ١١٥): "المحكمة الأولى: بأنهم هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة .. وفيهم قال النبي صلى الله

عليه وسلم: "تحقر صلاة أحدكم في جنب صلاتهم، وصوم أحدكم في جنب صيامهم، ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم".

فهم المارقة الذين قال فيهم: "سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"... وطعنوا في عثمان رضي الله عنه للأحداث التي عدوها عليه، وطعنوا في أصحاب الجمل وأصحاب صفين.

فقاتلهم علي رضي الله عنه بالنهروان مقاتلة شديدة، فما انفلت منهم إلا أقل من عشرة، وما قتل من المسلمين إلا أقل من عشرة، فانهزم اثنان منهم إلى عمان، واثنان إلى كرمان، واثنان إلى سجستان، واثنان إلى الجزيرة، وواحد إلى تل مورون باليمن، وظهرت بدع الخوارج في هذه المواضع منهم وبقيت إلى اليوم.

فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه:

روى أحمد وغيره عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ادعوا لي بعض أصحابي» ، قلت: أبو بكر؟ قال: «لا» . قلت: عمر؟ قال: «لا» . قلت: ابن عمك علي؟ قال: «لا» . قالت: قلت: عثمان؟ قال: «نعم» ، فلما جاء، قال: «تنحي» . فجعل يساره، ولون عثمان يتغير، فلما كان يوم الدار وحصر فيها، قلنا: يا أمير المؤمنين، ألا تقاتل؟ قال: " لا، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلي عهدا، وإني صابر نفسي عليه.

أسباب الفتنة:

ذكر الشيخ عثمان الخميس بعض الأسباب وراء فتنة قتل عثمان وهي:

السبب الأول: وهو سبب رئيس: رجل يهودي يقال له عبد الله بن سبأ:

وعبد الله بن سبأ هو يماني يهودي أظهر الإسلام ثم انتهج التشيع لعلي رضي الله عنه وهو الذي تنسب إليه فرقة السبئية الذين قالوا بألوهية علي رضي الله عنه.

السبب الثاني : الرخاء الذي أصاب الأمة الإسلامية في زمن عثمان رضي الله عنه:

حتى قال الحسن البصري: قلما يأتي على الناس يوم إلا ويقتسمون فيه خيرا حتى إنه ينادي تعالوا عباد الله خذوا نصيبكم من العسل، تعالوا عباد الله خذوا نصيبكم من المال.

وذلك لأن الجهاد كان في أوجه في زمن عثمان رضي الله عنه والرخاء من عادته أن يورث مثل هذه الأشياء وهي التذمر وعدم القبول وذلك لبطر الناس وعدم شكرهم.

السبب الثالث : الاختلاف بين طبع عثمان وطبع عمر رضي الله عنهما، كان عمر رضي الله عنه شديدا وكان عثمان رضي الله عنه رءوفا ، غير أنه لم يكن ضعيفا كما يدعي كثير من الناس ، بل كان حليما ، ولذلك عندما حاصروه في البيت قال : « أتدرون ما جرأكم علي ؟ ما جرأكم علي إلا حلمي ..

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : والله لقد نقموا على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما تكلم منهم أحد.

إذن لماذا نقموا على عثمان؟ لأن عثمان كان يسامح ويترك ويفوت لهم تلك الأخطاء ويعفو رضي الله عنه وأرضاه .

السبب الرابع : استثقال بعض القبائل لرئاسة قريش :

القبائل العربية التي دخلت في الإسلام وبخاصة تلك التي ارتد بعض رجالها عن دين الله تبارك وتعالى ثم رجعوا بقوة السيف بعد أن قوتلوا فرجع بعضهم إلى الإسلام عن قناعة وبعضهم من غير قناعة وبعضهم رجع وفي القلب شيء ، أولئك استثقلوا أن تكون الرئاسة دائمة في قريش ، لماذا الرئاسة في قريش ؟ ولذلك يقول ابن خلدون : « وجدت بعض القبائل العربية الرئاسة على قريش وأنفت نفوسهم فكانوا يظهرون الطعن في الولاة ، ووجدوا في لين عثمان فرصة لذلك .

ما صح أن الخارجين سوغوا خروجهم عليه به أو عابوه عليه:

قال د. محمد بن عبد القادر غبان الصبحي في " فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه" (١/ ٦٩) ما ملخصه: "

أولاً: عدم شهوده غزوة بدر:

كانت غزوة بدر في العام الثاني من الهجرة، وذلك لما ندب النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى الخروج إلى عير لقريش، وتعجل بمن كان مستعداً، دون أن ينتظر أهل العوالي لاستعجاله بالخروج.

ووافق ذلك أن كانت رقية –رضي الله عنها– ابنة النبي صلى الله عليه وسلم مريضة، قعيدة الفراش، وفي أمس الحاجة إلى من يمرضها ويرعى شؤونها، وخير من يصلح لذلك هو زوجها؛ لأن الزوجة لا تكتمل حريتها عند غير زوجها؛ لذلك كله أمر النبي –عليه الصلاة والسلام– زوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه بالبقاء في المدينة بجانب زوجته ليقوم بتمريضها، وضرب له بسهمه في غزوة بدر فقال عثمان: وأجري يا رسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: "وأجرك" .

وبذلك يتبين أن عثمان رضي الله عنه لم يشهد غزوة بدر، ولكنه كمن شهدها لضرب النبي صلى الله عليه وسلم له بسهم فيها، من الغنيمة والأجر... والتخلف عن شهود غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مع العذر، ممن لديه رغبة صادقة في شهودها، لا يوقع حرجاً على صاحبه، إذا كان ناصحاً لله ورسوله، وقد بين الله جل وعلا ذلك في قوله: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا للهِّ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُّ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ} .

فليس على هؤلاء سبيل، بل شهد الله لهم بالإحسان... ولو كان عثمان رضي الله عنه آثماً لتخلفه عن غزوة بدر؛ فلم لم يعاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك؟ فهل هؤلاء الطاعنون فيه بهذا السبب أعرف بدين الله من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

وهم أوباش الناس، ليست لهم صحبة ولا فضل، ولم يعرفوا بخير قط، ولولا الفتنة ما عرفوا ولا ذكروا.

ثانياً: توليه يوم أحد عن المعركة.

نتيجة لمخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم من بعض المقاتلين فقد المسلمون مواقعهم، وأخذوا يقاتلون دون تخطيط، فلم يستطيعوا تمييز بعضهم من بعض وأسقط في أيديهم، ففر كثيرون منهم من ميدان القتال، وانتحى بعضهم جانباً دون قتال، في حين آثر آخرون الموت على الحياة فقاتلوا حتى الموت.

وقد ذكر الله جل وعلا خبر فرار من فر، وعفوه عنهم فقال: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} .

فبين الله أنه قد عفا عن جميع المتولين يوم أحد، فدخل فيهم من هو دون عثمان في الفضل والسابقية، فكيف لا يدخل هو مع فضله، وسابقته، وكثرة حسناته . كما أن فراره يوم أحد لا يُحل قتله، فكيف وقد غفر الله له، ولو استحق ذلك لما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم معاقبته، ولما بايعه الصحابة جميعاً بالخلافة.

ثالثاً: تخلفه عن بيعة الرضوان:

بيعة الرضوان دعا إليها النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أرسل عثمان رضي الله عنه إلى أهل مكة يفاوضهم، ويبين لهم هدف المسلمين من قدومهم، وأنه العمرة وليس القتال، فلما استبطأ النبي صلى الله عليه وسلم عثمان، وبلغه أن المشركين قد قتلوه، بايع أصحابه على قتال المشركين ثأراً لعثمان رضي الله عنه.

ونظراً لاحتمال عدم صدق الخبر بايع النبي صلى الله عليه وسلم بيده على اليد الأخرى عن عثمان رضي الله عنه.

وقال ابن عمر: وبايع النبي صلى الله عليه وسلم بإحدى يديه لعثمان فَيَدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من يد من بايع بيده.

فعدم حضور عثمان رضي الله عنه بيعة الرضوان يُعَدّ منقبة له وليس مثلبة فيه، ولكن القلوب الحاقدة قلبتها إلى مثلبة وعابته بها.

رابعاً: حميه الحمى:

ومنها حميه الحمى فلما قدم أهل مصر المدينةَ، واستقبلهم عثمان رضي الله عنه قالوا له: ادع بالمصحف، فدعا به، فقالوا: افتح السابعة – وكانوا يسمون سورة يونس السابعة – فقرأ حتى أتى قوله تعالى: {قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ} .

فقالوا له: قف، أرأيت ما حميت من الحمى، آلله أذن لك أم على الله تفتري؟.

فقال عثمان رضي الله عنه: امضه نزلت في كذا وكذا فأما الحمى، فإن عمر حماه قبلي لإبل الصدقة، فلما وليت زادت إبل الصدقة، فزدت في الحمى لِما زاد من إبل الصدقة، امضه...

ونهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمى في قوله: "لا حمى إلا لله ولرسوله" إنما هو نهي عن حمى الجاهلية الذي يخص به رئيس القبيلة نفسه دون غيره.

ثم ذكر المؤلف ما ذكر من مسوغات الخروج مما لم يصح إسناده أو مما اشتهر وليس له إسناد.

بعد أن أثيرت هذه الأمور على عثمان خرج أناس من أهل البصرة وأناس من أهل الكوفة وأناس من أهل مصر ، وجاءوا إلى المدينة في السنة الخامسة والثلاثين من هجرت النبي صلى الله عليه وسلم يظهرون أنهم يريدون الحج ، وقد أبطنوا الخروج على عثمان رضي الله عنه وأرضاه .

واختلف في أعدادهم فقيل إنهم ألفان من أهل مصر وألفان من أهل الكوفة وألفان من أهل البصرة ، وقيل إن الكل ألفان وقيل غير ذلك ، وليست هناك إحصائية دقيقة ، ولكنهم لا يقلون عن ألفين ولا يزيدون عن ستة آلاف بأي حال من الأحوال.

دخلوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أولئك القوم من فرسان قبائلهم ، جاءوا لعزل عثمان ، إما بالتهديد وإما بالقوة وحاصروا بيت عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه في أواخر ذي القعدة وأمروه أن يخلع نفسه من الخلافة ، واستمر الحصار إلى الثامن عشر من ذي الحجة ، وهو يوم مقتل عثمان رضي الله تبارك وتعالى عنه .

وقيل إن الحصار استمر أربعين يوما وقيل غير ذلك ولكنه لا يزيد عن الواحد والأربعين يوما .

حوصر عثمان منزله في بيته ومنع من الصلاة بل ومن الماء : بعد أن حوصر عثمان تسوروا عليه البيت فقتلوه رضي الله عنه وهو واضع المصحف بين يديه.

اعتزام الأنصار الدفاع عن عثمان:

قال أبو بكر بن العربي في " العواصم من القواصم " (ص: ١٣٣): "وجاء زيد بن ثابت فقال له: إن هؤلاء الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله مرتين. قال عثمان لا حاجة بي في ذلك، كفوا.

وقال له أبو هريرة: اليوم طاب الضرب معك. قال: عزمت عليك لتخرجن.

وكان الحسن بن علي آخر من خرج من عنده، فإنه جاء الحسن والحسين وابن عمر وابن الزبير ومروان، فعزم عليهم في وضع سلاحهم وخروجهم، ولزوم بيوتهم.

فقال له ابن الزبير ومروان: نحن نعزم على أنفسنا لا نبرح. ففتح عثمان الباب ودخلوا عليه في أصح الأقوال".

((واستمر الأمر كذلك حتى قتل عثمان رضي الله عنه ووقعت الفتنة بين الصحابة التي ظهرت على إثرها فرقة الخوارج، الذين خرجوا على علي رضي الله عنه بعد حادثة التحكيم، وكفروا مرتكب الكبيرة، وبعض كبار الصحابة مثل علي ومعاوية رضي عنهما)).

أهم الأحداث في خلافة علي والتي انتهت بقتله[٤]:

معركة الجمل (سنة ٣٦ هـ):

لما بويع علي بن أبي طالب، استأذن طلحة والزبير عليا رضي الله عنه في الذهاب إلى مكة فأذن لهما، فالتقيا هناك بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما، وكان الخبر قد وصل إليها أن عثمان قد قتل رضي الله عنه، فاجتمعوا هناك في مكة وعزموا على الأخذ بثأر عثمان.

فجاء يعلى بن منية من البصرة، وجاء عبد الله بن عامر من الكوفة، واجتمعوا في مكة على الأخذ بثأر عثمان رضي الله عنه.

فخرجوا من مكة بمن تابعهم إلى البصرة يريدون قتلة عثمان، وذلك أنهم يرون أنهم قد قصروا في الدفاع عن عثمان رضي الله عنه.

---

٤ ( ) وقد لخصتها من كتاب "حقبة من التاريخ" للشيخ عثمان الخميس.

وكان علي رضي الله عنه في المدينة، وكان عثمان بن حنيف رضي الله عنه واليا على البصرة من قبل علي بن أبي طالب.

فلما وصلوا إلى البصرة أرسل إليهم عثمان بن حنيف: ماذا تريدون؟

قالوا: نريد قتلة عثمان.

فقال لهم: حتى يأتي علي، ومنعهم من الدخول.

ثم خرج إليهم جبلة، وهو أحد الذين شاركوا في قتل عثمان فقاتلهم في سبعمئة رجل فانتصروا عليه، وقتلوا كثيرا ممن كان معه، وانضم كثير من أهل البصرة إلى جيش طلحة والزبير وعائشة رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين.

خرج علي رضي الله عنه من المدينة إلى الكوفة وذلك لما سمع أنه وقع هناك قتال بين عثمان بن حنيف وهو والي علي على البصرة وبين طلحة والزبير وعائشة ومن معهم، فخرج علي صلى الله عليه وسلم وجهز جيشا قوامه عشرة آلاف لمقاتلة طلحة والزبير.

وأرسل علي المقداد بن الأسود والقعقاع بن عمرو ليتكلما مع طلحة والزبير، واتفق المقداد والقعقاع من جهة وطلحة والزبير من جهة أخرى على عدم القتال وبين كل فريق وجهة نظره.

فطلحة، والزبير يريان أنه لا يجوز ترك قتلة عثمان، وعلي يرى أنه ليس من المصلحة تتبع قتلة عثمان الآن، بل حتى تستتب الأمور، فقتل قتلة عثمان متفق عليه، والاختلاف إنما هو في متى يكون ذلك.

وبعد الاتفاق نام الجيشان بخير ليلة، وبات السبئية (وهم قتلة عثمان) بشر ليلة؛ لأنه تم الاتفاق عليهم عند ذلك أجمع السبئيون رأيهم على أن لا يتم هذا الاتفاق، وفي السحر والقوم نائمون، هاجم مجموعة من السبئيين جيش طلحة والزبير وقتلوا بعض أفراد الجيش وفروا، فظن جيش طلحة أن جيش علي غدر بهم، فناوشوا جيش علي في الصباح، فظن جيش علي أن جيش طلحة والزبير قد غدر، فاستمرت المناوشات بين الفريقين حتى كانت الظهيرة فاشتعلت المعركة.

محاولات وقف القتال:

وقد حاول الكبار من الجيشين وقف القتال، ولكن لم يفلحوا، فكان طلحة يقول: يا أيها الناس أتنصتون؟ فأصبحوا لا ينصتونه فقال: أف أف فراش نار، وذبان طمع. وعلي يمنعهم ولا يردون عليه، وأرسلت عائشة كعب بن سور بالمصحف لوقف المعركة، فرشقه السبئيون بالنبال حتى أردوه قتيلا.

وقعة الجمل كانت في سنة ست وثلاثين من الهجرة، أي: في بداية خلافة علي رضي الله عنه، بدأت بعد الظهر وانتهت قبيل مغيب الشمس من اليوم نفسه.

قتل في هذا اليوم كثير من المسلمين، وهي فتنة سلم الله تبارك وتعالى منها سيوفنا ونسأل الله لهم الرضوان والمغفرة.

المشهور أن الزبير لم يشارك في هذه المعركة، وقتل الزبير غدرا على يد رجل يقال له ابن جرموز.

* وقتل طلحة بسهم غرب (غير مقصود)، والمشهور أن الذي رماه مروان بن الحكم أصابه في قدمه مكان إصابة قديمة فمات منها رضي الله تبارك وتعالى عنه، وهو يحاول منع الناس من القتال ولما انتهت هذه المعركة وقتل الكثير خاصة في الدفاع عن جمل عائشة لأنها كانت تمثل رمزا لهم فكانوا يستبسلون في الدفاع عنها.

ولذلك بمجرد أن سقط الجمل هدأت المعركة وانتهت، وانتصر علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وإن كان الصحيح أنه لم ينتصر أحد، ولكن خسر الإسلام وخسر المسلمون في تلك المعركة.

بعد المعركة:

فلما انتهت المعركة صار علي رضي الله عنه يمر بين القتلى فوجد وكل الصحابة بلا استثناء الذين شاركوا في هذه المعركة ندموا على ما وقع.

ولما انتهت المعركة، أخذ علي رضي الله عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأرسلها معززة مكرمة إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم كما أمره صلى الله عليه وسلم. عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « سيكون بينك وبين عائشة أمر »، قال علي: فأنا أشقاهم يا رسول الله، قال: « لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها » ففعل رضي الله عنه ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكذلك علي رضي الله عنه رأى أن تأخير القصاص أقل مفسدة من تعجيله؛ لأن عليا رضي الله عنه لا يستطيع أن يقتل قتلة عثمان أصلا؛ لأنهم غير معروفين بأعيانهم، وإن كان هناك رؤوس للفتنة ولهم قبائل تدافع عنهم، والأمن غير مستتب ومازالت الفتنة قائمة، ومن يقول إنهم لن يقتلوا عليا رضي الله عنه؟ وقد قتلوه بعد ذلك.

* ولذلك لما وصلت الخلافة إلى معاوية لم يقتل قتلة عثمان أيضا لماذا؟ لأنه صار يرى ما كان يراه علي، كان علي يراه واقعا، ومعاوية كان يراه نظريا فلما آلت الخلافة إليه رآه واقعا، نعم معاوية أرسل من قتل بعضهم ولكن بقي آخرون إلى زمن الحجاج في خلافة عبد الملك بن مروان حتى قتل آخرهم.

المهم أن عليا رضي الله عنه ما كان يستطيع أن يقتلهم، ليس عجزا ولكن خوفا على الأمة.

معركة صفين (سنة ٣٧):

كان معاوية قد امتنع عن المبايعة لعلي حتى يتم القصاص لعثمان فلما انتهى علي صلى الله عليه وسلم من أهل الجمل قال: لابد أن يبايع معاوية الآن، وجهز الجيش لمقاتلة معاوية أو يبايع، فخرج علي بجيش قوامه مئة ألف إلى صفين في الشام.

هل نازع معاوية على الخلافة؟

عن أبي مسلم الخولاني أنه دخل على معاوية فقال له: أنت تنازع عليا، أأنت مثله؟

فقال معاوية: لا والله إني لأعلم أن عليا أفضل وأحق بالأمر، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما؟ وأنا ابن عمه، وأنا أطلب بدمه، فأتوا عليا فقولوا له فليدفع إلي قتلة عثمان وأسلم له الأمور، فأتوا عليا فكلموه فأبى عليهم ولم يدفع القتلة، وكان عدد جيش علي مئة ألف وكان عدد جيش معاوية سبعين ألفا، وقتل عمار بن ياسر وكان في جيش علي وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال لعمار: « يا عمار ستقتلك الفئة الباغية ».

قال ابن حجر رحمه الله: « ذهب جمهور أهل السنة إلى تصويب من قاتل مع علي، وقد ثبت أن من قاتل عليا كانوا بغاة، ومع هذا التصويب فهم متفقون على أنه لا يذم واحد من هؤلاء بل يقولون: اجتهدوا فأخطئوا ».

قصة التحكيم:

وانتهت معركة صفين بالتحكيم، أي: توقفوا عن القتال بأن رفعت المصاحف على الرماح، ورضي علي رضي الله عنه بالتحكيم، ورجع إلى الكوفة ورجع معاوية إلى الشام على أن يكون التحكيم في رمضان، وأرسل علي أبا موسى الأشعري، وأرسل معاوية عمرو بن العاص.

التقى عمرو بن العاص مع أبي موسى الأشعري فقال: ما ترى في هذا الأمر؟ قال أبو موسى: أرى أنه – أي علي – من النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم، فقال عمر وبن العاص: فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ قال أبو موسى: إن يستعن بكما ففيكما المعونة، وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما. ثم انتهى الأمر على هذا فرجع عمرو بن العاص إلى معاوية بهذا الخبر ورجع أبو موسى إلى علي به.

معركة النهروان (سنة ٣٨ هـ):

رجع علي رضي الله عنه إلى الكوفة، فخرج عليه الخوارج وكانوا قد رفضوا التحكيم وقالوا: لا حكم إلا لله، وبدءوا يشغبون على علي حتى في المسجد يقومون ويصيحون: لا حكم إلا لله، لا حكم إلا لله.

وكان علي رضي الله عنه يقول: « كلمة حق أريد بها باطل ».

* ثم بعد ذلك قتلوا الصحابي الجليل عبد الله بن خباب، وقتلوا زوجته وبقروا بطنها وكانت حاملا متمة في شهرها، فلما بلغ الأمر عليا أرسل إليهم: من قتله؟ فردوا عليه كلنا قتلناه، فخرج إليهم علي رضي الله عنه بجيش قوامه عشرة آلاف فقتلهم في النهروان.

وكان عدد الخوارج ألف رجل فقتلهم، ولم يقتل من جيش علي إلا أربعة أو سبعة في بعض الروايات.

وكان بينهم المخدج ذو الثدية الذي رآه علي رضي الله عنه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر أنه تخرج فرقة على حين اختلاف بين المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق، وذكر في حديث آخر أن فيهم ذا الثدية، فصار علي يبحث عنه في القتلى حتى وجده، فلما وجده سجد لله شكرا إذ علم أنه على الحق.

مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة ٤٠ هـ:

حين هدأت الأمور قليلا بعد معركة النهروان بفترة تقارب السنتين، انتدب ثلاثة من الخوارج، فاجتمعوا بمكة وتعاقدوا ليقتلن علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص.

قالوا: نتقرب إلى الله بقتل هؤلاء الثلاثة (وذلك ليريحوا العباد منهم كما يزعمون)، فقال عبد الرحمن بن ملجم المرادي: أنا لعلي بن أبي طالب، وقال البرك التميمي: أنا لمعاوية، أما عمرو بن بكر التميمي، فقال: أنا لعمرو بن العاص واتفقوا على أن يكون ذلك بعد سبع عشرة ليلة من رمضان.

وكان عمرو في مصر، ومعاوية في الشام، وعلي في الكوفة، فطعن ابن ملجم عليا، وهو خارج لصلاة الفجر بخنجر قد سمه أسبوعا، وقال علي لما طعن إن أنا شفيت فأنا حجيجه، وإن أنا مت فاقتلاه بي (يخاطب الحسن والحسين).

فقال ابن ملجم: لا والله فإني سممته جمعة (يريد سبعة أيام).

فلما مات رضي الله عنه جاءوا فقطعوا يدي ابن ملجم وسملوا عينيه وهو ثابت لم يجزع، فلما أرادوا قطع لسانه خاف قالوا: الآن؟ قال: إني أخشى أن أعيش فترة لا أذكر الله فيها!.

وخرج البرك لمعاوية في صلاة الفجر فضربه ولكن أصابه ولم يقتله، وعولج ولكن ذكر أنها كانت سببا في قطع نسله.

والذي أراد عمرو بن العاص خرج إلى الصلاة وكان عمرو قد أصيب بإسهال فلم يخرج إلى الصلاة، فقتل الإمام يظنه عمرو بن العاص، وكان الإمام خارجة بن أبي حبيب فجاء وضربه فقتله في الصلاة، فأمسكوه قالوا: ماذا فعلت؟ قال: أرحت الناس من عمرو بن العاص قالوا: ما قتلت عمرا وإنما قتلت خارجة.

قال: أردت عمرا وأراد الله خارجة، فقتل وقتل البرك وقتل عبد الرحمن بن ملجم.

((ثم ظهرت فرقة الشيعة الذين غلوا في علي رضي الله عنه وزعموا أنه صلى الله عليه وسلم نص على إمامته)).

قال د. غالب غواجي في " فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها" (١/ ٣٠٦) ما ملخصه: "الشيعة اسم لكل من فضل علياً على الخلفاء الراشدين قبله رضي الله عنهم جميعاً، ورأى أن أهل البيت أحق بالخلافة، وأن خلافة غيرهم باطلة.

ظهر التشيع يوم معركة صفين، حين انشقت الخوارج وتحزبوا في النهروان، ثم ظهر في مقابلهم أتباع وأنصار علي حيث بدأت فكرة التشيع تشتد شيئاً فشيئاً.

المراحل التي مر بها مفهوم التشيع:

كان مدلول التشيع في بدء الفتن التي وقعت في عهد علي رضي الله عنه بمعنى المناصرة والوقوف إلى جانب علي رضي الله عنه ليأخذ حقه في الخلافة بعد الخليفة عثمان، وأن من نازعه فيها فهو مخطئ يجب رده إلى الصواب ولو بالقوة.

وكان على هذا الرأي كثير من الصحابة والتابعين، حيث رأوا أن علياً هو أحق بالخلاقة من معاوية بسبب اجتماع كلمة الناس على بيعته، ولا يصح أن يفهم أن هؤلاء هم أساس الشيعة ولا أنهم أوائلهم، إذ كان هؤلاء من شيعة علي بمعنى من أنصاره وأعوانه.

ثم انتقل نقلة أخرى تميزت بتفضيل علي رضي الله عنه على سائر الصحابة، وحينما علم علي بذلك غضب وتوعد من يفضله على الشيخين بالتعزير، وإقامة حد الفرية عليه.

وقد كان المتشيعون لعلي في هذه المرحلة معتدلين، فلم يكفروا واحداً من المخالفين لعلي رضي الله عنه ولا من الصحابة، ولم يسبوا أحداً، وإنما كان ميلهم إلى علي نتيجة عاطفة وولاء.

ثم بدأ التشيع بعد ذلك يأخذ جانب التطرف والخروج عن الحق، وبدأ الرفض يظهر وبدأت أفكار ابن سبأ تؤتي ثمارها الشريرة فأخذ هؤلاء يظهرون الشر، فيسبون الصحابة ويكفرونهم ويتبرءون منهم، ولم يستثنوا منهم إلا القليل كسلمان الفارس، وأبي ذر، والمقداد، وعمار بن ياسر، وحذيفة.

وحكموا على كل من حضر ((غدير خم)) بالكفر والردة لعدم وفائهم -فيما يزعم هؤلاء- ببيعة علي وتنفيذ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بعلي في غدير خم المذكور.

وأخيراً بلغ التشيع عند الغلاة إلى الخروج عن الإسلام، حيث نادى هؤلاء بألوهية علي. وقد تزعم هذه الطبقة ابن سبأ، ووجد له آذاناً صاغية عند كثير من الجهال، ومن الحاقدين على الإسلام. وقد أحرق علي رضي الله عنه بالنار كل من ثبت أنه قال بهذا الكفر".

غدير خم:

قال الشيخ عثمان الخميس في "حقبة من التاريخ" ما ملخصه: " عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: « ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: « وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي ».

فأما زيادة « من كنت مولاه فعلي مولاه » فوردت عند الترمذي وأحمد والنسائي والحاكم وغيرهم بأسانيد صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

* وأما الزيادات الأخرى كقوله: « اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه » هذه الزيادة صححها بعض أهل العلم، والصحيح أنها لا تصح.

* وأما زيادة: « انصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار » فهذه زيادة مكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا الحديث يستدل به الشيعة على أن عليا رضي الله عنه هو الخليفة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم من باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: « من كنت مولاه فعلي مولاه »، ويقولون: إن قول النبي صلى الله عليه وسلم: « من كنت مولاه فعلي مولاه » أي: علي هو الخليفة والمولى بمعنى الوالي، أي: السيد الذي يجب أن يطاع، هذه هي جهة الدلالة.

والاختلاف بين أهل السنة والشيعة في مفهوم قول النبي صلى الله عليه وسلم لا في الثبوت، فالشيعة يقولون: « من كنت مولاه فعلي مولاه » أي: من كنت واليه فعلي واليه، وأهل السنة يقولون: إن مفهوم قول النبي صلى الله عليه وسلم «من كنت مولاه فعلي مولاه » أي: الموالاة التي هي النصرة والمحبة، وعكسها المعاداة وذلك لأمور: أولا: للزيادة التي وردت، وقلت صححها بعض أهل العلم، وهي قول النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ».

فالموالاة والمعاداة هي شرح لقوله: « فعلي مولاه » فهي في محبة الناس لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه.

ثانيا: إن وقوف النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن لأجل علي، وإن كان علي يستحق ذلك وأكثر رضي الله عنه وأرضاه، ولكن القصد أن وقوف النبي صلى الله عليه وسلم كان للراحة، والسفر من مكة إلى المدينة طويل يستغرق خمسة إلى سبعة أيام يستريح فيه النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة، والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر الناس بكتاب الله وأهل بيته وأنه يجب أن يكون لهم الاحترام والتوقير والاتباع أيضا، ثم بعد ذلك نبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما وقع بشأن علي رضي الله عنه فقال: « من كنت مولاه فعلي مولاه ».

ثالثا: دلالة كلمة مولاه.

قال ابن الأثير: المولى يقع على الرب، والمالك، والمنعم، وا لناصر، والمحب، والحليف، والعبد، والمعتق، وابن العم والصهر، كل هذه تطلق العرب عليها كلمة « مولى ».

رابعا: الحديث ليس فيه دلالة على الإمامة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لو أراد الخلافة لم يأت بكلمة تحتمل كل هذه المعاني التي ذكر ها ابن الأثير، ولكان الأولى أن يقول: « علي خليفتي من بعدي » أو « علي الإمام من بعدي»، أو « إذا أنا مت فاسمعوا وأطيعوا لعلي بن أبي طالب »، ولكن لم يأت النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة الفاصلة التي تنهي الخلاف إن وجد أبدا، وإنما قال: « من كنت مولاه فعلي مولاه ».

خامسا: الموالاة وصف ثابت لعلي في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته وبعد وفاة علي رضي الله عنه، فعلي كان مولى المؤمنين في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان مولى المؤمنين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مولى المؤمنين بعد وفاته رضي الله عنه، فهو الآن مولانا كما قال تبارك وتعالى: [إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون] {المائدة: ٥٥}. وعلي رضي الله عنه من رءوس الذين آمنوا.

سادسا: لو كان النبي صلى الله عليه وسلم يريد الوالي لما قال: « مو لى »، ولكن يقول: « والي »، فكلمة « مولى » تختلف عن كلمة « والي »، فـ« الوالي » من الولاية وهي الحكم، أما « المولى » فهي من الولاية وهي الحب، والنصرة، قال الله تبارك وتعالى: [إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير] {التحريم: ٤}. من المحبة والنصرة والتأييد. فالحديث لا يدل على أن عليا رضي الله عنه هو الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما يدل على أن عليا ولي من أولياء الله تبارك وتعالى، تجب له الموالاة وهي المحبة، والنصرة، والتأييد.

ثم قال: في تساؤلات مهمة لابد منها:

وهنا مجموعة من الأسئلة نختم بها هذا الفصل:

١ – ما الذي ألف بين بصائر الناس على كتمان حق علي في الخلافة؟ وما مصلحتهم في ذلك؟ وما الذي أعاد إليهم بصائرهم بعد ذلك وقاموا معه بعد مقتل عثمان؟

٢ – لم لم يغير علي أحكام أبي بكر وعمر بعد توليه؟

٣- نازع الأنصار أبا بكر وعمر ابتداء ثم رجعوا فلم لم يعارض علي؟.

٤- لم قبل المسلمون جميعا أبا بكر مع أنه لم يرهبهم ولم يرغبهم ولم تكن له عشيرة كبيرة تمنعه خاصة وقد جاء إلى الأنصار مع رجلين فقط هما عمر وأبو عبيدة.

ه- لم لم يقم الناس على أبي بكر ولا فعل ذلك علي مع أن أبا بكر لم يكن له حرس ولا حجبة ولا عشيرة تمنعه ولا أموال يشتري بها الذمم.

٦- الأنصار الذين نصروا الله ورسوله وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وحاربوا العرب قاطبة بل العالم، مع علمهم أن الناس قد ترميهم بقوس واحدة، وما علم أن عليا قتل من الأنصار أحدا ولا آذى أحدا. فما الذي جعلهم يبيعون آخرتهم بدنيا غيرهم؟

٧- وكذا الأمر ذاته يقال في حق المهاجرين مع علي؟

٨- إذا كان أبو بكر وعمر حريصين على إبعاد علي عن الخلافة فما الذي جعل عمر يدخله في الشورى؟ ولم لم يستمر في إبعاده؟ ولم قبل علي؟.

٩- لم لم ينقل عن علي أي معارضة لأبي بكر وعمر في وقت خلافتيهما. بل بايع راضيا وعمل معهما لنصرة دين الإسلام؟

١٠- أين بنو هاشم وما علم عنهم من الشجاعة من نصرة علي والمطالبة بحقه؟..".

((ثم ظهرت بدعة القدرية)).

نشأة القول بالقدر (القدرية الأولى):

قال الشيخ عبدالرحمن بن صالح المحمود في " القضاء والقدر " (ص/ ١٧٧ – ١٢٠): " اختلفت الآراء حول نشأة القول بالقدر في الإسلام، وعلى يد من نشأ القول به .. وأشهرها وأرجحها أن أول من قال بالقدر (معبد الجهني) وأن ذلك كان بالبصرة في أواخر عهد الصحابة رضوان الله عليهم، وكل من ترجم لمعبد الجهني هذا قال عنه: إنه أول من تكلم بالقدر، أو ابتدع القول بالقدر – ولا مانع أن تكون هناك أقوال مفردة قبل ذلك، ويكون كل قول هو الأول باعتبار البلد الذي ابتدئ القول بالقدر فيه، لكن الذي نشأ به القول الأول بالقدر وكان له رجال كانوا سببا في نشره فيما بعد، هو معبد الجهني – ومعلوم أن المقصود إنما هو نفي القدر، ودليل هذا القول: رواية مسلم في صحيحه في الحديث المشهور فقد روى عن يحيى بن يعمر قال: (كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الأمر إلي، فقلت: أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم (وذكر من شأنهم) وأنهم يزعمون ألا قدر، وأن الأمر أنف ...) الحديث، وهذا يفيد أن معبدا هو أول من قال بالقدر.

هذا هو القول الأول، وقد أخذ عن معبد الجهني قوله بنفي القدر شخص آخر اسمه غيلان الدمشقي ويعد ثاني من تكلم بالقدر.

وهؤلاء هم القدرية الأوائل الذين أنكروا القدر وأنكروا علم الله السابق بالأمور، وهذا معنى ما في حديث مسلم أنهم: يزعمون ألا قدر وأن الأمر أنف، أي: مستأنف لم يسبق لله – تعالى – فيه علم وهؤلاء هم الذين تبرأ منهم من سمع بهم من الصحابة كعبد الله بن عمر، وأبي هريرة، وابن العباس، وأنس بن مالك، وعبدالله بن أبي أوفى، وعقبة بن عامر الجهني، وواثلة بن الأسقع، وغيرهم وهؤلاء أيضا هم الذين قال فيهم الأئمة كمالك والشافعي وأحمد وغيرهم: إن المنكرين لعلم الله، القدرية يكفرون"[٥].

قال الشيخ الأشقر "القضاء والقدر" (ص: ١٧): "ثم أخذ هذا المذهب عن معبد رؤوس الاعتزال وأئمته كواصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وغيلان الدمشقي.

فأما واصل بن عطاء رأس الاعتزال، فقد زعم أن الشر لا يجوز إضافته إلى الله؛ لأن الله حكيم، ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر، ويحتم عليهم شيئاً، ثم يجازيهم عليه.

وقرر في مقالته: أن العبد هو الفاعل للخير والشر، والإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، وهو المجازى على فعله، والربُّ تعالى أقدره على ذلك كله.

وذهب النظام من المعتزلة إلى أن الله لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي، وليست هي مقدورة لله.

وهذه الفرقة هي التي أطلق عليها علماؤنا: اسم القدرية. " وسموا بذلك؛ لأنهم أثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى، ونفوا أن تكون الأشياء بقدر الله وقضائه، وهؤلاء مع ضلالتهم يضيفون هذا الاسم إلى مخالفيهم من أهل الهدى، فيقولون: أنتم القدرية حين تجعلون الأشياء جارية بقدر من الله، وإنكم أولى بهذا الاسم منا "... وقد صح أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمى القدرية مجوس هذه الأمة ... والسبب في تسمية هذه الفرقة بمجوس هذه الأمة " مضاهاة مذهبهم المجوس في قولهم بالأصلين: النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة، فصاروا ثَنَوِيَّة، وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله تعالى، والشر إلى غيره، والله – سبحانه وتعالى – خالق الخير والشر جميعاً، لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته، فهما مضافان إليه – سبحانه وتعالى – خلقاً وإيجاداً، وإلى الفاعلين لهما من عباده فعلاً واكتساباً ".

ونشأ في آخر عهد بني أمية أقوام يزعمون أن العبد مجبور على فعله، ليس له خيار فيما يأخذ أو يدع، وبعضهم يثبت للعبد قدرة غير مؤثرة، وأول من ظهر عنه هذا القول هو الجهم بن صفوان، وتفرع عن هذه البدعة أقوال شنيعة، وضلال كبير.

وقد انتشر هذا القول في الأمة الإسلامية وتقلده كثير من العباد والزهاد والمتصوفة، وإذا كان الفريق الأول أشبه المجوس فإن هذا الفريق أشبه المشركين الذين قالوا: (لو شاء الله ما أشركنا ولا ءابآؤنا ولا حرمنا من شيء) . [الأنعام: ١٤٨] .

---

٥ () نقلا عن الموسوعة العقدية.

وهذا الفريق شرٌّ من الفريق الأول؛ لأن الأولين عظموا الأمر والنهي، وأخرجوا أفعال العباد عن تكون خلقاً لله، وهذا الفريق أثبت القدر، واحتج به على إبطال الأمر والنهي".

((ثم ظهرت بدعة الإرجاء وهو تأخير العمل عن الإيمان)).

قال الشيخ ناصر العقل في " القدرية والمرجئة"(ص/ ٧٧)[٦]:" استقر المعنى الاصطلاحي للمرجئة عند السلف على أن المرجئة الذين يقولون: الإيمان قول بلا عمل "إرجاء الفقهاء"، وهو القول بأن: الإيمان هو التصديق أو التصديق والقول، أو الإيمان قول بلا عمل، "أي إخراج الأعمال من مسمى الإيمان"، وعليه فإن: من قال الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأنه لا يجوز الاستثناء في الإيمان من قال بهذه الأمور أو بعضها فهو مرجئ.

ثم أطلق الإرجاء على أصناف أخرى كالجهمية القائلين بأن الإيمان هو المعرفة فقط، والكرامية القائلين بأن الإيمان هو قول اللسان فقط".

((ثم ظهر القول بنفي الصفات)).

قال ابن تيمية: "مجموع الفتاوى" (٨/ ٤٥٨): "البدع إنما يظهر منها أولا فأولا الأخف فالأخف كما حدث في آخر عصر الخلفاء الراشدين بدعة الخوارج والشيعة ثم في آخر عصر الصحابة بدعة المرجئة والقدرية ثم في آخر عصر التابعين بدعة الجهمية معطلة الصفات".

جاء في "موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام" : "القول بنفي الصفات قد بدأ قبل ظهور المعتزلة على يد الجعد بن درهم، ثم الجهم بن صفوان الذي اشتهر بنشره لهذا المذهب، وإليه نسبت فرقة الجهمية، ثم أنه لما ظهرت المعتزلة أخذت في جملة ما أخذته من الجهمية القول بنفي الصفات ودليل ذلك: أن مؤسس مذهب الاعتزال واصل بن عطاء كان ينفي الصفات معتقدا أن إثباتها يؤدي إلى تعدد القدماء؛ وذلك شرك، ولذا كان يقول: "إن من أثبت لله معنى وصفة قديمة فقد أثبت إلهين". ويرى الشهرستاني: أن القول بنفي الصفات كما بدأه واصل كان غير ناضج؛ لأنه شرع فيه على قول ظاهر، وهو الاتفاق على استحالة وجود إلهين قديمين أزليين. أما المعتزلة الذين خلفوه؛ فإنهم عاصروا حركة ترجمة الكتب اليونانية والكتب الفارسية إلى العربية التي تشتمل على الفلسفة وبعض الأمور الدينية؛ وخصوصا كتب الفلاسفة. وكان الفلاسفة يرون أن الله تعالى واجب الوجود بذاته، وأنه واحد من كل وجه؛ فنفوا صفات الباري تعالى زائدة على الذات، وقالوا: أنه تعالى عالم بالذات لا يعلم زائد على ذاته[٧] .. وقد تأثر المعتزلة بهؤلاء الفلاسفة، فاقتبسوا منهم قولهم في الصفات...".

فمبنى الشبهة وجود ذات مجردة من الصفات ووجود صفات مجردة عن الذات وهذا وهم وذلك بما يتصور في اذهانهم. مما أدى إلى ان إثبات الصفات يؤدي إلى تعدد القدماء ومن ثم تعدد الآلهة، وهذا ضلال ليس هناك ذات

---

٦ () نقلا عن موسوعة الفرق.

٧ () وهذا كنحو قول الأشعري أن الوجود لا يقتضي عنده معنى لا في القديم [يعني الله] ولا في المحدث، يعني أن وجود الشيء عند الأشعري هو عين ماهيته وعين ذاته، فذاته هو نفس وجوده ووجوده نفس ذاته، لا معنى زائد كالعلم والحياة ونحو هذا.

قائمة بنفسها مجردة عن الصفات ولا صفات متعددة قائمة بنفسها قديمة مجردة عن بعضها وعن الذات حتى يتصور تعدد القدماء.

وقد تمسكوا في قولهم هذا بشبهات كلامية ليس هذا محل عرضها وبيان فسادها.

((ثم توالت الفتن وافترقت الأمة شيعاً وأحزاباً)).

جاء في "موسوعة الفرق": " الخروج عن أهل السنة والجماعة ولو في أصل واحد من أصول الدين الاعتقادية أو العملية المتعلقة بالقطعيات، أو بمصالح الأمة العظمى أو بهما معاً فإنه يعتبر تفرقاً؛ فالضابط في الافتراق أنه يؤدي إلى الفتن، والتفرق، والقتال، والبغي، والبدع، وبذلك يتضح أن أهل الافتراق هم أهل الأهواء والبدع. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة كما يقال: أهل البدعة والفرقة. ثم قال: وإنما المقصود هنا التنبيه على وجه تلازمهما: موالاة المفترقين، وإن كان كلاهما فيه بدعة وفرقة".

الإخبار أن الفرقة واقعة لا محالة ليعلم هذا ويحذر:

جاء في "موسوعة الفرق": " يقول الله عز وجل: وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ [هود: ١١٨ـ ١١٩].

يقول الإمام إسماعيل بن كثير رحمه الله في تفسيرها: " وقوله: وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ أي: لا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم. ويقول سبحانه: وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ [يونس: ٩٩] أي: لو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم بحيث لا يخرج عنهم أحد مجتمعين على الإيمان لا يتفرقون فيه ويختلفون ولكنه لم يشأ ذلك لكونه مخالفا للمصلحة التي أرادها الله سبحانه ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على إيمان جميع الناس أخبره الله بأن ذلك لا يكون لأن مشيئته الجارية على الحكمة البالغة والمصالح الراجحة لا تقتضي ذلك ومثله قول تعالى: وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل للهِّ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاء اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ [الرعد: ٣١]. فإيمان الناس جميعا وهدايتهم غير مرادة لله عز وجل كونا والفرقة واقعة بينهم لا محالة فمن شاء الله عز وجل له الهداية هداه ومن شاء له الضلال أضله سبحانه، فهو الملك الحكيم العليم الله عز وجل شأنه ولقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوقوع الفرقة في هذه الأمة فقال: ((والذي نفسي بيده لتفترقن على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة واثنتان وسبعين في النار" قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: هم الجماعة))".

روى البخاري في "صحيحه" عن جابر رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: {قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم} [الأنعام: ٦٥]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعوذ بوجهك»، قال: {أو من تحت أرجلكم} [الأنعام: ٦٥]، قال: «أعوذ بوجهك» {أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض} [الأنعام:

٦٥] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا أهون – أو هذا أيسر –».

((أهم أسباب الافتراق في الدين.

هناك عدة أسباب أدت إلى الافتراق في الدين ومنها[٨]:

١ . الجهل بالدين، فأصل حدوث الاختلاف والتفرق في الأمة الإسلامية إنما هو بسبب الجهل بحقيقة الدين، ومن الأمثلة التي توضح ذلك فرقة الخوارج، حيث لم يفهموا كلام الله فهما صحيحاً، وجهلوا بحقائق الشريعة، وأتوا إلى أحكام تخص الكفار فجعلوها على المؤمنين)).

وقصة الخوارج أخرجها عبد الرزاق، والطبراني، والحاكم من حديث ابن عباس أنه قال: "لما اعتَزَلَت الخوارجُ دخلوا داراً وهم ستة آلافٍ، وأجمعوا أن يخرجوا على علي بن أبي طالب وأصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معه. قال: وكان لا يزال يجيء إنسان فيقول: يا أمير المؤمنين، إن القوم خارجون عليك– يعني علياً– فيقول: دَعُوهُم، فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلونى، وسوف يفعلون. فلما كان ذات يوم، أتيته قبل صلاة الظهر فقلت له: يا أمير المؤمنين، أبرِدْنا بصلاة، لَعَلي أدخلُ على هؤلاء القوم فأكلمَهم. فقال: إني أخافهم عليك. فقلت: كلا، وكنت رجلاً حَسَنَ الخُلُق لا أوذي أحداً، فَأذِن لي، فلبست حُلة من أحسن ما يكون من اليمن، وتَرَجلتُ، ودخلتُ عليهم نصفَ النهار، فدخلتُ على قوم لم أر قوماً قط أشَد منهم اجتهاداً، جباههم قَرِحَت من السجود، وأيديهم كأنها ثَفِنُ الأبل (أي: ركبها الغليظة) ، وعليهم قُمُصٌ مُرَحضَة (أي: مغسولة) ، مشمرين مُسَهَّمَة وجوههم (أي: متغيرة ألوانها) من السهر، فسلمتُ عليهم، فقالوا: مرحباً يا ابن عباس، ما جاءَ بك؟ قال: قلت: أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار ومن عند صِهْر رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله. فقالت طائفة منهم: لا تُخاصموا قريشا فإن الله قال: (بل هم قوم خَصِمُون)] الزخرف: ٥٨ [. فقال اثنان أو ثلاثة: لنُكَلِّمنه. فقلت لهم: تُرى ما نَقَمتُم على صهر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمهاجرين والأنصار، وعليهم نزل القرآنُ، وليس فيكم منهم أحد، وهم أعلم بتأويله منكم؟ قالوا: ثلاثاً. قلت: ماذا؟ قالوا: أما إحداهن: فإنه حَكم الرجال في أمر الله عز وجل، وقد قال الله عز وجل: (إنِ الحُكْمُ إلا لله)] الأنعام: ٥٧، ويوسف: ٤٠ و٦٧ [، فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل؟ فقلت: هذه واحدة، وماذا؟ قالوا: وأما الثانية: فإنه قاتل ولم يَسْب ولم يَغْنَم، فلئن كانوا مؤمنين ما حَل لنا قتالهم وسِباهم. قلت: وماذا الثالثة؟ قالوا: إنهَ محَا نفسه من أمير المؤمنين، إن لم يكن أميرَ المؤمنين، فإنه لأمير الكافرين. قلت: هل عندكم غير هذا؟ قالوا: كفانا هذا. قلت لهم: أما قولكم: حَكم الرجال في أمر الله عز وجل، أنا أقرأ عليكم في كتاب الله عز وجل ما ينقض قولكم، أفترجعون؟ قالوا: نعم. قلت: فإن الله عز وجل قد صَيَّر من حكمه إلي الرجال في ربع درهم ثمن أرنب، وتلا هذه الآية: (لا تَقْتُلوا الصيد وأنتم حُرُمٌ) إلي آخر الآية] المائدة: ٩٥ [، وفي المرأة وزوجها: (وإن خفتم شقاقَ بينِهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها) إلي آخر الآية] النساء:٣٤ [، فنشدتكم بالله، هل تعلمون حكمَ الرجال في إصلاح ذاتِ بينهم، وحقن دمائهم، أفضلَ، أم حكمَهم في أرنب وبُضْعِ امرأة؟ فأيهما ترون

---

٨ () وغالب النقل في شرح هذه الأسباب من موسوعة الفرق وما كان خارجا عنها أبينه بإذن الله.

أفضل؟ قالوا: بل هذه. قال: خرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم. قلت: وأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم، فتَسْبُونَ أمكم عائشة؟ فوالله لئن قلتم: ليست بأمنا، لقد خرجتم من الإسلام، ووالله لئن قلتم: نَسبيها نستحل منها ما نستحل من غيرها، لقد خرجتم من الإسلام، فأنتم بين الضلالتين، إن الله عز وجل قال: (النبي أَوْلى بالمؤمنين من أنفُسِهِم وأزواجُهُ أمهاتُهم)] الأحزاب: ٦ [، فإن قلتم: ليست بأمنا، لقد خرجتم من الإسلام، أخرَجتُ من هذه؟ قالوا: نعم. وأما قولكم: محا نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون: يوم الحديبية، كاتب المشركين أبا سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو، فقال: "يا علي، اكتب: هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله"، فقال المشركون: والله لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللهمَ إنك تعلمُ أني رسولُك، امْحُ يا علي، اكتب: هذا ما كاتب عليه محمد بن عبد الله"، فوالله لرسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير من علي، فقد محا نفسه. قال: فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم فقتلوا. انتهى. وقع عند عبد الرزاق والطبراني أن عدد الحرورية حين خرجوا كان أربعة وعشرين ألفاً، رجع منهم بعد مناظرة ابن عباس عشرون ألفاً، وبقي أربعة آلاف، فقتلوا".

ذكر سبحانه أن الجهل هو الذي دفع قوم لوط لعمل جريمتهم البشعة من اللواط يقول تعالى: {أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} [النمل: ٥٥].

والجهل أيضا يدفع الناس للشرك بالله قال تعال عن موسى عليه السلام وقومه: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} [الأعراف: ١٣٨]... والناظر لأحوال أهل البدع ورؤسائهم المفرقين للأمة شيعا، يجدهم بعيدين عن استيعاب علوم الشريعة جاهلين بفهم معانيها ومعرفة قواعدها ومقاصدها معرضين عن تتبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة الصحابة رضي الله عنهم وهذا ما أوقعهم في الاختلاف والفرقة.

تنبيهات:

– إن من الجهل: عدم فهم الدليل ووضعه في غير موضعه وهذا نتيجة قصور العلم لذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الخوارج بأنهم ((يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم)).

– من الجهل: المنازعة في المسألة قبل استكمال العلم وإحكامه وجمع حواشيه وأطرافه.

– إن من الجهل: الانشغال والاهتمام بالعلوم الدنيوية التي يتحصل المسلم بها على وظيفة ودخل ويكون انشغاله على حساب تعلمه أمور دينه الأساسية.

– إن من الجهل: تجزئة الشريعة والأخذ ببعض النصوص بدون بعض أو الزعم بالاستغناء بالقرآن الكريم عن السنة النبوية".

((٢. اتباع الهوى، فهو سبيل المشركين وطريقهم قال تعالى {إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس} [النجم ٢٣] وكان السلف يسمون المبتدعة أهل الأهواء؛ لأنهم أهل أهواء وشبهات، يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدي)).

قال الله تعالى: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} [ص: ٢٦]، فحصر الحكم في أمرين لا ثالث لهما عنده، وهو الحق والهوى.

قال الشاطبي: "اتباع الهوى من أسباب الاختلاف ووقوع الفرقة في الأمة فقال: " من أسباب الخلاف: اتباع الهوى، ولذلك سمي أهل البدع " أهل الأهواء " لأنهم اتبعوا أهواءهم، فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورا فيها من وراء ذلك".

والدليل على ذلك أنك لا تجد مبتدعا ممن ينسب إلى الملة إلا وهو يستشهد على بدعته بدليل شرعي فينزله على ما وافق عقله وشهوته، وهو أمر ثابت في الحكمة الأزلية التي لا مرد لها.

وإذا دخل الهوى أدى إلى اتباع المتشابه حرصا على الغلبة والظهور بإقامته العذر في الخلاف، وإنما أدى إلى الفرقة والتقاطع والعداوة والبغضاء، لاختلاف الأهواء وعدم اتفاقها، وإنما جاء الشرع بحسم مادة الهوى بإطلاق، لذلك لم يأت في القرآن ذكر الهوى إلا في معرض الذم.

ولقد جاء الأمر صريحا لمحمد صلى الله عليه وسلم باتباع الشرع الحنيف، والنهي عن اتباع الهوى فقال سبحانه: ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ [الجاثية: ١٨].

والشريعة التي جعله عليها تتضمن ما أمر به، وكل حب وذوق ووجد لا تشهد له هذه الشريعة، فهو من أهواء الذين لا يعلمون، فإن العلم بما يحبه الله إنما هو ما أنزله الله على عباده من هداه.

قال أبو العالية: تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تحرفوا الإسلام يمينا وشمالا، وعليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء ".

ولقد أنكر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على الرجل الذي قال له: الحمد لله الذي جعل هوانا على هواكم، فقال له ابن عباس: " الهوى كله ضلالة ". وها هو ذا عبد الله بن عمر يقول: " ما فرحت بشيء من الإسلام أشد فرحا بأن قلبي لم يدخله شيء من هذه الأهواء."

وليعلم أن النهي عن اتباع الهوى نهي يشمل: هوى الشهوات وهو داء العصاة، الذي يقع في العمل بخلاف الاعتقاد الحق كفسق الأعمال ونحوها وهو الاستمتاع بالخلاق.

وهوى الشبهات، وهو داء المبتدعة وأهل الأهواء والخصومات، وهو يقع بالاعتقاد الباطل كالبدع ونحوها، وهو الخوض في الباطل.

ولقد كان السلف يقولون: احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه.

والدواء لهذين الدائين يكون بالصبر واليقين كما قال تعالى: وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ [السجدة: ٢٤]. فبالصبر تترك الشهوات، وباليقين تدفع الشبهات ".

إن النهي في اتباع الأهواء ليس نهيا عن اتباع أهواء الأمم السابقة، بل يلحق به متابعة أهل الأهواء والبدع في بدعهم، أو مداهنتهم عليها والسكوت عن الإنكار عليهم تحت أي دعوى من الدعاوى الحديثة التي تزعم التقريب أو التأليف بين الفرق، وهي في حقيقتها تطالب بتنازل أهل السنة عن السنة وعن الاتباع.

((٣. ظهور الجدل في الدين. وهذا الأمر نهى عنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وحذر منه، فقد تلا المصطفى قوله تعالى {ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون} [الزخرف ٥٨]. وقال صلى الله عليه و سلم: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»)).

الجدل المنهي عنه هو الكلام فيما لم يؤذن في الكلام فيه كالكلام في المتشابهات من الصفات والأفعال وغيرهما وكمتشابهات القرآن فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ [آل عمران:٧] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم ...)).

ولقد جاء القرآن ذاماً أهل البدع أصحاب الفرقة المتبعين للمتشابه الذين يجادلون فيه بغير علم ولا هدى بل يدفعون الحق بالباطل ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله.

يقول الله سبحانه وتعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [غافر:٥٦]

وفي آية أخرى يذم الله سبحانه وتعالى حال أهل البدع والضلال المعرضين عن الحق المتبعين للباطل الذين يتركون ما أنزل الله على رسوله ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة الدعاة إلى البدع والأهواء والآراء يقول الله سبحانه وتعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ [الحج:٣] وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ما ضل قوم بعد هدى كانوا إلا أوتوا الجدل، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ [الزخرف:٥٨])).

((٤. الأثر السياسي. والمقصود هنا الخلافات السياسية والفتن والحروب التي ظهر على إثرها بعض الفرق، فبعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقعت الفتنة، وعلى إثرها حصلت حادثة التحكيم وبعدها خرج الخوارج ثم الشيعة – كما تقدم)).

أخبر صلى الله عليه وسلم أن هلاكا سيقع في الأمة عند تنازع ولاتها على الملك، ففي الحديث أنه قال: ((هلكة أمتي على يدي غلمة من قريش)).والمراد بالغلمة هنا جمع غليم بالتصغير وهو الضعيف العقل والتدبير والدين، ولو كان محتلما .فأخبر صلى الله عليه وسلم أن ولايتهم هلاك للأمة، وذلك أنهم يهلكون الناس بسبب طلبهم الملك والقتال لأجله، فتفسد أحوال الناس، ويكثر الخبط بتوالي الفتن. ولقد جاء في وصف الخوارج أنهم " حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام " ومن كان هذا وصفه حري به أن يسارع في الفتنة جهلا منه، مع ما قد يجتمع معه

من حب الرئاسة والظهور، وهذا كان حال الخارجين على عثمان رضي الله عنه، المثيرين النزاع حول السلطة، المفرقين للأمة، إذ المتتبع لتراجم هؤلاء الخارجين على عثمان رضي الله عنه يجدهم ممن يوصف بالشجاعة والجرأة والإقدام، ومع حب الرئاسة والظهور، وليس بينهم من يوصف بالعلم والفقه .

ومما يدل على أن الخارجين على عثمان رضي الله عنه كان سبب خروجهم طلب الرئاسة والملك، أنه لما بويع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واستقر له الأمر بعد وقعة الجمل، استعمل رضي الله عنه عبد الله بن عباس على البصرة وبلغ ذلك مالكا الأشتر – وهو من الخارجين على عثمان – فغضب وقال: " علام قتلنا الشيخ ؟ إذ اليمن لعبيد الله، والحجاز لقثم (أي: قثم بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وله صحبة)، والبصرة لعبد الله، والكوفة لعلي "؟! بل إنهم صرحوا بأن خروجهم وشغبهم على عثمان كان طلبا للرئاسة، فقد كان هؤلاء النفر أثاروا الشغب والفتنة في الكوفة، فسيرهم عثمان رضي الله عنه إلى معاوية في الشام، فذكرهم معاوية بالله وبالتقوى لفساد الحال وهتك حرمة الأمة، وبين لهم معاوية كيف أن ولاة الأمر للمسلمين جنة فقال: " أن أئمتكم لكم إلى اليوم جنة، فلا تسدوا عن جنتكم ... ". فقال صعصعة بن صوحان: أما ما ذكرت من الجنة، فإن الجنة إذا اخترقت خلص إلينا . أي إذا قتلنا ولاتنا صارت الولاية إلينا.

إن إثارة الشغب والفتنة في الأمة، وظهور الخلافات السياسية بين ولاة أمر المسلمين من شأنه أن يضعف الدولة الإسلامية، ويشجع على ظهور الفرق المبتدعة، فسرعان ما تطل الفتنة برأسها، وترفع البدعة لوائها لتفرق الجماعة المسلمة، ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في وصف الخوارج: ((يخرجون على حين فرقة من الناس)).

((٥. المؤثرات الخارجية، فينبغي أن لا نغفل دور اليهود والنصارى والفرس في ظهور بعض الفرق، فمثلا كان للنصارى تأثير قوي في بعض البدع كالقول بنفي القدر. وكان لليهود تأثير قوي خاصة في فرقة الرافضة، حيث إن كثيرا من عقائد الرافضة فيها شبه لعقائد اليهود، مثل عقيدة التشبيه في الصفات)).

لقد حذرنا الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم من اتباع سنن الكافرين خاصة أهل الكتابين، وأخبرنا أن أمته ستتبع السنن الماضية الضالة، وأنها ستفترق كما افترقوا.

وفي هذا بيان أن تقليد الكفرة واتباع طريقتهم وسيرتهم من أسباب الفرقة التي دبت في الأمة، ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة "، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي)).

والناظر لأحوال الأمة الآن يجد أن الفرقة قد دبت بين المسلمين، وأن البدعة قد فشت فيهم، وأن في كثير منها مشابهة ومضاهاة للكافرين، مثل الغلو في الصالحين، وكتم العلم أو تحريفه كما فعلت اليهود، أو جحد الحق الذي مع المخالف كما فعلت اليهود والنصارى، والغلو في الدين والابتداع فيه من البناء على القبور، واتخاذ العبادات

والأعياد التي لم يشرعها الله ولا رسوله، والذي من شأنه أن يحرف الناس عن الصراط المستقيم، ويلجئهم للسبل المفرقة للأمة.

وحاضر المسلمين اليوم شاهد على ذلك من ترك أكثرهم نصوص الوحيين وجريهم خلف الكافرين ومتابعة عوائدهم وسننهم سواء كان على مستوى الدولة في السياسة والحكم أو على مستوى الفرد في الأخلاق والسلوك مما يوهن جسد الأمة، ويبث الفرقة والاختلاف فيها كما هو واقع الآن.

علاقة النصارى بنفي القدر[٩]:

لَمَّا امتد الإسلام إلى خارج الجزيرة العربية اختلط المسلمون الفاتحون بالنصارى، واطّلعُوا على معتقداتهم، ونتج عن هذا الاختلاط تأثر كثير من النصارى بدين الإسلام، ودخولهم فيه عن رضى وقناعة تامّين، وبالمقابل فإن بعض النصارى واجهوا هذا الدين بالتشكيك في معتقداته ومناقشة الفاتحين ببعض أصول العقيدة الإسلامية، ومحاولة إدخال بعض الأفكار النصرانية في العقيدة الإسلامية، ويبرز ذلك واضحاً في نفي القدر الذي قال به بعض المسلمين، فقد انتقل إليهم من النصرانية، فنفي القدر قال به معبد الجهني واعتقده وسنَّ بذلك سنّة سيئة فضلَّ وأضلَّ، وهو أول من تكلم بالقدر .

ويصرح اللالكائي بسنده عن الأوزاعي: "أول من نطق بالقدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد".

وليست النصرانية ذات أثر في ظهور فرقة القدرية فقط، بل حتى في فرقة الرافضة، لذا كان بين المعتقدات والتصورات النصرانية وبين بعض العقائد الشيعية شبه كبير "منها أن النصارى عبدوا عيسى، وكذلك غلاة الشيعة عبدوا علياً وأهل بيته، ومنها أن النصارى أطرت عيسى، وكذلك غلاة الرافضة أطروا أهل البيت حتى ساووهم بالأنبياء أو أفضل، بل اعتقدوا أنهم يعلمون الغيب وأن طاعتهم واجبة كطاعة الله ورسوله... إلخ

ومن مظاهر تأثر الشيعة بالعقيدة النصرانية اعتقاد اتحاد اللاهوت بالناسوت الذي اعتقده بعض الرافضة في علي، كما اعتقد النصارى ذلك في المسيح، وهذا المعتقد واضح في عقيدة البيانية من الشيعة أتباع بيان بن سمعان، فقد ذكر الشهرستاني أن بيان بن سمعان قال: حل في علي جزء إلهي واتحد بجسده، فبه كان يعلم الغيب.

ويرى (فون كريمر) إلى الشبه بين قول آباء الكنيسة في إنكار عذاب النار وبين قول جهم بن صفوان في فناء الجنة و النار، وفناء حركات أهلها، وهو ما أخذه المعتزلة فيما بعد عن الجهمية وحوروه فقالوا: إن الجنة والنار لا يفنيان، ولكن تفنى حركات أهلها فقط".

ومن خلال العرض المتقدم عن النصرانية يتبين أنها لعبت دوراً كبيراً في ظهور بعض الفرق وخصوصاً فرقة القدرية.

قوله: ((وكان لليهود تأثير قوي خاصة في فرقة الرافضة، حيث إن كثيرا من عقائد الرافضة فيها شبه لعقائد اليهود، مثل عقيدة التشبيه في الصفات))[١٠].

---

٩ () موسوعة البحوث والمقالات العلمية.

١٠) انظر المرجع السابق.

لقد كان لليهود الذين يعيشون في الجزيرة العربية قبل الإسلام وقامت بينهم وبين المسلمين في حياة النبي صلى الله عليه وسلم منازعات دور في كثير من الفتن والمؤامرات، ودخول بعضهم في الإسلام كان ليكيد له؛ فحاولوا نشر بعض الآراء والأفكار التي تشوِّه العقيدة الإسلامية، ولقد كانوا وراء الفرق المغالية من الشيعة والمجسمة والمشبهة التي تتعارض مع عقيدة الإسلام.

لقد وجدوا في حروب علي رضي الله عنه ومخالفيه مرتعاً كبيراً للفتن، ورأوا في تلك الأحداث فرصة لذيوع أفكارهم، فظهر في الشيعة الذي كانوا يزعمون أنهم يناصرون علياً فريقاً من المغالين، وهم السبئية الذين قالوا بإضفاء صفة القداسة على علي رضي الله عنه، وقالوا بفكرة الإمام المعصوم[1] وأفكار الرجعة[2]، وغير ذلك من الأفكار التي ذاعت بين فرق الغلاة من الشيعة.

---

[1] جاء في موسوعة الفرق: مبدأ (الإمام المعصوم) وعلاقته بتعطيل الدين وتبديله: فالتوحيد الذي يقوم على قاعدة التفريق بين الخالق والمخلوق في الحقائق والحقوق، أثبتوه لفظاً ورسماً، وعطلوه - عن طريق الإتيان بفكرة (الإمام المعصوم) - حقيقة ومعنىً. ذلك أن العصمة اللاهوتية التي تجعل من الإنسان مخلوقاً منزهاً عن الخطأ والنسيان، وممتنعاً عن الذنب والعصيان، يعلم الغيب، ويتصرف بالكون: فهو الذي خلص نوحاً من الغرق وإبراهيم من الحرق ... إلخ. هذه العصمة أزالت الفرق المذكور فانهدمت قاعدة التوحيد، ولم يعد هنالك من فارق ذي معنى بين الخالق والمخلوق. وهذا هو الذي جعل المخلوق عندهم يدعى كما يدعى الخالق: تنزل ببابه الحوائج، ويتقرب عنده بالذبائح. يضاهئون بقبره الكعبة: يتوجهون نحوه في صلاتهم، ويحجون إليه يطوفون به ويعرِّفون عنده ويلبّون هناك ويسعون كما يسعى بين الصفا والمروة! ويفتخرون بأن زوار الحسين أكثر عدداً من زوار بيت الله الحرام!! حتى الشكل المكعب للقبر مأخوذ من شكل الكعبة المشرفة!!

فماذا بقي من التوحيد؟!

وأما النبوة القائمة على أساس التفريق بين النبي والولي فقد بدّلوها ثم عطّلوها بأن خلطوا بين المقامين بالفكرة نفسها (الإمام المعصوم)، ذلك أن طاعة الإمام المعصوم تغني عن طاعة النبي وتُذهِب أي أثر للحاجة إليه، لقد أزاحت هذه الفكرة شخصية النبي وأحلت محلها شخصية الإمام أو الولي؛ لأن الإمام يؤدي وظائف النبي جميعاً، بل إن الإمام يتميز عن النبي بكونه حياً حاضراً، بينما النبي ميت غائب. حتى المهدي المزعوم يقولون عنه: هو حي موجود، وأنه فاعل مؤثر ولولاه لما بقي الدين، ولا قامت حجة الله على العالمين، ويضربون له مثلاً بالشمس إذا حجبتها الغيوم فإن أثرها باقٍ متصل ولو من وراء ستار.

والواقع شاهد حي يثبت ما نقول: فإن مصادرهم الروائية ليس فيها ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا النزر القليل. وقد حل محله ما يروونه عن (الإمام)، كل ذلك بسبب فكرة (الإمامة) و (العصمة) التي أزالت الفرق بين النبي والولي .. بل يقولون: إن الولي فوق النبي، و (الأئمة) أفضل من الأنبياء عليهم السلام، لكنهم يستثنون -لشناعة القول- واحداً منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم من أجل تخفيف وقعه على النفوس.

وأما ختم النبوة فلا معنى له بعد استمرار حقيقتها ومعناها وهو (الإمامة المعصومة)، التي يقولون عنها: إنها امتداد للنبوة وتكميل لها، فلم يختم سوى الاسم، وكأن دين الله مجرد أسماء ومصطلحات لا حقيقة لها!

فماذا بقي من النبوة؟!

حتى المعاد لم يبق له معنى ولا أثر على الواقع بعد أن سُلِّم أمره إلى (الإمام) يقسم الناس: هؤلاء إلى الجنة وهؤلاء إلى النار: فمن كان شيعياً اثني عشرياً فهو إلى الجنة مهما حوى من ذنوب وارتكب من آثام! ومن كان غير ذلك فإلى النار، مهما جاء به من حسنات! ناهيك عن أثر عقيدة (الرجعة) في هذا المقام!

وأما الصلاة فقد عطلت باسم (الإمام المعصوم) كذلك! عطلت الجمعة حتى مجيء (الإمام)، وحل محلها الخميس الحقير الذي هو في حقيقته زيارة (الإمام). وعطلت الجماعة -إلا ما ندر- لعدم وجود (الإمام). وحلت الحسينيات (والحسينية نسبة إلى الإمام الحسين) ومراقد (الأئمة) محل الجوامع والمساجد.

والباحث عندما يقرأ عن الشيعة وعن اليهود والعكس يجد بينهم من التشابه الكثير إلى يومنا هذا! وكيف لا يكون ذلك؟ وأصل الرفض وأول من ابتدعه يهودي كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فإن الذي ابتدع الرفض كان يهودياً أظهر الإسلام نفاقاً، ودس إلى الجهال دسائس يقدح بها في أصل الإيمان، ولهذا كان الرفض أعظم أبواب النفاق والزندقة؛ فإنه يكون الرجل واقفاً، ثم يصير مفضلاً، ثم يصير سبّاباً، ثم يصير غالياً، ثم يصير جاحداً معطلاً، ولهذا انضمت إلى الرافضة أئمة الزنادقة من الإسماعيلية والنصيرية، وأنواعهم من القرامطة والدرزية، وأمثالهم من طوائف الزندقة والنفاق"، وقال أيضاً: "وأصل الرفض من المنافقين الزنادقة؛ فإنه ابتدعه ابن سبأ الزنديق، وأظهر الغلو في علي بدعوى الإمامة والنص عليه، وادعى العصمة له، ولهذا كان مبدأه من النفاق. قال بعض السلف: حب أبي بكر وعمر إيمان، وبغضهما نفاق، وحب بني هاشم إيمان، وبغضهم نفاق".

وقال في موضع آخر: "ومن أوجه الشبه بينهم وعلامته أن محنة الرافضة محنة اليهود، قالت: اليهود لا يصلح الملك إلا في آل داود، وقالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي، وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل حتى يخرج المسيح الدجال وينزل سيف من السماء، وقالت الرافضة: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي وينادي مناد من السماء، واليهود يؤخرون الصلاة إلى اشتباك النجوم وكذلك الرافضة يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجوم.... إلخ".

هذه بعض أوجه الشبه كما أن هناك عقائد رافضية هي في أصلها يهودية فأفكار الرجعة والبداء[٢][٣] وغيرها من عقائد شيعية غالية يهودية الأصل، وهناك بعض الفرق من الشيعة تأثرت تأثراً كبيراً بالعقائد اليهودية مثل الكيسانية والباطنية والإسماعيلية، ويرى البعض أن القدّاح منشئ الإسماعيلية وأولاده كانوا يهوداً.

واختصرت أوقات الصلاة إلى ثلاثة، وغُيِّر الأذان واختصر كذلك، ورفع غسل الرجلين من الوضوء تماماً ... إلخ.
فماذا بقي من الصلاة؟!...

[٢] جاء في المصدر السابق: "تعني الرجعة في المذهب الشيعي: أن أئمة الشيعة مبتدئاً بالإمام علي ومنتهياً بالحسن العسكري الذي هو الإمام الحادي عشر عند الشيعة الإمامية سيرجعون إلى هذه الدنيا ليحكموا المجتمع الذي أرسى قواعده بالعدل والقسط الإمام المهدي الذي يظهر قبل رجعة الأئمة ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويمهد الطريق لرجعة أجداده وتسلمهم الحكم وإن كل واحد من الأئمة حسب التسلسل الموجود في إمامتهم سيحكم الأرض ردحاً من الزمن ثم يتوفى مرةً أخرى ليخلفه ابنه في الحكم حتى ينتهي إلى الحسن العسكري وسيكون بعد ذلك يوم القيامة، كل هذا تعويضاً لهم عن حقهم الشرعي في الخلافة والحكومة التي لم يستطيعوا ممارستها في حياتهم قبل الرجعة، والذين كتبوا في الرجعة من أعلام الشيعة فسروا الآية الكريمة: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ [الأنبياء:١٠٥]".

[٣] وفيه أيضا: البداء: معناه الظهور بعد الخفاء، كما في قوله تعالى: وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ [الزمر:٤٧] أي ظهر.
ومعناه أيضاً: حدوث رأي جديد لم يكن من قبل، كما في قوله تعالى: ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ [يوسف:٣٥].
وله معان أخرى كلها لا تخرج عن مفهوم تجدد العلم بتجدد الأحداث.
وهذه المعاني تستلزم سبق الجهل وحدوث العلم تبعاً لحدوث المستجدات لقصور العقول عن إدراك المغيبات.
أما معنى البداء والفكرة التي بين ثناياه وما تعنيه في زيارة الإمامين العسكريين هو: أن الإمامة حسب التسلسل الموجود في عقيدة الشيعة الإمامية تنتقل من الأب إلى الابن الأكبر مستثنىً من هذه القاعدة " الحسن " و " الحسين " فالإمامة بعد الإمام " الحسن " انتقلت إلى الإمام " الحسين " ولم تنتقل إلى الابن

وليست اليهودية ذات أثر في ظهور فرقة الشيعة فقط، بل حتى في غيرها من الفرق التي تنتسب إلى الإسلام مثل الجهمية وغيرها.

فقد ذهب ابن الأثير وابن كثير وغيرهما إلى أن الجعد بن درهم تأثر بالثقافة اليهودية في قوله بخلق القرآن ونفي الصفات، فقد أخذ الجعد بن درهم بدعته عن بيان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم وزوج ابنته، وأخذها لبيد بن أعصم الساحر الذي سحر الرسول صلى الله عليه وسلم عن يهودي باليمن، وأخذها الجهم بن صفوان عن الجعد بن درهم.

<u>((ولا ننسى أن أول من أحدث الطعن في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الرافضة هو عبد الله بن سبأ وكان يهودياً حاقداً على الإسلام والمسلمين))</u>[٤٢].

عبد الله بن سبأ اليهودي. قيل: إنه من الحيرة بالعراق، وقيل: -وهو الراجح- إنه من أهل اليمن من صنعاء (٢)، وقيل أصله رومي. أظهر الإسلام في زمن عثمان خديعة ومكراً، وكان من أشد المحرضين على الخليفة عثمان رضي الله عنه حتى وقعت الفتنة.

وهو أول من أسس التشيع على الغلو في أهل البيت، ونشط في التنقل من بلد إلى بلد؛ الحجاز والبصرة والكوفة، ثم إلى الشام، ثم إلى مصر وبها استقر، ووجد آذاناً صاغية لبثّ سمومه ضد الخليفة عثمان والغلو في علي ... وقد بدأ ينشر آراءه متظاهراً بالغيرة على الإسلام، ومطالباً بإسقاط الخليفة إثر إسلامه المزعوم. ثم دعا إلى التشيع لأهل البيت وإلى إثبات الوصاية لعلي إذ إنه -كما زعم- ما من نبي إلا وله وصي، ثم زعم بعد ذلك أن علياً هو خير الأوصياء بحكم أنه وصي خير الأنبياء. ثم دعا إلى القول بالرجعة ثم إلى القول بألوهية علي، وأنه لم يقتل بل صعد إلى السماء، وأن المقتول إنما هو شيطان تصور في صورة علي، وأن الرعد صوت عليّ، والبرق سوطه أو تبسمه، إلى غير ذلك من أباطيله الكثيرة. وفيما أرى أنه قد بيّت النية لمثل هذه الدعاوى، ولهذا لم يفاجئه موت علي بل قال

الأكبر " للحسن " وذلك لنص ورد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حيث قال: ((الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)). فقد حدث أن " إسماعيل " وهو الابن الأكبر للإمام " جعفر الصادق " الإمام السادس عند الشيعة قد توفي في عهد أبيه فانتقلت الإمامة إلى أخيه " موسى بن جعفر " الابن الأصغر للصادق وهذا التغيير في مسار الإمامة التي هي منصب إلهي يسمى " بداءً " حصل لله تعالى فانتقلت الإمامة الإلهية بموجبه من " إسماعيل " إلى موسى بن جعفر " ومن ثم إلى أولاده ولم تأخذ الطريق الطبيعي لها، الذي هو انتقال الإمامة من الأب إلى الابن الأكبر، ولكن السؤال المحيّر هنا لماذا تغير مسار الإمامة بداءً ونسبوا شيئاً كهذا إلى الله تعالى لإثبات أمر لم يكن إثباته بحاجة إلى انتقاص من سلطان الله؟

الجواب: أن المذهب الإسماعيلي يرى أن الإمامة الإلهية مستمرة بالصورة التي أرادها الله منذ الأزل وهي في نسل " علي " وأولاده حسب التسلسل السني وهذا يعني أن الإمام الأب لا سلطة له في تعيين الإمام الذي سيخلفه لأنه معين بإرادة الله فإذا مات الوريث الشرعي الذي هو "إسماعيل" فلا يحق لأبيه " الصادق " أن يعين " موسى " ابنه الأصغر بل تنتقل الإمامة إلى الابن الأكبر من ظهر " إسماعيل " وبما أن الشيعة تبنت فكرة الإمامة الإلهية بالصورة نفسها فلكي تخرج من هذا المأزق قالت بفكرة البداء لكي تلقي مسؤولية انتقال الإمامة من "إسماعيل بن جعفر" إلى موسى بن جعفر على الله وليس على الإمام " الصادق ".

[٤٢] المصدر السابق.

وبكل اطمئنان وثبات لمن نعاه إليه: (والله لو جئتمونا بدماغه في صرة لم نصدق بموته، ولا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها).

وهذه الرجعة التي زعمها لعلي كان قد زعمها لمحمد صلى الله عليه وسلم، وكان يقول: (إنه ليعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع). واستدل بقوله تعالى: إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ [القصص:٨٥].

وقد كذب عدو الله وأخطأ فهم الآية أو تعمد ذلك في أن المعاد هنا هو رجوع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الدنيا قبل يوم القيامة، فلم يقل بهذا أحد من المفسرين، وإنما فسروا المعاد بأنه: الموت. أو الجنة.

أو أنه رجوع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه يوم القيامة. أو رجوعه إلى مكة .

وهي أقوال لكل واحد منها حظ من النظر بخلاف قول ابن سبأ، فإنه قول يهودي حاقد كاذب على الله دون مبالاة. وقد تبرأ جميع أهل البيت من هذا اليهودي، ويذكر أن بعض الشيعة قد تبرأ منه أيضاً .

((وكذلك كان الفرس من أكثر الأمم حقداً على الإسلام، حيث كانوا يرون أنفسهم أقوى الأمم، وجاء الإسلام وأزال دولتهم، فعظم ذلك عليهم، وأضمروا الحقد على الإسلام وأهله، وكانوا ينتظرون الفرص لينالوا من الإسلام وأهله))

كان المجوس يقطنون بلاد فارس التي فتحت في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولذا قيل لهم الفرس.

ولقد كانوا أصحاب حضارة شامخة وتقاليد عريقة، وكانوا يرون أنهم سادة أقوياء وما سواهم ضعفاء، لذا كانوا ينظرون نظرة القوي إلى الضعيف التي تتصف دائماً بالازدراء والاحتقار.

وما كان يخطر ببال أحدكم، بل ببال الأمم المعاصرة لهم آنذاك أن هذا الملك سينهار في يوم من الأيام ــ لأنه مشيد على الجبروت والقوة، أو أن يهتز عرش كسرى ويسقط على أيدي قوم مستضعفين هم رعاة الإبل والشاء وهم العرب.

ولما فتحت بلاد فارس في عهد عمر تحت القيادات العسكرية المختلفة انتصر الإسلام على المجوسية، وهزم المسلمون الفرس بإذن الله.

أيقن الفرس أنه لا قتال ولا حرب مع قوم يؤثرون الحياة الآخرة على الدنيا، ويقبلون على الموت بكل شجاعة وكل عزيمة، فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستشناع ظلم علي رضي الله عنه، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام، وقد سلك هذا المسلك عبد الله بن سبأ الحميري اليهودي؛ فإنه لعنه الله أظهر الإسلام ليكيد أهله، فهو كان أصل إثارة الناس على عثمان رضي الله عنه.

وبنظرة سريعة على معتقدات الفرق الغالية من الشيعة أو القدرية أو الخوارج، والفرق المجوسية؛ يدرك أن معتقدات الفرق الغالية هي مجوسية أصلاً كالاعتقاد بالتناسخ عند الشيعة ..

((ولنا في قصة مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه خير دليل، حيث إن من قتله كان مجوسياً فارسياً حاقداً على الإسلام وهو أبو لؤلؤه المجوسي)).

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد حرم على المشركين أن يدخلوا المدينة المنورة ، لما انطوت عليه أنفسهم وقلوبهم من الحقد والغل على الإسلام والمسلمين، إلا أن عامله على الكوفة المغيرة بن شعبه كتب إليه: طالبا الإذن بدخول غلام اسمه فيروز "أبو لؤلؤه" مجوسي يتقن صناعات الحدادة والنجارة؛ لينتفع به المسلمون، فأذن له عمر بدخول المدينة ، وكان فيروز يضمر الحقد، وينوي الشر، وقد ترجم هذا الحقد والشر في طعنه للخليفة عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – وهو يصلي الفجر بالمسلمين في المسجد النبوي في الثالث والعشرين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة.

فطعنه بخنجر ذى حدين ثلاث طعنات ، أو ست طعنات ، وكان الخنجر مسموماً ، وهرب العلج من بين الصفوف ، وبيده الخنجر لا يمر على أحد يمينا وشمالاً إلا طعنه ، حتى أصاب ثلاثة عشر رجلاً مات ما يزيد عن نصفهم ، فلما رأى عبد الرحمن بن عوف ذلك ألقى عليه برداً له ، وأيقن أنه لا يستطيع الفرار ، فقام بقتل نفسه منتحراً بالخنجر ذاته.

إن مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يكن حادثاً فرديا، وإنما في الحقيقة هو نتيجة لمؤامرة إرهابية سياسية واسعة ، اشتركت فيها كل القوى المعادية للإسلام ممثله في تلك الشخصيات التى ظهرت على مسرح الأحداث، فتقدم عبد الرحمن بن أبى بكر عقب الحادث، فشهد أنه رأى الهرمزان وفيروز وجفينة النصرانى ليله الحادث يتشاورون، ولما فوجئوا به اضطربوا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه ، وهو الذي استعمل في مقتل عمر .

وكان كعب الأحبار اليهودى تظاهر بالإسلام، يذهب إلى عمر قبل مقتله بثلاث أيام إلى أن قتل، وفي كل مرة يقول له: اعهد يا عمر، فأنت ميت ، فقال عمر : وما يدريك ؟ قال : أجده في التوراة إلى أن قتل عمر في اليوم الثالث.

فالمشتركون في الجريمة الإرهابية هم الهرمزان كان ملك الأهواز من بلاد فارس، أسره المسلمون ، وعفا عنه عمر، وكان الحقد يملأ قلبه؛ لأنه فقد ملكه. وفيروز فارسي أيضا، كان دمه يغلى من شدة حقده على المسلمين وكان يقول عندما يرى السبايا : " إن العرب أكلت كبدي" . وجفينه النصراني من نصارى الحيرة ، أرسله سعد بن أبى وقاص إلى المدينة ؛ ليعلم أبناءها القراءة والكتابة .

وكعب الأحبار كان من يهود اليمن، ثم تظاهر بالإسلام وأوهم المسلمين أن التوراة فيها علم كل شيء ، وأفاض في نشر الأخبار الإسرائيلية ، وإذاعة الكثير من الأساطير التي نسبها إلى التوراة، وكانت هذه الشخصيات رموز للمؤامرة الإرهابية التي اشترك فيها الفرس، والنصارى ، واليهود .

((٨. الولاء والبراء (حقيقة كل منهما ولوازمها)[٥])):

الولاء لغة: المحبة، ووالى فلان فلاناً إذا أحبه.

والمولى: اسم يطلق على معان كثيرة، منها الرب والمالك، والسيد، والمنعم، والمعتِق، والناصر، والمحب، والتابع، والجار، وابن العم، والحليف، والنزيل، والصهر، والعبد، والمعتَق، والمنعم عليه.

ويلاحظ في كل هذه المعاني أنها تقوم على النصرة والمحبة والولاية في النسب والنصرة والعتق.

الولاء اصطلاحا:

الولاية هي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً. قال تعالى: {اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ { [سورة البقرة: ٢٥٧] .

فموالاة الكفار تعني التقرب إليهم وإظهار الود لهم، بالأقوال والأفعال والنوايا.

البراء لغة:

أما البراء: فيقال: برئ إذا تخلص، وبرئ إذا تنزه وتباعد، وبرئ إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [التوبة:١] أي: إعذار وإنذار، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما دعاه عمر إلى العمل إلى أن يواليه فأبى أبو هريرة، فقال عمر: إن يوسف قد سأل العمل -أي: لما قال: {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يوسف:٥٥] فقال أبو هريرة: إن يوسف مني بريء، وأنا منه براء، يعني: أنا بريء عن أن أكون مساوياً له في الحكم، وأن أقاس به، يعني: أنا أقل من أن أقاس بيوسف عليه السلام، فمعنى البراءة هنا: أنا بريء عن مساواته في الحكم وأن أقاس به، ولم يرد براءة الولاية والمحبة؛ لأنه مأمور بالإيمان به.

البراءة اصطلاحا:

هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار.

يقول شيخ الإسلام: الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد، والولي: القريب، يقال: هذا يلي هذا، أي: يقرب منه، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فهو لأولى رجل ذكر)، يعني: لأقرب رجل إلى الميت.

فإذا كان ولي الله هو الموافق والمتابع له حين يحبه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه، ويأمر به وينهى عنه؛ كان المعادي لوليه معادياً له، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ} [الممتحنة:١]، فمن عادى أولياء الله فقد عادى الله، ومن عادى الله فقد حاربه الله، كما جاء في الحديث القدسي: (من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة).

((يجب على كل مسلم أن يوالي كل مسلم يدين بعقيدة أهل السنة والتوحيد ويحبهم))

المؤمن يوالي أخاه المؤمن والمسلم حتى ولو ظلمه أخوه؛ لأن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية، ولا يقضي على

---

٥) انظر: الولاء والبراء للشيخ الفوزان وللشيخ المقدم، وللشيخ محمد بن سعيد القحطاني، والموسوعة العقدية.

الأخوة الإسلامية، يقول الله عز وجل: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} [الحجرات:٩]، ويقول الله عز وجل بعد ذلك: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} [الحجرات:١٠]، فمع وقوع الاقتتال أثبت الأخوة الإيمانية، فالقتال قد يكون فيه ظالماً ومظلوماً، ومع ذلك لا تنقطع الأخوة الإيمانية؛ لأنه ما زال في دائرة الإسلام والإيمان، فالمسلم الذي ظلمك لا تساوه بالكافر، حتى وإن أحسن إليك الكافر وعدل معك، فهذا الكافر ليس معه أعظم شعب الإيمان، وهو لا إله إلا الله، فهو منجس ومقذر بأقذر شيء في الوجود وهو الشرك، فهذا الكافر لا يستوي بالمسلم أبداً، حتى ولو تلبس المسلم ببعض المعاصي.

ولكننا نجد بعض الناس المخذولين، الذين خذلهم الله ولم يوفقهم إلى هذا الفهم، يفضلون الكافر على المسلم لمجرد أن يصدر من المسلم معصية أو تقصير في جانب معين، وقد يخادعه الكافر في نوع من الإحسان بصورة أو بأخرى فيقول: انظر الكافر نفعني أفضل من المسلم، النصارى أحسن من المسلمين وهكذا!! فيخذل وينطق الشيطان على لسانه بهذه الكلمات العظيمة، فالمشرك ولو عدل معك وأحسن إليك فهو أعدى عدو للناس، يقول الله عز وجل: {وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} [فصلت:٦ – ٧]، يعني: زكاة قلوبهم من هذا الشرك ، لا يطهرون قلوبهم من الشرك، فالمشرك أقذر مخلوق في الوجود، حتى لو بدا جسده في أنظف صورة؛ لأنه نجس بأعظم شيء في الوجود: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ} [التوبة:٢٨]، فينبغي الالتفات إلى هذا المعنى".

((ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم)).

المؤمن يتبرأ ممن حاد الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب إليه؛ لقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: ٢٣ – ٢٤].

وقال عز وجل: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} [المائدة:٥٥ – ٥٦]، وقال عز وجل: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [التوبة:٧١].

فهذا هو التنبيه الأول: أ ن المؤمن يتبرأ ممن حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب إليه، وجاء في تفسير قوله تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المائدة:٧٨ – ٧٩]، يخبر النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأحاديث أن أول ما دخل الشر والنقص على بني إسرائيل: (أن الرجل منهم كان يلقى أخاه على ما يكره على معصية الله، فيقول: يا أخي! اتق الله ودع هذا؛ فإن هذا لا يحل لك، ثم يأتيه من الغد فيجده على نفس الحالة التي

كان عليها بالأمس، فلا يمنعه ذلك من أن يكون أكيله وشريبه وقعيده)، ولا يغضب لله، ولا يتمعر وجهه في سبيل الله.

((وذلك)) أي موالاة كل مسلم يدين بعقيدة أهل السنة والتوحيد ومحبتهم وبغض أهل الإشراك ومعاداتهم ((من ملة إبراهيم الذين أمرنا بالاقتداء بهم، قال تعالى: {قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده} [الممتحنة ٤].

وهو من دين محمد صلى الله عليه وسلم: قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإن منهم} [المائدة ٥١].

وحرم الله على المؤمن موالاة الكفار، ولو كانوا من أقرب الناس إليه نسبا، قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون} [التوبة ٢٣].

وكما حرم الله موالاة الكفار فقد أوجب موالاة المؤمنين ومحبتهم، قال تعالى {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون} [المائدة ٥٥ - ٥٦])).

وقد دل الكتاب والسنة على أن الولاء والبراء من صميم عقيدة التوحيد، ومن أعظم لوازم ومقتضيات كلمة لا إله إلا الله، قال الله عز وجل: {لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} [آل عمران:٢٨]، ويقول عز وجل: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} [آل عمران:٣١ - ٣٢].

ويقول عز وجل مبيناً حقيقة أعداء الله من اليهود والنصارى ومن عداهم من المشركين: {وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [النساء:٨٩]، وقال تعالى:((وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)).

ويقول عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ} [المائدة:٥٤].

أما الأحاديث فمنها: ما رواه الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعه وقال له: أن تنصح لكل مسلم، وتبرأ من كل كافر)، كان جرير ممن بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم بيعة خاصة على النصح لكل مسلم، وعلى أن يبرأ من كل كافر، حتى كان الرجل إذا أراد جرير أن يشتري منه شيئاً، أو باع له سلعة بسعر، وهو يرى أن السعر يستحق أكثر من ذلك، فيراجعه ويعطيه السعر الأعلى عملاً بهذا الحديث، حتى لو كان هو المشتري، فيزيد البائع لو علم أن السلعة تستحق أكثر من الثمن الذي طلبه البائع.

وروى الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك)، قول ابن عباس رضي الله عنهما: (ووالى في الله) هذا بيان للازم المحبة في الله؛ لأنه بدأ بقوله: من أحب في الله وأبغض في الله، والتطبيق العملي للحب القلبي أن يوالي في الله وأن يعادي في الله سبحانه وتعالى، فهذا فيه إشارة إلى أن مجرد الحب لا يكفي؛ بل لا بد مع ذلك الحب القلبي من الموالاة باطناً وظاهراً؛ لأن هذه هي لوازم المحبة، وهي النصرة والإكرام والاحترام وأن يكون مع المحبوبين باطناً وظاهراً.

وقوله: (وعادى في الله) هذا أيضاً لازم البغض في الله، وهو المعاداة فيه، أي: إظهار العداوة بالفعل والجهاد لأعداء الله، والبراءة منهم، والبعد عنهم باطناً وظاهراً، وهذا إشارة من ابن عباس رضي الله عنهما إلى أنه لا يكفي مجرد البغض؛ بل لا بد مع ذلك من الإتيان بلازمه، كما قال الله عز وجل: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ} [الممتحنة:٤].

فالولاء في الله: هو محبة الله، ونصرة دينه، ومحبة أوليائه ونصرتهم، والبراء هو بغض أعداء الله ومجاهدتهم، وعلى ذلك جاءت تسمية الشارع الحكيم للفريق الأول: بأولياء الله، وسمى الفريق الثاني: أولياء الشيطان، فقال عز وجل: {اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة:٢٥٧]، وقال عز وجل: {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ} [النساء:٧٦].

إن أعداء الله تعالى يريدون بكل ما أوتوا من قوة أن يقضوا على هذا الأصل العظيم من أصول الإسلام، فنجد الملحدين واليهود والنصارى والشيوعيين وغيرهم من أعداء الله يريدون تغيير عقيدة المسلمين وتجريد شخصيتهم؛ حتى ينفذ مخططهم في جعلهم حميراً للشعب المختار؛ لأن اليهود يعتقدون أن كل الأمم عندهم عبارة عن حمير خلقوا ليستخدمهم اليهود كالحمير؛ لأنهم شعب الله المختار -زعموا- كما نصت على ذلك بروتوكولات حكماء صهيون.

لقد طارت الدعوات الملحدة والمشبوهة لتقضي على هذا الأصل الأصيل، فنادى قوم بالأخوة وبالإنسانية والمساواة، وأن الدين لله، والوطن ليس لله، ويعبرون عنه بقولهم: الدين لله والوطن للجميع، والله يقول: {وَللهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ} [آل عمران:١٨٩]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي: ألا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يوالي إلا لله، ولا يعادي إلا لله، وأن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله، ويوالي المؤمنين بأي مكان حلوا، ويعادي الكافرين ولو كانوا أقرب قريب".

((وللولاء والبراء مظاهر تدل عليها)):

أهمية الولاء والبراء:

إن الولاء والبراء شرط في الإيمان، كما قال سبحانه: {ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون} [المائدة:٨٣ – ٨٤].

يقول ابن تيمية عن هذه الآية: فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط، وجد المشروط بحرف (لو) التي تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط، فقال: ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء، ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه ...

والولاء والبراء أوثق عرى الإيمان، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله)) .

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب: فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد، أو علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في دين الله والبغض في الله، والمعاداة في الله والموالاة في الله، ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء، لم يكن فرقانا بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

ويقول الشيخ حمد بن عتيق: فأما معاداة الكفار والمشركين فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك، وأكد إيجابه وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتى إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد، وتحريم ضده.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع أصحابه على تحقيق هذا الأصل العظيم، فعن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبايع، فقلت: يا رسول الله أبسط يدك حتى أبايعك واشترط علي فأنت أعلم قال: ((أبايعك على أن تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشركين)).

يقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ: وأصل الموالاة الحب، وأصل المعادة البغض، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة كالنصرة والأنس والمعاونة، وكالجهاد والهجرة، ونحو ذلك من الأعمال.

والولاء لا يكون إلا لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وللمؤمنين قال سبحانه: {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون} [المائدة:٥٥].

فالولاء للمؤمنين يكون بمحبتهم لإيمانهم، ونصرتهم، والنصح لهم، والدعاء لهم، والسلام عليهم، وزيارة مريضهم، وتشييع ميتهم، وإعانتهم، والرحمة بهم، وغير ذلك.

والبراءة من الكفار تكون ببغضهم – دينا – ومفارقتهم، وعدم الركون إليهم، أو الإعجاب بهم، والحذر من التشبه بهم، وتحقيق مخالفتهم شرعا، وجهادهم بالمال واللسان والسنان، ونحو ذلك من مقتضيات العداوة في الله.

ولما كانت موالاة الكفار تقع على شعب متفاوتة، وصور مختلفة، لذا فإن الحكم فيها ليس حكما واحدا، فإن من هذه الشعب والصور ما يوجب الردة، ونقض الإيمان بالكلية، ومنها ما هو دون ذلك من المعاصي.

وهذه الموالاة التي تناقض الإيمان، قد تكون اعتقادا فحسب، وقد تظهر في أقوال وأعمال منها ما يلي:

((أولاً: مظاهر موالاة الكفار، منها:

١ – التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرها، قال صلى الله عليه وسلم: «من تشبه بقوم فهو منهم»))؛ لأنَّ التشبُّهَ بهم في الملبسِ والكلامِ وغيرِهما يدلُّ على محبةِ المتشبَّهِ به. فيَحْرُمُ التشبهُ بالكفارِ فيما هو من خصائِصِهم مِنْ عاداتِهم، وعباداتِهم ، سِمَتِهِمْ وأخلاقِهم كحلقِ اللحى وإطالةِ الشواربِ، والرطانةِ بلغتِهم إلا عندَ الحاجةِ، وفي هيئةِ اللباسِ، والأكلِ والشربِ وغيرِ ذلك.

ما بين التشبه والولاء من علاقة:

حين أمر الشارع الحكيم بمخالفة الكفار – في الهدي الظاهر – فإن ذلك لحكم جليلة منها:

إن المشاركة في الهدي الظاهر: تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال.

وهذا أمر محسوس، فإن اللابس لثياب الجند المقاتلة – مثلاً – في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه مقتضياً لذلك، إلا أن يمنعه من ذلك مانع.

إن مشاركتهم في الهدي الظاهر: توجب الاختلاط الظاهر، حتى يرتفع التمييز ظاهراً بين المهديين المرضيين، وبين المغضوب عليهم والضالين هذا إذا لم يكن ذلك الهدي الظاهر إلا مباحاً محضاً لو تجرد عن مشابهتهم.

فأما إن كان من موجبات كفرهم فإنه يكون شعبة من شعب الكفر، فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع ضلالتهم ومعاصيهم. وهذا أصل ينبغي أن يتفطن إليه)).

قال الشيخ خالد السبت: " معنى محاكاة الكفار والتشبه بهم؟

هو محاكاتهم في شيء من عقائدهم أو عباداتهم أو عاداتهم المختصة، أو غير ذلك من أنماط سلوكهم التي تكون من خصائصهم، والتي يتفردون بها دون غيرهم، والتي عرفوا بها وصارت شعاراً عليهم.

فالقضايا الدينية لا يجوز أن نشابههم بها بحال من الأحوال –على تفصيل سيأتي– وأما القضايا العادية فإنها على قسمين:

القسم الأول :لا يجوز أن نتشبه بهم فيه، وهي الأمور التي هي بمثابة الشعار لهم، أو التي يفعلونها دون غيرهم، وهي من خصائصهم في العادات والأزياء، وما إلى ذلك، فهذا أمر يحرم محاكاتهم فيه.

القسم الثاني :أمور العادات الأخرى فالأصل فيها الإباحة، ويجوز للناس أن يفعلوها، لكن بشرط أن لا يكون ذلك بقصد محاكاة الكافر، وعلى أن يكون ذلك فيما ليست من خصائصهم."

((٢ – الإقامة في بلادهم، وعدم الانتقال منها إلى بلد المسلمين لأجل الفرار بالدين والإقامة ببلاد الكفر تدل على موالاة الكافرين)).

دار الكفر: هي التي يحكمها الكفار، وتجري فيها أحكام الكفر، ويكون النفوذ فيها للكفار وهي على نوعين:

١) بلاد كفار حربيين.

٢) بلاد كفار مهادنين بينهم وبين المسلمين صلح وهدنة. فتصير إذا كانت الأحكام للكفار: دار كفر، ولو كان بها كثير من المسلمين.

ودار الإسلام: هي التي يحكمها المسلمون، وتجري فيها الأحكام الإسلامية ويكون النفوذ فيها للمسلمين ولو كان جمهور أهلها كفاراً.

ولما كان الإسلام هو دين العزة ودين القوة: فإنه قد أبى على معتنقه أن يستذلوا للكفار، وبذلك جاء المنع من الإقامة بين ظهراني غير المسلمين؛ لأن إقامته بينهم تشعره بالوحدة والضعف وتربي فيه روح الاستخذاء والاستكانة، وقد تدعوه إلى المحاسنة ثم المتابعة. والإسلام يريد للمسلم أن يمتلئ قوة وعزة وأن يكون متبوعاً لا تابعاً، وأن يكون ذا سلطان ليس فوقه إلا سلطان الله لذلك حرم الإسلام على المسلم أن يقيم في بلد لا سلطان للإسلام فيه إلا إذا استطاع أن يظهر إسلامه ويعمل طبقاً لعقيدته دون أن يخشى الفتنة على نفسه، وإلا فعليه أن يهجر هذا البلد إلى بلد يعلو فيه سلطان الإسلام فإن لم يفعل فالإسلام بريء منه ما دام قادراً على الهجرة. وفي ذلك كله يقول المولى سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا {٩٧} إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً {٩٨} فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا} [سورة النساء: ٩٧ – ٩٩] .

وقال صلى الله عليه وسلم (أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين) قيل: يا رسول الله ولم؟ قال: (لا تراءى ناراهما)[٦] وقال (من جامع المشرك وسكن[٢] معه فإنه مثله) ويقول (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) .

وللشيخ حمد بن عتيق رحمه الله رسالة قيمة حول هذا الموضوع فقد قسم المقيمين في بلاد الحرب إلى ثلاثة أقسام.

أحدهما: أن يقيم عندهم رغبة واختياراً لصحبتهم، فيرضى ما هم عليه من الدين أو يمدحه، أو يرضيهم بعيب المسلمين، أو يعاونهم على المسلمين بنفسه أو ماله أو لسانه: فهذا كافر عدو لله ولرسوله لقوله تعالى: {لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ} [سورة آل عمران: ٢٨]

قال ابن جرير: قد برئ من الله وبرئ الله منه لارتداده عن دينه ودخوله في الكفر. وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [سورة المائدة: ٥١] .

وقال صلى الله عليه وسلم (من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله) .

وصح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: من بنى بأرض المشركين فصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وظاهر هذا أنه جعله كافراً بمشاركتهم في مجموع هذه الأمور.

---

٢٦) أي رأى كل جمع الجمع المقابل له، والمعنى: يجب على كل مسلم أن يتباعد عن منزل مشرك ولا ينزل بموضع يظهر فيه نار كل منهما لنار صاحبه.

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: لما ذكر الأنواع التي يكفر بها الرجل: قال النوع الرابع: من سلم من هذا كله ولكن أهل بلده يصرون على عداوة التوحيد واتباع أهل الشرك وهو يعتذر أن ترك وطنه يشق عليه، فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده ويجاهد بماله ونفسه فهذا أيضاً كافر، فإنه لو يأمرونه بتزوج امرأة أبيه ولا يمكنه ترك ذلك إلا بمخالفتهم فعل. وموافقته لهم مع الجهاد معهم بنفسه وماله مع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله أكبر من ذلك بكثير فهذا أيضاً كافر وهو ممن قال الله فيهم: {سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنِةِ أُرْكِسُواْ فِيِهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوَاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا} [سورة النساء:٩١] .

القسم الثاني: أن يقيم عندهم لأجل مال أو ولد أو بلاد وهو لا يظهر دينه مع قدرته على الهجرة، ولا يعينهم على المسلمين بنفس ولا مال ولا لسان، ولا يواليهم بقلبه ولا لسانه، فهذا لا يكفرونه لأجل مجرد الجلوس، ولكن يقولون أنه قد عصى الله ورسوله بترك الهجرة، وإن كان مع ذلك يبغضهم في الباطن لقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا} [سورة النساء: ٩٧] .

قال ابن كثير: (ظالمي أنفسهم) أي بترك الهجرة، ثم قال: فهذه الآية عامة لكل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر، وليس متمكناً من إقامة الدين فهو مرتكب حراماً بالإجماع وبنص هذه الآية .

قلت: وقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما. أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي السهم فيرمى به فيصيب فيقتله أو يضرب فيقتل فأنزل الله هذه الآية (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) .

وقد سد الله باب الأعذار الواهية في قوله تعالى: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ الله وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [سورة التوبة: ٢٤] .

وما من أحد يترك الهجرة إلا وهو يعتذر بشيء من هذه الثمانية وقد سد الله على الناس باب الاعتذار بها وجعل من ترك الهجرة لأجلها أو لأجل واحد منها فاسقاً وإذا كانت مكة هي أشرف بقاع الأرض وقد أوجب الله الهجرة منها ولم يجعل محبتها عذراً فكيف بغيرها من البلدان؟ .

القسم الثالث: من لا حرج عليه في الإقامة بين أظهرهم وهو نوعان:

(ا) أن يكون مظهراً دينة فيتبرأ منهم وما هم عليه، ويصرح لهم ببراءته منهم وأنهم ليسوا على حق، بل إنهم على باطل وهذا هو إظهار الدين الذي لا تجب معه الهجرة كما قال تعالى {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ {١} لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ {٢} وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {إلى آخر السورة.

فأمره أن يخاطبهم بأنهم كافرون، وأنه لا يعبد معبوداتهم، وأنهم بريئون من عبادة الله أي أنهم على الشرك وليسوا على التوحيد، وأنه قد رضي بدينه الذي هو عليه وبرئ من دينهم الذي هم عليه كما قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ

إن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {١٠٤} وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ { [سورة يونس: ١٠٤ – ١٠٥] فمن قال مثل ذلك للمشركين لم تجب عليه الهجرة.

وليس المراد بإظهار الدين: أن يترك الإنسان يصلي ولا يقال له اعبد الأوثان! فإن اليهود والنصارى لا ينهون من صلى في بلدانهم ولا يكرهون الناس على أن يعبدون الأوثان؟! بل المقصود: أن إظهار الدين هو: التصريح للكفار بالعداوة ، فما لم يحصل التصريح للمشركين بالبراءة منهم ومن دينهم لم يكن إظهار الدين حاصلاً .

(٢) أن يقيم عندهم مستضعفاً وقد بين الله الاستضعاف في كتابه فقال: {إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً { [سورة النساء: ٩٨] .وهذا الاستثناء بعد ما توعد المقيمين بين أظهر المشركين بأن{مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا { [سورة النساء: ٩٧] .فاستثنى من لا يستطيع حيلة ولا يهتدون سبيلاً. قال ابن كثير: لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق .

وقال تعالى: {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً { [سورة النساء: ٧٥] فذكر في الآية الأولى: حالهم وهو العجز عن الخروج وعدم دلالة الطريق.

وذكر في الآية الثانية: مقالهم وهو أنهم يسألون الله أن يخرجهم من بلاد الشرك الظالم أهلها وأن يجعل لهم ولياً يتولاهم وناصراً ينصرهم، فمن كانت تلك حاله وهذا مقاله{فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا } [سورة النساء: ٩٩] .

وبعد هذه النصوص الكثيرة الصريحة علينا أن ندرك مدى الهوة التي وصل إليها (المسلمون) اليوم، ومدى موالاتهم لأعداء الله والإقامة بأرضهم وابتعاث أبنائهم إلى ديارهم لتحضير الشهادات العليا في الشريعة واللغة العربية!

((٣ – السفر إلى بلاد الكفار للنزهة والمتعة، والسفر إلى بلادهم محرم إلا عند الضرورة كالعلاج والتجارة وتعلم التخصصات العلمية النافعة للمسلمين)).

قال الشيخ الفوزان: " والسفرُ إلى بلادِ الكفارِ محرَّمٌ إلا عندَ الضرورةِ كالعلاجِ والتجارةِ والتعليمِ للتخصصاتِ النافعةِ التي لا يمكنُ الحصولُ عليها إلا بالسفرِ إليهم فيجوزُ بقَدْرِ الحاجةِ، وإذا انتهتْ الحاجةُ وجبَ الرجوعُ إلى بلادِ المسلمينَ.

ويُشتَرَطُ كذلك لجوازِ هذا السفرِ أنْ يكونَ مُظهِرَاً لدينِهِ معتزاً بإسلامِهِ مبتعداً عن مواطنِ الشرِ،حَذِراً منْ دسائسِ الأعداءِ ومكائِدِهم، وكذلك يجوزُ السفرُ أو يجبُ إلى بلادِهم إذ كان لأجلِ الدعوةِ إلى اللهِ ونشرِ الإسلامِ".

((٤ –إعانة الكفار ومناصرتهم على المسلمين ومدحهم والذب عنهم، وهذا من نواقض الإسلام وأسباب الردة)).

قال الشيخ سليمان العلوان: "وقد حكى غير واحد من العلماء الإجماع على أن مظاهرة الكفار على المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال والذب عنهم بالسنان والبيان كفر وردة عن الإسلام قال تعالى: {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ

فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّـهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} . وأي تولٍ أعظم من مناصرة أعداء الله ومعاونتهم وتهيئة الوسائل والإمكانيات لضرب الديار الإسلامية وقتل القادة المخلصين".

وقال: "والحذر الحذر من مناصرة الكفار على المسلمين بأي نوع أو وسيلة من وسائل النصرة فهذا من التولي وهو كفر ونفاق ومرض في القلوب وفسق. وليس من شروط الكفر أن تكون مظاهرته للكفار محبة لدينهم ورضى به، فهذا مذهب ضعيف؛ لأن محبة دين الكفار والرضى به كفر أكبر دون مظاهرتهم على المسلمين. فهذا مناط آخر في الكفر ولو ادعى المظاهر محبة الدين وبغض الكافرين فإن كثيراً من الكفار لم يتركوا الحق بغضاً له ولا كراهية للدين إنما لهم طمع دنيوي ورغبة في الرياسات فآثروا ذلك على الدين قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللهَّ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} . وقال أيضًا: "قال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} ، وذلك لأنهم دخلوا في طاعتهم ونصروهم وأعانوهم بالمال والرأي".

<u>((٥ – الاستعانة بالكفار والثقة بهم وتوليتهم المناصب الهامة، واتخاذهم بطانة ومستشارين)).</u>

قال الشيخ الفوزان: "قال تعالى:(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ(١١٨)هَاأَنْتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنْ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَّ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(١١٩) إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا).(آل عمران : ١١٨ –١٢٠) فهذه الآياتُ الكريمةُ تَشرحُ دخائلَ الكفارِ وما يَكُنُّونَهُ نحوَ المسلمينَ منْ بُغضٍ ما يُدبِّرونَه ضِدهمْ منْ مكرٍ وخيانةٍ وما يُحِبونَه من مَضَرةِ المسلمينَ وإيصالِ الأذى إليهم بكلِ وسيلةٍ، وأنَّهم يستغلونَ ثقةَ المسلمينَ بهم فيُخَطِطونَ للإضرارِ بِهِمْ والنيلِ منهم.

روى الإمامُ أحمدُ عن أبي موسى الأشعري (–قال: قلتُ لعمرَ(:لي كاتبٌ نصرانيٌ ،قال: مالَكَ قاتلَكَ اللهُ ، أما سمعتَ قولَه تعالى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ). (المائدة: ٥١). ألا اتخذتَ حنيفاً ! قلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ لي كتابتُه وله دينُه ، قال: لا أُكرمُهم إذ أهانَهم اللهُ ، ولا أُعزُهم إذ أَذلَهم اللهُ ، ولا أُدينهم وقد أقصاهم اللهُ .

وروي الأمام أحمد ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم خَرَج إلى بَدْرٍ فَتَبِعَهُ رَجُلٌ مِنْ المشركين فَلحِقَه عند الحَرَةِ فقال: إِني أَردتُ أَنْ أَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ، قَالَ تُؤْمِنُ بِاللهَّ وَرَسُولِهِ قَالَ لا، قَالَ : ارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ)

ومن هذه النصوصِ يتبينُ لنا تحريمُ توليةِ الكفارِ أعمالَ المسلمينَ التي يتمكنونَ بواسطتِها من الاطلاعِ على أحوالِ المسلمينَ وأسرارِهم ويكيدونَ لهم بإلحاقِ الضررِ بهم.

ومن هذا ما وقعَ في هذا الزمانِ من استقدامِ الكفارِ إلى بلادِ المسلمينَ وجعلِهم عمالاً وسائقينَ ومستخدمينَ ومربينَ في البيوتِ وخلطِهم مع العوائِلِ، أو خلطِهم مع المسلمينَ في بلادِهم".

<u>((٦ – مشاركة الكفار في أعيادهم أو مساعدتهم في إقامتها أو تهنئتهم فيها)).</u>

من مقتضيات الولاء والبراء: عدم مشاركتهم في أعيادهم، وهذا أمر يحتاج إلى تفصيل كثير كما بيناه من قبل، وهو

حكم مشاركة المسلمين الكفار في أعيادهم، وأن هذا لا يجوز؛ لأنه من الموالاة المحرمة، وأن المسلمين ليس لهم إلا عيدان: عيد الفطر وعيد الأضحى، وما زاد عن ذلك فهو من البدع إن كانت أعياداً في الدين أو من جملة هذه الدعوات الوطنية والقومية التي هي من الباطل ومن الزور، قال الله عز وجل: {وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ} [الفرقان:٧٢]، وهذه الأعياد الوطنية كلها ليست من الإسلام في شيء، بل ليس للمسلمين إلا عيدان وهما الفطر والأضحى.

* قال ابن القيم في "أحكام أهل الذمة" : " لا يجوز للمسلمين ممالأتهم على أعيادهم ، و لا مساعدتهم ، و لا الحضور معهم باتفاق أهل العلم الذين هم أهله ، وقد صرح به الفقهاء من أتباع الأئمة الأربعة في كتبهم ".

وقال أيضا: " التهنئة بشعائر الكفر المختصة به حرام بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم فيقول: عيد مبارك عليك أو تهنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سَلِمَ قائله من الكفر فهو من المحرمات، وهو بمَنْزلة أن يهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثمًا عند الله وأشد مقتًا من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس وارتكاب الفرج الحرام ونحوه . وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنّأ عبدًا بمعصية أو بدعة أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه ".

ومن الادلة على تحريم مشاركتهم في أعيادهم بأي وجه من الوجوه:

قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) [الفرقان:٧٢] قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره (١٣/ ٧٩) : " (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) أي لا يحضرون الكذب والباطل ولا يشاهدونه . والزور كل باطل زُوِّرَ وزُخْرِفَ ، وأعظَمُهُ الشرك ، وتعظيم الأنداد . وبه فَسَّر الضحاك وابن زيد وابن عباس . وفي رواية عن ابن عباس أنه أعياد المشركين " ا.هـ

* و قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى في تفسيره (٣/ ٣٧٨) : " قال مجاهد : يعني أعياد المشركين " ا.هـ

* و قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في أحكام أهل الذمة (٣/ ١٢٤٤ وما بعدها) :

" واحتج الإمام أحمد بن حنبل على تحريم شهود أعياد النصارى واليهود بهذه الآية وقال : الزور الشعانين و أعيادهم . وعن الضحاك : الزور عيد المشركين ، و قال سعيد بن جبير : الشعانين ، و كذلك قال ابن عباس : الزورُ عيدُ المشركين ".

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم فإن السخطة تَنْزِلُ عليهم" رواه عبد الرزاق في المصنف (١٦٠٩) ، و البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٨٦٤٠) ، وصحح إسناده ابن تيمية في "مسألة في ذم خميس النصارى"، وابن القيم في أحكام أهل الذمة (٣/ ١٢٤٧) ، وابن مفلح في الآداب الشرعية (٣/ ٤١٧) .

- وعن عمر رضي الله عنه أيضًا قال : " اجتنبوا أعداءَ الله في عيدهم " . رواه البخاري فى التاريخ الكبير (٤/ ١٤) ، وعنه البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٨٦٤١) .

* وإنما ذكر عُمَر رضي الله عنه نزولَ سخطِ الله على أهل الكتاب يوم عيدهم لجمعهم بين قول الزور ؛ الذي أعظَمُهُ الشركُ ، ونسبة الزوجة والولد إلى الله تعالى – وهو سَبٌّ لله تعالى كما في الحديث القدسي الصحيح – والسجود لقساوستهم ، وشرب الخمور ، وارتكاب الزنا والفجور .

* عدم جواز إظهار أعياد الكفار في بلاد الإسلام، وقد شرط عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن لا يُظْهِرُوا أعيادَهم في دار الإسلام فكتب في كتابه المشهور حين صالح نصارى من أهل الشام و شَرَطَ عليهم : " و لا نخرج شعانينَ ولا باعوثًا " .

(الشعانين) : ويقال السعانين بالسين المهملة وهو اسم سرْيَاني مُعَرَّبٌ ، وتسميه العرب يوم السَّبَاسِب ، وهو من أعياد النصارى ، ويكون يوم الأحد السابق لعيد الفصح ، يحتفلون فيه بحمل السعف ذكرى لدخول المسيح عليه السلام بيت المقدس في زعمهم .

(والباعوثُ) : استسقاء النصارى ؛ يخرجون بصلبانهم إلى الصحراء فيَسْتَسْقُون . قال ابن تيمية : " الباعوث اسم جنس لما يظهر به الدين " ا.هـ . والمقصود النهي عن خُرْوجِ النصارى مجتمعين محتشدين مظهرين لدينهم كما يَخْرُجُ المسلمون يوم الأضحى والفطر والاستسقاء.

((٧ – التسمي بأسمائهم، والاستغفار لهم و الترحم عليهم، فهذا لا يجوز)).

قال الشيخ الفوزان: "بحيثُ يُسمِّي بعضُ المسلمينَ أبنائَهم وبناتِهم بأسماءٍ أجنبيةٍ ويتركونَ أسماءَ آبائِهم وأُمهاتِهم وأجدادِهم وجداتِهم والأسماءَ المعروفةَ في مجتمعِهم. وقد قال النبيُ (: (خَيْرُ الْأَسْمَاءِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ) (٣) وبسببِ تغييرِ الأسماءِ فقد وُجِدَ جيلٌ يحملُ أسماءً غريبةً ، مما يسببُ الانفصالَ بينَ هذا الجيلِ والأجيالِ السابقةِ ويقطعُ التعارفَ بينَ الأسرِ التي كانتْ تُعرفُ بأسمائِها الخاصةِ".

قال ابن القيم في "أحكام أهل الذمة" : "الأسماء ثلاثة أقسام:

[الأول] : قسم يختص المسلمين.

[والثاني] : قسم يختص الكفار.

[والثالث] : قسم مشترك.

فالأول: كمحمد وأحمد وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فهذا النوع لا يمكنون من التسمي به، والمنع منه أولى من المنع من التكني بكناية المسلمين، فصيانة هذه الأسماء عن أخابث خلق الله أمر جسيم.

والثاني: كجرجس وبطرس ويوحنا ومتى ونحوها، فلا يمنعون منه ولا يجوز للمسلمين أن يتسموا بذلك؛ لما فيه من المشابهة فيما يختصون به.

والنوع الثالث: كيحيى وعيسى وأيوب وداود وسليمان وزيد وعمر وعبد الله وعطية وموهوب وسلام ونحوها، فهذا لا يمنع منه أهل الذمة ولا المسلمون".

قال الشيخ بكر أبو زيد في كتابه تسمية المولود: "وهذا التقليد للكافرين في التسمي بأسمائهم، إن كان عن مجرد هوى وبلادة ذهن، فهو معصية كبيرة وإثم، وإن كان عن اعتقاد أفضليتها على أسماء المسلمين، فهذا على خطر عظيم يزلزل أصل الإيمان، وفي كلتا الحالتين تجب المبادرة إلى التوبة منها، وتغييرها شرط في التوبة منها."

وأما الاستغفارُ لهمْ والترحمُ عليهِم فقد حرَّم اللهُ ذلك بقولِه تعالى: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ).(التوبة١١٣)؛ لأنَّ هذا يتضمنُ حبَّهمْ وتصحيحَ ما همْ عليهِ.

تنبيه:

قال الشيخ الفوزان: " وأما قولُه تعالى:(لَا يَنْهَاكُمْ اللهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ).(الممتحنة:٨).

فمعناه أنَّ منْ كَفَّ أذاهُ منْ الكفارِ فلمْ يُقاتلْ المسلمينَ ولمْ يُخرجْهُمْ منْ ديارِهمْ فإنَّ المسلمينَ يقابلونَ ذلك بمكافأتِه بالإحسانِ والعدلِ مَعَهُ في التعاملِ الدنيويِّ ولا يُحِبُونَهُ بقلوبِهم لأنَّ اللهَ قالَ : (أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ). ولم يقلْ توالونَهمْ وتُحبونَهمْ.

ونظيرُ هذا قولُه تعالى في الوالدينِ الكافرينِ: (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ).(لقمان:١٥).

(وقد جاءَتْ أُمُ أَسْمَاءَ إليها تطلُبُ صِلتَها وهيَ كافِرةٌ فَاستَأذَنتْ أسماءُ رَسُولَ اللهَ (في ذلك فَقَالَ لها: صِلِي أُمَّكِ) .

وقد قال اللهُ تعالى : (لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ).(المجادلة:٢٢).

فالصلةُ والمكافأةُ الدنيويةُ شيءٌ ، والمودةُ شيءٌ أخرُ.

ولأنَّ في الصلةِ وحسنِ المعاملةِ ترغيباً للكفارِ في الإسلامِ فَهُما منْ وسائلِ الدعوةِ بخلافِ المودةِ والموالاةِ فهما يدلانِ على إقرارِ الكافرِ على ما هو عليه والرضى عنه وذلك يسببُ عدمَ دعوتِه إلى الإسلامِ.

وكذلك تحريمُ موالاةِ الكفارِ لا تَعني تحريمَ التعاملِ معهمْ بالتجارةِ المباحةِ واستيرادِ البضائعِ والمصنوعاتِ النافعةِ والاستفادةِ منْ خبراتِهم ومخترعاتِهم .

فالنبيُّ (أستأجرَ ابنَ أريقط الليثيِّ ليدلَّه على الطريقِ وهو كافرٌ واستدانَ منْ بعضِ اليهودِ.

وما زالَ المسلمونَ يستوردونَ البضائعَ والمصنوعاتِ منْ الكفارِ وهذا منْ بابِ الشراءِ منْهمْ بالثمنِ وليسَ لهمْ علينا فيهِ فضلٌ ومِنّةٌ.

وليس هو منْ أسبابِ محبتِهمْ وموالاتَهم ،فإنَّ اللهَ أوجبَ محبةَ المؤمنينَ وموالاتهمْ وبُغضَ الكافرينَ ومعاداتِهم .

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ).(الأنفال:٧٢) إلى قوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) (الأنفال:٧٣).

قال الحافظ ابن كثير : ومعنى قوله : (إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)
أي إنْ لمْ تُجانبوا المشركينَ وتوالوا المؤمنينَ وإلا وقعتْ فتنةٌ في النَّاسِ وهو التباسُ الأمرِ واختلاطُ المؤمنينَ بالكافرينَ فيقعُ في الناسِ فسادٌ منتشرٌ عريضٌ طويلٌ ...) انتهى..قلتُ: وهذا ما حصلَ في هذا الزمانِ، واللهُ المستعانُ".

صور ليست من الموالاة:

قال في "فضل الغني الحميد" ما ملخصه: "

١- الاستعانة بغير المسلم لغرض حماية الداعي و من أدلة ذلك حماية أبي طالب لرسول الله ، وأيضا قبول أبي بكر و الدخول في جوار ابن الدغنة، وليست العلة في قبول ذلك مجرد تمتع المسلمين بالراحة والحياة، ولكن للتمكن من نشر الإسلام، والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، أو النجاة من إيذاء الكفار، وبطشهم للقيام مستقبلا بالدعوة إلى الله تعالى، وهذا بشرط أن لا يكون على حساب أحكام الإسلام، أو التنازل عن شيء منها، وأن يطمئن إلى عدم خيانته للمسلم، أو كشف ما يطلع عليه من أمر الدعوة إلى الله تعالى .

أما الاستعانة بهم في قتال الكفار، فالراجح المنع منه لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ارجع فلن أستعين بمشرك". وأما في قتال المسلمين فمنعه جماهير العلماء؛ لأنه تسليط للكفار على المسلمين قال تعالى: (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا).

٢- المؤاجرة والمبايعة مع المشركين روى البخاري في صحيحه بسنده عن خباب الله قال : كنت رجلا قينا، فعملت للعاص بن وائل فاجتمع لي عنده ، فأتيته أتقاضاه ، فقال : لا والله، ولا أقضيك حتى تكفر بمحمد ، فقلت : أما والله حتى تموت، ثم تبعث، فلا، قال : وإني لميت، ثم مبعوث؟ قلت: نعم، قال : فإنه سيكون لى مال ، وولد فأقضيك، فأنزل الله تعالى : {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا، وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا} [مريم: ٧٧]

قال ابن حجر في "فتح الباري": "أورد فيه حديث خباب - وهو إذ ذاك مسلم- في عمله للعاص بن وائل، وهو مشرك، وكان ذلك بمكة، وهي إذ ذاك دار حرب، وأطلع النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، وأقره، ولم يجزم المصنف بالحكم؛ لاحتمال أن يكون الجواز للضرورة، أو أن جواز ذلك كان قبل الإذن في قتال المشركين ومنابذتهم، وقبل الأمر بعدم إذلال المؤمن نفسه .

* قال المهلب : كره أهل العلم ذلك، ولا لضرورة، بشرطين:

أحدهما : أن يكون عمله فيما يحل للمسلم فعله .. والآخر: أن لا يعينه على ما يعود ضرره على المسلمين. وقال ابن المنذر : استقرت المذاهب على أن الصناع في حوانيتهم يجوز لهم العمل لأهل الذمة، ولا يعد ذلك من الذلة ، بخلاف أن يخدمه في منزله ، وبطريق تبعته له. اهـ.

٣- البيع والشراء روى البخاري بسنده عن عبدالرحمن بن أبي بكر لنا قال: كنا مع النبي عام ثم جاء رجل مشرك طويل بغنم يسوقها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «بيعة أم عطية - أو قال- أم هبة؟ قال: لا، بل بيع، فاشترى

منه شاة». قال ابن حجر في « الفتح (٤١٠ / ٤): قال ابن بطال: معاملة الكفار جائزة إلا مع ما يستعين به أهل الحرب على المسلمين ، ثم قال : وفي الحديث قبول هدية المشرك؛ لأنه سأله هل يبيع أو يهدى؟. اهـ

٤– قبول الهدية منهم والإهداء إليهم ذكر البخاري حديث أنس في إهداء أكيدر دومة للنبي صلى الله عليه وسلم، وحديث أنس في إهداء اليهودية للنبي عن الشاة المسمومة وأكله منها وأصحابه، وكذا إهداء ملك أَيْلَةَ للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء ، فكساه بردا. وقصة هاجر التي أهداها الجبار لإبراهيم عليه السلام).

و قال الحافظ في «الفتح»: في الجمع بين هذه الأحاديث وحديث : إني نهيت عن زبد المشركين. قال : وجمع غير الطبري بأن الامتناع في حق من يريد بهديته التودد والموالاة، والقبول في حق من يرجو بذلك تأنيسه وتأليفه على الإسلام».

وقد روى البخاري في باب الهدية للمشركين حديث إهداء عمر أخاه المشرك حلة حرير. وحديث أسماء في صلة أمها وهي مشركة. وهذا على سبيل التأليف وصلة الرحم من غير مودة .

٥– رد السلام عليهم قال ابن القيم في زاد المعاد»: اختلف في وجوبه: فالجمهور على وجوبه، وهو الصواب، وقالت طائفة : لا يجب الرد عليهم، كما لا يجب على أهل البدع، وهو أولى .

والصواب الأول، والفرق : أنا مأمورون بهجر أهل البدع، تعزيزا لهم، وتحذيرا منهم، بخلاف أهل الذمة. اه.

ومما يرجح رأي الجمهور في وجوب الرد على أهل الكتاب قوله صلى الله عليه وسلم : «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم».

٦– الانتفاع بما عندهم. يجوز أن يتلقى المسلم من غير المسلم ما ينفعه في علم الكيمياء والفيزياء ، والفلك، والطب، والصناعة، والزراعة، والأعمال الإدارية، وأمثال ذلك. وهذا حين تنعدم الاستفادة من هذه العلوم من مسلم تقي كذلك يجوز الانتفاع بهم في دلالة الطريق، وما عندهم من سلاح، وملابس، وغير ذلك من الحاجات التي يحتاجها الناس، وجرت العادة فيها أن المسلم والكافر يستويان في الانتفاع بها. وأدلة الانتفاع بالكفار نجدها في سنة رسول الله ، فقد ورد في الحديث عن عائشة رضي الله عنها: "استأجر النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بنى الذيل ..... هاديا خريتا – الخريت: الدليل الحاذق بالدلالة –».

٧– الزواج من الكتابية قال تعالى : والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم {المائدة : ٤٥}. قال ابن كثير رحمه الله في التفسير: أي: وأحل لكم نكاح الحرائر العفائف من النساء المؤمنات ..". فقول أهل العلم: جواز الزواج من الكتابية العفيفة يهودية أو نصرانية – ولم يخالف في ذلك إلا ابن عمر رضي الله عنه في النصرانية، والأظهر قول الجمهور، إلا أنه لابد هنا من التنبيه إلى أن هذا الزواج لابد أن يظل معه بغض هذه المرأة على دينها ، ولا مانع من استمرار النكاح مع وجود البغضاء ، فكم من بيوت تقوم على غير الحب من مصالح و منافع أخر، ولما كان هذا الأمر– وهو استمرار الزواج دون محبة لا يقوى عليه الأكثر كان زواج الكتابية مكروها كما ثبت النهي عنه عن عمر رضي الله عنه دون تحريم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : «فاظفر بذات الدين تربت يداك».

٨- إظهار الموافقة للكفار عند الإكراه والتقية لما كان المسلم قد يتعرض إلى ضرورة تكرهه على إظهار موالاة الكفار أو المنافقين أو أن يدفع عن نفسه شرهم وأذاهم باستعمال التقية لزم أن يكون على بينة من أمره فيما يجوز وما لا يجوز من ذلك وحدود الإكراه المعتبر شرعا ومعنى التقية، وشروط اعتبار العمل بها – قال تعالى : ومن كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم {النحل : ١٠٩} . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٨٧): روى العوفي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فوافقهم على ذلك مكرها، وجاء معتذرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله هذه الآية.".

((ثانياً: مظاهر موالاة المؤمنين، منها:

١. الهجرة إلى بلاد المسلمين فراراً بالدين)).

أصل المهاجرة: المجافاة والترك.

وفي الاصطلاح الشرعي: الانتقال من بلد الكفر والشرك إلى دار الإسلام . ومن المعلوم: أن من كان دينه الإسلام المبني على صرف جميع العبادات لله وحده ونفي الشرك وبغضه وبغض أهله ومعاداتهم ومقاطعتهم فإنه لا يتركه أهل الكفر على دينه مع القدرة عليه كما أخبر عن ذلك المولى عز وجل بقوله: {وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ } [سورة البقرة: ٢١٧] .

كما أخبر الله عن أصحاب الكهف أنهم قالوا: {إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا } [سورة الكهف: ٢٠] .

وأخبر سبحانه بذلك عن جميع الكفار حيث قال: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ } [سورة إبراهيم: ١٣] .

وكذلك قال ورقة بن نوفل للنبي صلى الله عليه وسلم: "يا ليتني أكون جذعاً إذ يخرجك قومك قال: أو مخرجي هم؟! قال: نعم. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي"، فلذلك أخرجوه من مكة إلى الطائف ثم هاجر إلى المدينة بعدما هاجر طائفة من أصحابه إلى الحبشة مرتين .

والهجرة شأنها عظيم، وأمرها كبير إذ هي فرع الولاء والبراء، بل إنها من أبرز تكاليف الولاء والبراء، وما كانت الجماعة المسلمة لتترك أرضها وقومها وتتكبد مشاق الغربة ووعثاء السفر لولا أن ذلك تكليف رباني لمن لا يستطيع أن يقيم دينه، ويظهر إسلامه في أرضه. وقد وعد الله عباده المؤمنين المهاجرين بـ (الحسنات) في الدنيا والآخرة فقال: {وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ {٤١} الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } [سورة النحل: ٤١-٤٢] .

وللهجرة مفهوم شامل في التصور الإسلامي ليس مقتصراً على الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام فحسب ولكنه كما يقول ابن القيم: الهجرة هجرتان هجرة بالجسم من بلد إلى بلد وهذه أحكامها معلومة.

والهجرة الثانية: الهجرة إلى الله ورسوله فهذه هي الهجرة الحقيقية، وهجرة الجسد تابعة لها وهي هجرة تتضمن (من) و (إلى) فيهاجر بقلبه من محبة غير الله إلى محبته، ومن عبودية غيره إلى عبوديته، ومن خوف غيره ورجائه والتوكل عليه إلى خوف الله ورجائه والتوكل عليه. ومن دعاء غيره وسؤاله والخضوع له والذل. والاستكانة إلى دعائه سبحانه وسؤاله والخضوع له والذل له والاستكانة له. وهذا بعينه معنى الفرار إلى الله كما قال تعالى: {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ} [سورة الذرايات: ٥٠] . والتوحيد المطلوب من العبد هو الفرار من الله إليه.

والهجرة إلى الله تتضمن: هجران ما يكرهه، وإتيان ما يحبه ويرضاه.

وأصلها: الحب والبغض، فإن المهاجر من شيء إلى شيء لا بد أن يكون ما يهاجر إليه أحب مما هاجر منه، فيؤثر أحب الأمرين إليه على الآخر.

وهذه الهجرة تقوى وتضعف بحسب دواعي المحبة في قلب العبد، فإن كان الداعي أقوى كانت هذه الهجرة أقوى وأتم وأكمل، وإذا ضعف الداعي ضعفت الهجرة حتى لا يكاد يشعر بها علماً ولا يتحرك لها إرادة.

أنواع الهجرة:

(١) الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام، وكانت فرضاً في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة، والتي انقطعت بالفتح هي القصد إلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان. فمن أسلم في دار الحرب وجب عليه الخروج إلى دار الإسلام .

ويؤيد ذلك حديث مجاشع بن مسعود حين جاء بأخيه مجالد بن مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هذا مجالد يبايعك على الهجرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم (لا هجرة بعد فتح مكة ولكن أبايعه على الإسلام) وعلى ذلك فإن النصوص الواردة في وجوب الهجرة باقية في حال المسلم المقيم بدار الحرب وقد ذكرتها في الإقامة في دار الكفار.

(٢) الخروج من أرض البدعة. قال الإمام مالك: لا يحل لأحد أن يقيم ببلد سب فيها السلف .

(٣) الخروج عن أرض غلب عليها الحرام، فإن طلب الحلال فرض على كل مسلم .

وفي هذا الشأن يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: أحوال البلاد كأحوال العباد فيكون الرجل تارة مسلماً، وتارة كافراً، وتارة مؤمناً، وتارة منافقاً، وتارة براً تقياً، وتارة فاجراً شقياً. وهكذا المساكن بحسب سكانها فهجرة الإنسان من مكان الكفر والمعاصي إلى مكان الإيمان والطاعة كتوبته وانتقاله من الكفر والمعصية إلى الإيمان والطاعة، وهذا أمر باق إلى يوم القيامة .

(٤) الفرار من الأذية في البدن، وذلك فضل من الله عز وجل أرخص فيه، فإذا خشي المرء على نفسه في موضع فقد أذن الله سبحانه له في الخروج عنه، والفرار بنفسه ليخلصها من ذلك المحذور، وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه السلام لما خاف من قومه قال: {إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي} [سورة العنكبوت: ٢٦] . {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ { [سورة الصافات: ٩٩] .وموسى عليه السلام قال الله فيه: {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [سورة القصص: ٢١] .

(٥) خوف المرض في البلاد الوخمة، والخروج منها إلى الأرض النزهة وقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم للعرنيين في ذلك حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى المرج، فيكونوا فيه حتى يصحوا وقد استثنى من ذلك الخروج من الطاعون كما قرر ذلك الحديث الصحيح .

(٦) الفرار خوف الأذية في المال، فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه، والأهل مثله أو آكد .

وبعد: فإن الهجرة وغيرها من الأعمال والأقوال - مبنية على النية كما قال صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه.

((٢. مناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال واللسان.

((٣. التألم لألمهم والسرور لسرورهم)).

وهذه واجب أخوي إيماني على كل مسلم لأخيه المسلم من أي جنس كان وفي أي أرض حل، وبأي لون كان، ينصره بنفسه وبماله وبالذب عن عرضه ولذلك ورد التهديد لمن يترك ذلك وهو قادر عليه. قال صلى الله عليه وسلم (ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب نصرته)، وقد امتدح سبحانه وتعالى الأنصار رضوان الله عليهم في نصرتهم لإخوانهم المهاجرين فقال سبحانه: {وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} [سورة الأنفال: ٧٤] .

ومن الأوامر النبوية في شأن النصرة قوله صلى الله عليه وسلم (انصر أخاك ظالماً ومظلوماً) . ونصرته إذا كان مظلوماً ظاهرة أما نصرته إذا كان ظالماً فبردعه عن الظلم ومنعه. وقال صلى الله عليه وسلم (المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله عز وجل في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة. ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة) متفق عليه .

والمسلم داخل المجتمع الإسلامي ما هو إلا عضو عامل كأي عضو من أعضاء الجسد فإذا حصل لهذا مرض أو اختل عمله تأثر لذلك بقية الجسد، ويصور ذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم في قوله الكريم. (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) . وقوله (ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) وقال أيضاً: (المؤمن مرآة أخيه، والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه) ولو أردنا تتبع كل النصوص في هذا الشأن لطال الحديث أكثر من هذا وسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وخير القرون بعده والذين سلكوا سبيله واهتدوا بهديه على مدار التاريخ الإسلامي: تؤكد هذه الحقيقة الهامة.

((٤ . النصح لهم ومحبة الخير لهم وعدم غشهم وخديعتهم)).

(عن جرير بن عبد الله– رضي الله عنه– قال: «بايعت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم على إقام الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، والنّصح لكلّ مسلم»)

(عن تميم الدّاريّ– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «الدّين النّصيحة» . قلنا: لمن؟. قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم»)

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ).

وقال : (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَحْقِرُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ ولايُسْلِمُهُ ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ) .

وقال عليه الصلاة والسلام : (لا تَبَاغَضُوا وَلا تَدَابَرُوا وَلا تَنَاجَشُوا ولايَبِعْ بَعضُكُمْ عَلى بَيعِ بعضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللهَّ إخوانَاً) .

((٥ . احترامهم وتوقيرهم وعدم تنقصهم وعيبهم)).

قال تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ(١١)يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) . (الحجرات : ١١–١٢).

((٦ . أن يكون معهم في حال العسر واليسر والشدة والرخاء، بخلاف أهل النفاق الذين يكونون مع المؤمنين في حالة اليسر والرخاء، ويتخلون عنهم في حال الشدة)).

قال تعالى: (الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنْ اللهَّ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ). (النساء :١٤١).

((٧. زيارتهم ومحبة الالتقاء بهم والاجتماع بهم)).

وفي الحديثِ القدسيِّ :(وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ). وفي حديث أخر (أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاً لَهُ فِي الله فَأَرْصَدَ اللهَّ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً فسأله أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ: أزورُ أَخاً لِي فِي الله، قَالَ هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا قَالَ: لَا ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهَّ قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهَّ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَّ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ).

((٨. الرفق بضعفائهم))

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا). وقال ((هل تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ إلابِضُعَفَائِكُمْ).

وقال تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيا).(الكهف:٢٨).

((والدعاء لهم والاستغفار لهم)).

قال تعالى: (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ).(محمد١٩). وقال سبحانه :(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ).(الحشر ١٠).

((الصحابة وآل البيت (مكانتهم وحقوقهم وحكم سبهم).

أولاً: الصحابة رضي الله عنهم)).

فائدة:

قال الشيخ ابن جبرين في "شرح أصول السنة": " إنما تكلم العلماء في العقائد على الصحابة رداً على الرافضة الذين يكفرون أكثر الصحابة، وسبب ذلك أن الرافضة اعتقدوا في علي رضي الله عنه هذه العقيدة السيئة، وهي: أنه أولى بالخلافة من الصحابة الذين قبله أبي بكر وعمر وعثمان، ورووا أحاديث مكذوبة أنه وصي النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه الذي أوصى إليه.

فلما عرفوا أن الواقع يخالف ما ذهبوا إليه اعتقدوا أن أبا بكر وعمر وعثمان كلهم اغتصبوا ما ليس لهم من هذه الولاية والخلافة، وخطئوا الصحابة الذين بايعوهم، واعتقدوا أن علياً مظلوم؛ حيث أخذ منه الأمر وهو أولى به، فهو أولى بالإمامة وأولى بالخلافة، ولم يقفوا عند هذا الحد بل اعتقدوا كفر هؤلاء الصحابة واعتقدوا أنهم ارتدوا، وطبقوا عليهم الحديث الذي فيه: (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)، وأخذوا يجمعون ويلفقون الأكاذيب عليهم؛ فاحتاج أهل السنة إلى أن يردوا هذه الأكاذيب، فاعتنوا بالأحاديث التي في فضائل الصحابة، وبينوا أن ترتيب الصحابة في الخلافة هو كما وقع".

تعريف الصحابي:

((الصحابة جمع صحابي، وهو من لقي النبي – صلى الله عليه وسلم – مؤمناً به ومات على ذلك)).

قال الشيخ العثيمين في "شرح الأصول" (ص/ ٤٦٩) : ((وقوله: (من اجتمع بالنبي – صلى الله عليه وسلم –) : سواء رآه أم لم يره، وسواء سمعه أم لم يسمعه، فلو قدر أن رجلا أعمى أصم اجتمع بالرسول – صلى الله عليه وسلم – مؤمنًا به ومات على ذلك فهو صحابي وإن لم يره ويسمعه، ولا يشترط أن يراه النبي – صلى الله عليه وسلم – فلو حضر مجلسا فيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فهو صحابي .

وقوله: (اجتمع بالنبي) : هذا قيد لابد منه، فهو وصف أي أن يكون مجتمعًا بالنبي – صلى الله عليه وسلم – حال كونه نبيا، فإن اجتمع به قبل أن يرسل مؤمنا بأنه سيبعث ثم لم يره بعد أن بعث فليس بصحابي ، فلابد أن يكون مجتمعًا بالنبي – صلى الله عليه وسلم – حال نبوته .

س: وهل يشمل من اجتمع به بعد موته وقبل دفنه – يعني حضر وصلى على النبي – صلى الله عليه وسلم – ؟

ج : في هذا خلاف:

فمنهم من يقول: إنه إذا حضر النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد موته وقبل دفنه فهو صحابي؛ لأن نبوته – صلى الله عليه وسلم – لا تنقطع بموته .

ومنهم من قال: ليس بصحابي؛ لأنه اجتمع بالنبي – صلى الله عليه وسلم – وهو ميت.

وانتفاء الصحبة في هذه الحال واضح جدًا بخلاف ما لو اجتمع به وهو حي وهذا هو الأقرب أنه لا بد أن يكون النبي – صلى الله عليه وسلم – حيًا.

ولابد أيضًا أن يكون مؤمنًا به فإن كان مؤمنًا بغيره كما لو اجتمع به نصراني يؤمن بالأديان السابقة. لكن لم يؤمن بالرسول إلا بعد موت الرسول – صلى الله عليه وسلم – فلا يكون صحابيًا.

وقوله: (ومات على ذلك) : فإن مات على الردة فليس بصحابي ؛ لأن الردة تبطلِ جميع الأعمال، قال الله تعالى: (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) [الفرقان:٢٣] والردة تمحو حتى الإسلام فضلاً عن الصحبة، فإن ارتد ثم عاد إلى الإسلام فإن الأصح من أقوال أهل العلم أن صحبته تعود ؛ لأن الله تعالى اشترط لبطلان العمل بالردة أن يموت الإنسان على ردته فقال الله سبحانه وتعالى: (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) [البقرة : ٢١٧]) .

قيد آخر :

وزاد ابن النجار قيدا آخر في التعريف فقال في "شرح الكوكب" (٢/ ٤٧١) : ((ولو جنيا في الأظهر) أي ولو كان من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مسلما جنيا في الأظهر من قولي العلماء ليدخل الجن الذين قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم من نصيبين وأسلموا ، وهم تسعة أو سبعة من اليهود بدليل قوله تعالى : (إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى) [الأحقاف : ٣٠] وذكر في أسمائهم : شاص ، وماص ، وناشى ، ومنشى ، والأحقب ، وزوبعة ، وسرق ، وعمر ، وجابر. وقد استشكل ابن الأثير في كتابه " أسد الغابة " قول من ذكرهم من الصحابة. فإن بعضهم لم يذكرهم في الصحابة ، وبعضهم ذكرهم قال في شرح التحرير قلت : الأولى أنهم من الصحابة. فإنهم لقوا النبي – صلى الله عليه وسلم – وآمنوا به وأسلموا ، وذهبوا إلى قومهم منذرين).

وعليه فيكون التعريف بعد إضافة هذا قيد أن قد يكون جنيا : (**من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم ولو جنيا مؤمناً به ومات على ذلك**) .

((والذي يجب اعتقاده فيهم أنهم أفضل الأمة، وخير القرون؛ لسبقهم واختصاصهم بصحبة النبي – صلى الله عليه وسلم – والجهاد معه، وتحمل الشريعة عنه، وتبليغها لمن بعدهم، وقد أثنى الله عليهم في محكم كتابه قال: {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم}. [التوبة ١٠٠])).

قال الشيخ الشظيفي في رسالته"مباحث المفاضلة في العقيدة" (ص/ ٢٣٠): "الصحابة أفضل أتباع الأنبياء على الإطلاق دل على ذلك كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: { كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: ١١٠]. وقال سبحانه: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } [البقرة: ١٤٣].

وفسر لفظ الأمة في الآيتين بأن المراد به الصحابة فهو عام مخصوص وقيل: بل هو وارد في الصحابة دون غيرهم. أي أنه لا عموم في اللفظ، وعليه فاللفظ ظاهر الدلالة على أن الصحابة أفضل الناس بعد الأنبياء.

وفسر اللفظ بأن المراد به أمة محمد صلى الله عليه وسلم عامة. وهو دال على ما ذكر أيضاً؛ لأن أصل الخطاب لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان عاماً في أمته فهم المخاطبون أصلاً به وهم يدخلون في عموم اللفظ دخولاً أولياً، وقد ثبت كونهم أفضل الأمة فهم أفضل الأمة التي هي خير الأمم، فهم أفضل الأمم على الإطلاق.

وقال صلى الله عليه وسلم: ((خير الناس قرني)).

وسأله رجل: أي الناس خير؟ قال صلى الله عليه وسلم: ((القرن الذي أنا فيه)).

ففي الحديثين تعميم تفضيل قرنه صلى الله عليه وسلم على الناس، أي جميع الناس، جميع بني آدم، ويؤكد هذا المعنى. قوله صلى الله عليه وسلم: ((بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت منه)).

فهذا دال على أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أفضل أصحاب الأنبياء، أفضل بني آدم بعد الأنبياء، رضي الله عنهم وأرضاهم.

وقال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: { كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } : ((إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله)). وهذا ظاهر الدلالة على ما ذكرنا.

قال ابن تيمية رحمه الله: (ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله) ".

وقال " (ص/ ٢٤٣) وما بعدها ما ملخصه: "لقد دل الكتاب والسنة على أوجه حَكَمَا بها في المفاضلة بين الصحابة، وجماع هذه الأوجه هو ما سلف من كل واحد منهم من أعمال البر والطاعات التي تتفاضل منزلتها عند الله.

فمن أوجه التفاضل بينهم: السبق إلى الإسلام فالسابق إلى الإسلام أفضل من المسبوق، أفاده قوله سبحانه: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ }[التوبة: ١٠٠].

ومن أوجه التفاضل بينهم: الإنفاق والجهاد قبل الفتح فمن أنفق من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، قال تعالى: { لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [الحديد: ١٠].

ومن أوجه التفاضل بينهم: شهود بدر كما أفاده قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لعل الله أن يكون اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم).

ومن أوجه التفاضل بينهم: شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فمن شهد له بها أفضل.

ومن أوجه التفاضل شهود بيعة الرضوان فمن شهدها أفضل.

ومن أوجه التفاضل بينهم تخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم أحدهم بمنقبة.

وغير ذلك من وجوه التفاضل بينهم رضوان الله عليهم، و ... كون المفضول قد يختص بفضيلة لا توجد في الفاضل إلا أن ذلك لا يقتضي تفضيله بها مطلقاً، فعثمان بن عفان رضي الله عنه لم يحضر بدرا، ولكنه أفضل بعد أبي بكر وعمر من جميع الصحابة من حضر بدراً ومن لم يحضر .. ".

((وأفضل الصحابة: الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي)).

قال الخلال: وأخبرني الحسن بن صالح قال: ثنا محمد بن حبيب قال: قلت لأبي عبد الله: من قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي؟

قال: اذهب إليه، ويعجبني أن أقول: أبو بكر وعمر وعثمان وأسكت، وإن قال رجل: وعلي؛ لم أعنفه، ولا يعجبني هذا القول.

قال ابن عمر: أبو بكر وعمر وعثمان. ونترك أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا نفضل بينهم.

قال الخلال: أخبرني محمد بن علي بن محمود الوراق قال: حدثني أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم البغوي -يعني: لؤلؤ ابن عم أحمد بن منيع- قال: قلت لأحمد: يا أبا عبد الله من قال: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أليس هو عندك صاحب سنة؟.

قال: بلى، لقد روي في علي رحمه الله ما تقشعر -أظنه: الجلود- قال صلى الله عليه وسلم: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي".

قال الخلال: حدثني يحيى بن محمد بن صاعد، ثنا يعقوب الدورقي، قال: سألت أبا عبد الله عن قوله: أبو بكر وعمر وعثمان، قال: هذا في التفضيل، وعلي الرابع في الخلافة، ونقول بقول سفينة: "الخلافة في أمتي ثلاثون سنة".

قال: سمعت أبا عبد الله يقول: فكل من فضل عليا على عثمان فقد أزرى على المهاجرين والأنصار.

قال الخلال: وأخبرني علي بن عبد الصمد قال: سمعت هارون الديك يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: من قال: أبو بكر وعمر وعثمان فهو صاحب سنة، ومن قال: أبو بكر وعمر وعلي وعثمان فهو رافضي – أو قال: مبتدع.

((ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهم هؤلاء الأربعة، وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد))

أخرج أحمد وغيره عن عبد الرحمن بن عوف، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة ".

((ويُفضل المهاجرون على الأنصار، وأهل بدر))

فضل المهاجرين على الأنصار:

ودل كتاب الله على تفضيل المهاجرين على الأنصار فقد قدم الله ذكرهم على ذكر الأنصار في كتابه، قال سبحانه :[وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ] الأنفال: ٧٤ .[فقدم ذكر الذين هاجروا على الذين آووا ونصروا .وقال سبحانه :{لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ} [التوبة: ١١٧] .فبدأ بذكر المهاجرين بعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم بذكر الأنصار، وقال سبحانه :{ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِّ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الحشر: ٨-٩]. فبدأ بذكر المهاجرين ثم الأنصار، وأفرد سبحانه ذكر المهاجرين في مواضع من كتابه كقوله :{ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ}[آل عمران: ١٩٥] وقال سبحانه :{ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ }[التوبة: ٢٠].

وقال سبحانه: {وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }[النحل: ٤١-٤٢].)[٢٧].

فضل أهل بدر:

قال السفاريني في "اللوامع" (٢/ ٣٦٣) : " روى الطبراني بسند رجاله ثقات عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: إن الثمانية عشر الذين قتلوا من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم بدر جعل الله تعالى أرواحهم في الجنة في طير خضر تسرح في الجنة، فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم ربهم اطلاعة، فقال: يا عبادي ماذا تشتهون؟ فقالوا: يا ربنا هل فوق هذا من شيء؟ قال: فيقول عبادي: ماذا تشتهون؟ فيقولون في الرابعة: ترد أرواحنا في أجسادنا فنقتل كما قتلنا.

وروى البخاري عن رفاعة بن رافع الزرقي – رضي الله عنه – وكان من أهل بدر قال: «جاء جبريل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين – أو كلمة نحوها –. قال: كذلك من شهد بدرا من الملائكة» .

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح على شرط مسلم عن جابر – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لن يدخل النار رجل شهد بدرا والحديبية» . وروى أبو داود، وابن ماجه، والطبراني بسند جيد عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " «اطلع الله على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» ". وروى الإمام أحمد عن أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – قالت: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: " «إني لأرجو الله أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد ممن شهد بدرا والحديبية» ". قالت: قلت: أليس الله تعالى يقول: {وإن منكم إلا واردها} [مريم: ٧١] قال: فسمعته يقول: {ثم

[٢٧] انظر كتاب "متفرقات في العقيدة".

ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا} [مريم: ٧٢] . وأخرج مسلم والترمذي من حديث جابر – رضي الله عنه – أن عبدا لحاطب جاء يشكو إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حاطبا، فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار. فقال: " «كذبت، لا يدخلها فإنه قد شهد بدرا والحديبية» ".

وفي الصحيح عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – في قصة كتاب حاطب، «وأن عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله دعني أضرب عنقه، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " أليس من أهل بدر؟ ولعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم – أو قال: – قد وجبت لكم الجنة» ". وفي المعنى أحاديث غير ما ذكرنا".

((وأهل بيعة الرضوان)).

قال الدكتور الشظيفي (ص/ ٢٦٥): "ثم أهل أحد ثم أهل بيعة الرضوان الذين قال الله فيهم: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح: ١٠]. وقال فيهم{ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا }[الفتح: ١٨]. وقال فيهم صلى الله عليه وسلم: ((لا يدخل النار، إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها)). وقد كانوا أكثر من ألف وأربعمائة صحابي كما في الصحيح.

ذكر هذا الترتيب في الفضل بعد العشرة النووي، وابن الصلاح، وابن كثير. وذكر السفاريني تقديم أهل بيعة الرضوان على أهل أحد بعد أهل بدر وقال: (هو الأصح)، وقال: (لأن الله تعالى قال في أهل بيعة الرضوان: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا } [الفتح: ١٨]. وقال في أهل غزوة أحد: { إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ }[آل عمران: ١٥٥]. وفي الآية الأخرى: { ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ } [آل عمران: ١٥٢]. فوصفهم في الموضعين بالعفو ووصف أهل البيعة بالرضى وهو أعلى وأسنى وأفضل من العفو) قال: (وهذا ظاهر والله تعالى أعلم).

وقال الشيخ العثيمين في " شرح العقيدة السفارينية" (ص/ ٦١٦): "فالصحيح أن أهل بيعة الرضوان أفضل من أهل أحد، مع أنه ربما يكون أهل أحد قد شملتهم بيعة الرضوان".

قوله: ((عَلَى قَدْرِ الْهِجْرَةِ وَالسَّابِقَةِ، أَوَّلًا فَأَوَّلًا)).

تفاضل الصحابة في الصحبة:

قال الدكتور الشظيفي" (ص/ ٢٢٢): "الصحابة متفاضلون في الصحبة، إذ لكل منهم من فضلها القدر الذي أدركه منها، فالصحبة فيها خصوص وعموم فهي وإن عمت جميع من رأى النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن فيهم من اختص من الصحبة بما استحق به التفضيل على غيره فامتاز به، قال ابن حجر: ولا خفاء برجحان رتبة

من لازمه صلى الله عليه وسلم وقاتل معه أو قتل تحت رايته على من لم يلازمه أو لم يحضر معه مشهدا، وعلى من كلمه يسيرا أو ماشاه قليلا أو رآه على بعد أو في حال الطفولة، وإن كان شرف الصحبة حاصلا للجميع ...).

قال السفاريني: وقسم الإمام ابن الجوزي الصحبة إلى ثلاثة مراتب:

الأولى: من كثرت معاشرته ومخالطته للنبي بحيث لا يعرف صاحبها إلا بها، فيقال هذا صاحب فلان وخادمه لمن تكررت خدمته لا لمن خدمه مرة واحدة أو ساعة أو يوما.

الثانية: من اجتمع به صلى الله عليه وسلم مؤمنا ولو مرة واحدة؛ لأنه بصدق عليه أنه صحبه وإن لم ينته إلى الاشتهار به.

الثالثة: من رآه له رؤية ولم يجالسه ولم يماشه).

فالصحبة متفاضلة في ذاتها ولذلك يتفاضل الصحابة فيها، وهو أمر ظاهر ويزيد في بيان ظهوره أدلة تفاضل الصحابة، وقد رأى القرطبي – رحمه الله – أن الصحابة مشتركون في الصحبة بلا تباين ولا تفاضل وإنما وقع تباينهم في الفضائل مما منحهم الله من المواهب والوسائل). وهو رأي لا أجد له وجها، إلا أن يكون مراده استواءهم في القدر الذي تحصل به الصحبة، وهو مجرد الرؤية، والله أعلم".

((ويُفضل من أسلم قبل الفتح وقاتل على من أسلم بعد الفتح)).

قال ابن تيمية رحمه الله في بيان أصول أهل السنة: (ويفضلون من أنفق من قبل الفتح – وهو صلح الحديبية – وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل).

((حقوق الصحابة وحرمة سبهم:

١ . احترامهم والثناء عليهم وتوقيرهم وتعظيمهم ورفع منزلتهم وتكريمهم والاحتجاج بإجماعهم والاستنان بآثارهم، واعتقاد ما نطق به القرآن الكريم والذكر الحكيم من أنهم خير أمة أخرجت للناس)).

إن من أكبر الحقوق على المسلم تقدير الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وإظهار الاحترام والتوقير لهم، وقد: "دلت النصوص المتواترة على وجوب حب أصحاب رسول الله وآله ورضي الله عنهم وأرضاهم وتعظيمهم وتكريمهم واحترامهم وتوقيرهم ورفع منزلتهم والاحتجاج بإجماعهم والاستنان بآثارهم واعتقاد ما نطق به القرآن الكريم والذكر الحكيم من أنهم خير أمة أخرجت للناس "

يقول الله تعالى فيهم: {وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ} الآية.

روى الترمذي بإسناده إلى عبد الله بن مغفل المزني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه)) .

هذا الحديث تضمن الحث لكل إنسان يأتي بعد الصحابة في أن يحفظ حقهم، والمعنى: لا تنقصوا من حقهم ولا تسبوهم، بل عظموهم ووقروهم، ولا تتخذوهم هدفا ترمونهم بقبيح الكلام، كما يرمى الهدف بالسهم، وبين

عليه الصلاة والسلام أن حبهم ما استقر في قلب إنسان إلا بسبب حبه للنبي صلى الله عليه وسلم، أو بسبب حب النبي صلى الله عليه وسلم إياهم وما وجد بغضهم في قلب إنسان إلا بسبب ما فيه من البغض للنبي صلى الله عليه وسلم، ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: ((يوشك أن يأخذه))، أي: يعاقبه في الدنيا أو في الآخرة . فالحديث دل على وجوب حب الصحابة رضي الله عنهم وخطورة بغضهم.

قال المناوي في قوله صلى الله عليه وسلم: ((الله الله في أصحابي)) (أي: اتقوا الله فيهم ولا تلمزوهم بسوء أو اذكروا الله فيهم، وفي تعظيمهم وتوقيرهم، وكرره إيذانا بمزيد الحث على الكف عن التعرض لهم بمنقص ((فمن أحبهم فبحبي أحبهم)) أي: فبسبب حبهم إياي، أو حبي إياهم، أي: إنما أحبهم لحبهم إياي، أو لحبي إياهم. ((ومن أبغضهم فببغضي)). أي: فبسبب بغضه إياي، ((أبغضهم)) يعني: إنما أبغضهم لبغضه إياي ... وخص الوعيد بها لما اطلع عليه مما سيكون بعده من ظهور البدع وإيذاء بعضهم زعما منهم الحب لبعض آخر، وهذا من باهر معجزاته، وقد كان في حياته حريصا على حفظهم والشفقة عليهم.

وروى الإمام البخاري في (صحيحه) من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار)) وروى مسلم بإسناده إلى عدي بن ثابت، قال: سمعت البراء يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الأنصار: ((لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله)). قال العيني رحمه الله تعالى شارحا لقوله صلى الله عليه وسلم: ((آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار)) : (المقصود من الحديث الحث على حب الأنصار وبيان فضلهم، لما كان منهم من إعزاز الدين وبذل الأموال والأنفس والإيثار على أنفسهم والإيواء والنصر وغير ذلك، قالوا: وهذا جار في أعيان الصحابة كالخلفاء وبقية العشرة والمهاجرين بل في كل الصحابة إذ كل واحد منهم له سابقة وسالفة وغناء في الدين وأثر حسن فيه، فحبهم لذلك المعنى محض الإيمان وبغضهم محض النفاق..

قال الشيخ حافظ الحكمي – رحمه الله –: "اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهادتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضي الله عنهم أجمعين" .

والثناء عليهم يقول به كل صاحب نظرة موضوعية حتى من الخصوم أو المخالفين؛ "قال مالك رضي الله تعالى عنه: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام قالوا: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا، وقد صدقوا في ذلك، فإن هذه الأمة المحمدية خصوصا الصحابة لم يزل ذكرهم معظما في الكتب كما قال الله تعالى في هذه الآية: (ذلك مثلهم) أي وصفهم في التوراة، (ومثلهم) أي وصفهم {فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ} أي فراخه (فآزره) أي شده وقواه (فاستغلظ) أي شب فطال، فكذلك أصحاب محمد آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع ليغيظ بهم الكفار".

((والاحتجاج بإجماعهم))

قال شيخ الإسلام في " مجموع الفتاوى" (١١/ ٣٤١): (الإجماع متفق عليه بين عامة المسلمين من الفقهاء والصوفية وأهل الحديث والكلام وغيرهم في الجملة وأنكره بعض أهل البدع من المعتزلة والشيعة لكن المعلوم

منه هو ما كان عليه الصحابة وأما ما بعد ذلك فتعذر العلم به غالبا ولهذا اختلف أهل العلم فيما يذكر من الإجماعات الحادثة بعد الصحابة واختلف في مسائل منه كإجماع التابعين على احد قولي الصحابة والإجماع الذي لم ينقرض عصر أهله حتى خالفهم بعضهم والإجماع السكوتي وغير ذلك).

وقال في منهاج السنة (٢/ ٦٠١): (ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ومن خالف ذلك كان مبتدعا عند أهل السنة والجماعة فإنهم متفقون على أن إجماع الصحابة حجة ومتنازعون في إجماع من بعدهم).

((والاستنان بآثارهم)).

قول الصحابي أو فعله أصل لمن أتي بعده، فلا يجوز أن يوصف من فعل فعلاً أو قال قولاً، وله فيه سلف من هذا الرعيل الأول من جيل الصحابة – الذين اختارهم الله لصحبة نبيه – صلى الله عليه وسلم –، والذين عايشوا نزول الوحي، واشتدوا في متابعتهم للنبي – صلى الله عليه وسلم –، وأخذهم أنفسهم بالعمل على سنته مع حمايته ونصرته – بالبدعية، ولكن هذا لا يمنع أن تكون أقوالهم عند التعارض مرجوحة، أو غيرها راجح عليه طبقاً لما هو مقرر في قواعد الترجيح، فهذا ليس مما نحن فيه.

قال الشاطبي: [سنة الصحابة رضي الله عنهم سنة يعمل عليها ويرجع إليها ومن الدليل على ذلك أمور:

أحدها ثناء الله عليهم ومدحهم بالعدالة وما يرجع إليها كقوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} وقوله: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً} ..

والثاني ما جاء في الحديث من الأمر بإتباعهم وأن سنتهم في طلب الإتباع كسنة النبي صلى الله عليه وسلم كقوله: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ) وقوله: (تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي) ..

والثالث أن جمهور العلماء قدموا الصحابة عند ترجيح الأقاويل فقد جعل طائفة قول أبي يكر وعمر حجة ودليلا وبعضهم عد قول الخلفاء الأربعة دليلا وبعضهم يعد قول الصحابة على الإطلاق حجة ودليلا ولكل قول من هذه الأقوال متعلق من السنة وهذه الآراء وإن ترجح عند العلماء خلافها ففيها تقوية تضاف إلى أمر كلي هو المتعمد في المسألة وذلك أن السلف والخلف من التابعين ومن بعدهم يهابون مخالفة الصحابة ويتكثرون بموافقتهم ...

وأيضا فقد وصفهم السلف الصالح ووصف متابعتهم بما لا بد من ذكر بعضه فعن سعيد بن جبير أنه قال: ما لم يعرفه البدريون فليس من الدين. وعن الحسن وقد ذكر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال: إنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا قوما اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فإنهم ورب الكعبة على الصراط المستقيم. وعن إبراهيم قال: لم يدخر لكم شيء خباء عن القوم لفضل عندكم. وعن حذيفة أنه كان يقول: اتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من قبلكم فلعمري لئن اتبعتموه فقد سبقتم سبقا بعيدا ولئن تركتموه يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا. وعن ابن مسعود: من كان منكم متأسيا

فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالا قوما اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. وقال علي: إياكم والاستنان بالرجال ثم قال فإن كنتم لا بد فاعلين فبالأموات لا بالأحياء. وهو نهي للعلماء لا للعوام ... وعن حذيفة قال: اتبعوا آثارنا فإن أصبتم فقد سبقتم سبقا بينا وإن أخطأتم فقد ضللتم ضلالا بعيدا • وعن ابن مسعود نحوه فقال: اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم. وعنه: أنه مر برجل يقص في المسجد ويقول سبحوا عشرا وهللوا عشرا فقال عبد الله إنكم لأهدى من أصحاب محمد أو أضل بل هذه بل هذه يعني أضل. والآثار في هذا المعنى يكثر إيرادها وحسبك من ذلك دليلا مستقلا وهو: الرابع ما جاء في الأحاديث من إيجاب محبتهم وذم من أبغضهم وأن من أحبهم فقد أحب النبي صلى الله عليه وسلم ومن أبغضهم فقد أبغض النبي عليه الصلاة والسلام وما ذاك من جهة كونهم رأوه أو جاوروه أو حاوروه فقط إذ لا مزية في ذلك وإنما هو لشدة متابعتهم له وأخذهم أنفسهم بالعمل على سنته مع حمايته ونصرته، ومن كان بهذه المثابة حقيق أن يتخذ قدوة وتجعل سيرته قبلة]

ومن الأدلة، قوله تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً} فعموم هذه الآية يدل على أن الصحابة لم يبدلوا، ومن أراد التخصيص فعليه الدليل.

ومن الأدلة أيضاً ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (النجوم آمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا آمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي آمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) قال ابن القيم: ووجه الاستدلال بالحديث أنه جعل نسبة أصحابه إلى من بعدهم كنسبته إلى أصحابه وكنسبة النجوم إلى السماء. ومن المعلوم أن هذا التشبيه يعطي من وجوب اهتداء الأمة بهم ما هو نظير اهتدائهم بنبيهم صلى الله عليه وسلم ونظير اهتداء أهل الأرض بالنجوم –وأيضاً – فإنه جعل بقاءهم بين الأمة أمنة لهم وحرزاً من الشر وأسبابه. فلو جاز أن يخطئوا فيما أفتوا به ويظفر به من بعدهم لكان الظافرون بالحق أمنةً للصحابة وحرزاً لهم. وهذا من المحال.

ومن الأدلة أيضاً ما قاله عمر بن الخطاب لطلحة بن عبيد الله – رضي الله عنهما– حينما رآه لابساً ثوباً مصبوغاً وهو محرم:- (إنكم أيها الرهط أئمة يقتدي بكم الناس ...).

((٢. الدعاء لهم قال تعالى: {والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم} [الحشر ١٠])).

ولذا يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " لا تسبوا أصحاب محمد فإن الله عز وجل قد أمر بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتتلون " .

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: " أمروا بأن يستغفروا لأصحاب محمد فسبوهم ".

قال النووي – رحمه الله –: " قال القاضي: الظاهر أنها قالت هذا عندما سمعت أهل مصر يقولون في عثمان ما قالوا، وأهل الشام في علي ما قالوا، والحرورية في الجمع ما قالوا. . "

ذكر الإمام البغوي رحمه الله تعالى عند تفسيره لقوله تعالى: والذين جاؤوا من بعدهم الآية. عن مالك بن مغول قال: قال عامر بن شراحيل الشعبي: (يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير أهل ملتكم، فقالت: أصحاب موسى عليه السلام، وسئلت النصارى: من خير أهل ملتكم، فقالوا: حواري عيسى عليه السلام، وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم، فقالوا: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وإدحاض حجتهم، أعاذنا الله وإياكم من الفتن المضلة).

أخرج ابن مردويه عن ابن عمر (أنه سمع رجلا وهو يتناول بعض المهاجرين فقرأ عليه للفقراء المهاجرين الآية .. ثم قال: هؤلاء المهاجرون فمنهم أنت؟ قال: لا، ثم قرأ عليه والذين تبوؤوا الدار والإيمان الآية، ثم قال: هؤلاء الأنصار، أفأنت منهم؟ قال: لا، ثم قرأ عليه والذين جاؤوا من بعدهم الآية ثم قال: أفمن هؤلاء أنت؟ قال: أرجو، قال: لا ليس من هؤلاء من يسب هؤلاء) فمن لم يترحم على الصحابة ويستغفر لهم فهو ليس من أهل السنة والجماعة.

((٣. النهي عن الإساءة إليهم أو سبهم)).

قال د. عبد العزيز العبد اللطيف في "نواقض الإيمان القولية والعملية" (ص/ ٤٠٩) وما بعدها ما ملخصه: "سب الصحابة ليس على مرتبة واحدة، بل له مراتب متفاوتة، فإن سب الصحابة أنواع ودركات، فمنها سب يطعن في عدالتهم، ومنها سب لا يوجب الطعن في عدالتهم، وقد يكون السب لجميعهم، وأكثرهم وقد يكون لبعضهم، وهناك سب لمن تواترت النصوص بفضله، ومنهم دون ذلك.

وسنورد جملة من أنواع سب الصحابة رضي الله عنهم مما يعد ناقضا من نواقض الإيمان على النحو التالي:-

أ - إن كان مستحلا لسب الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (فإذا عرفت أن آيات القرآن تكاثرت في فضلهم والأحاديث المتواترة بمجموعها ناصة على كمالهم فإن اعتقد حلية سبهم أو إباحته فقد كفر، لتكذيبه ما ثبت قطعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومكذبه كافر).

(ب) ومما يناقض الإيمان: أن يسب جميع الصحابة، أو جمهورهم سبا يقدح في دينهم وعدالتهم، كأن يرميهم بالكفر، أو الفسق، أو الضلال، قال ابن تيمية: (وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا نفرا قليلا لا يبلغون بضعة عشر نفسا، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب في كفره؛ لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع: من الرضى والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وأن هذه الآية التي هي كنتم خير أمة أخرجت للناس [آل عمران: ١١٠]، وخيرها هو القرن الأول، كان عامتهم كفارا أو فساقا، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام).

ويمكن أن نلحق بهذا النوع من السب – وإن كان أشنع مما سبق – فيما لو سب الصحابة رضي الله عنهم من أجل صحبتهم ونصرتهم لدين الله تعالى، ولو كان واحدا .. قال ابن حزم: (ومن أبغض الأنصار لأجل نصرتهم للنبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر؛ لأنه وجد الحرج في نفسه مما قضى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من إظهار الإيمان بأيديهم، ومن عادى عليا لمثل ذلك فهو أيضا كافر) .

(ج) من أنواع سب الصحابة الذي يناقض الإيمان: أن يسب صحابيا تواترت النصوص بفضله، فيطعن في دينه وعدالته، وذلك لما فيه من تكذيب لهذه النصوص المتواترة، والإنكار والمخالفة لحكم معلوم من الدين بالضرورة. وهذه المسألة فيها خلاف، فهناك من لا يعد هذا السب كفرا، بل يجعله فسقا، يوجب التأديب والتعزير.

قال السبكي: (وأجمع القائلون بعدم تكفير من سب الصحابة أنهم فساق).

التحقيق أن يقال: إن سب الصحابة نوعان، أحدهما سب يقدح في دين الصحابة وعدالتهم، كأن يرمي صحابيا بالكفر مثلا ممن تواترت النصوص بفضله، فهذا من الكفر، لما يتضمنه من تكذيب للآيات القرآنية، والأحاديث الصحيحة الدالة على تزكيتهم وفضلهم، ولأن هذا السب إنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة، ومن ظن أن مثل هذا السب لا يعد كفرا، فقد خالف الكتاب والسنة والإجماع. والآخر أن يسب صحابيا – وإن كان ممن تواترت النصوص بفضله – سبا لا يقدح في إسلامه ودينه، مثل وصفه بالبخل، أو الجبن، أو قلة معرفة بالسياسة ونحو ذلك، فهذا لا يعتبر كفرا، ولكن يستحق فاعله التأديب والتعزير.

وكذا لو سب صحابيا لم يتواتر النقل بفضله سبا يطعن في دينه، فلا يكفر بهذا السب، لعدم إنكاره معلوما من الدين بالضرورة .

ويقول ابن تيمية – في هذا الصدد –: (وأما من سبهم سبا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل، أو الجبن، أو قلة العلم، أو عدم الزهد، ونحو ذلك، فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم) .

@ من قذف إحدى أمهات المؤمنين، فإن كانت عائشة رضي الله عنها فهو كافر بالإجماع ومن قذف غيرها من أمهات المؤمنين فهو أيضا كافر على أصح الأقوال.

وبيان ذلك أن قذف عائشة رضي الله عنها تكذيب ومعاندة للقرآن، فإن أهل الإفك رموا عائشة المطهرة بالفاحشة فبرأها الله، فكل من سبها بما برأها الله منه فهو مكذب لله تعالى.

قال السبكي: (وأما الوقيعة في عائشة رضي الله عنها والعياذ بالله فموجبة للقتل لأمرين:-

أحدهما: أن القرآن الكريم يشهد ببراءتها، فتكذيبه كفر، والوقيعة فيها تكذيب له.

الثاني: أنها فراش النبي صلى الله عليه وسلم، والوقيعة فيها تنقيص له، وتنقيصه كفر).

يقول ابن تيمية رحمه الله: (ذكر غير واحد من العلماء اتفاق الناس على أن من قذفها بما برأها الله تعالى منه فقد كفر؛ لأنه مكذب للقرآن) .

وأما من قذف سائر أمهات المؤمنين، فهل يكفر من قذفهن أم لا؟ على قولين أصحهما أنه يكفر.

والقول الآخر أنه لا يكفر، وقالوا: إن القرآن قد شهد ببراءة عائشة رضي الله عنها، فمن خالف ذلك وأنكره، فهو مكذب للقرآن، ومن ثم فهو كافر بالله تعالى، ولم يرد مثل هذا في بقية أمهات المؤمنين.

ويقول ابن تيمية: (والأصح أن من قذف واحدة من أمهات المؤمنين فهو كقذف عائشة رضي الله عنها؛ لأن هذا منه عار وغضاضة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأذى له أعظم من أذاه بنكاحهن) .

((فقد نهى المصطفى – صلى الله عليه وسلم – عن ذلك قال: «لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه»))

قال الدكتور البغا: " المراد أن القليل الذي أنفقه أحدهم أكثر ثوابا من الكثير الذي ينفقه غيرهم وسبب ذلك أن إنفاقهم كان مع الحاجة إليه لضيق حالهم ولأنه كان في نصرته صلى الله عليه وسلم وحمايته غالبا ومثل إنفاقهم في مزيد الفضل وكثير الأجر باقي أعمالهم من جهاد وغيره لأنهم الرعيل الأول الذي شق طريق الحق والهداية والخير فكان لهم فضل السبق الذي لا يدانيه فضل إلى جانب شرف صحبتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلهم نفوسهم وأرواحهم رخيصة دفاعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصره لدينه".

وقال ابن النجار في "شرح الكوكب المنير" (٢/ ٤٧٤): "وهذا وإن ورد على سبب خاص – وهو أنه كان بين خالد بن الوليد وعبدالرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك–، فالعبرة بعموم اللفظ، ولا يضرنا كون الخطاب بذلك للصحابة؛ لأن المعنى: لا يسب غير أصحابي أصحابي، ولا يسب أصحابي بعضهم بعضا".

والحديث ورد مفسرا عند أحمد عن أنس، قال: كان بين خالد بن الوليد، وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال خالد لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها، فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: " دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أنفقتم مثل أحد – أو مثل الجبال – ذهبا، ما بلغتم أعمالهم ".

قال شيخ الإسلام في "الصارم المسلول": (فإن قيل: فلم نهى خالدا عن أن يسب أصحابه إذ كان من أصحابه أيضا؟ وقال: ((لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)) قلنا: لأن عبد الرحمن بن عوف ونظراءه هم من السابقين الأولين الذين صحبوه في وقت كان خالد وأمثاله يعادونه فيه، وأنفقوا أموالهم قبل الفتح وقاتلوا وهم أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا، وكلا وعد الله الحسنى، فقد انفردوا من الصحبة بما لم يشركهم فيه خالد ونظراؤه ممن أسلم بعد الفتح الذي هو صلح الحديبية وقاتل، فنهى أن يسب أولئك الذين صحبوه قبله، ومن لم يصحبه قط نسبته إلى من صحبه كنسبة خالد إلى السابقين وأبعد...".

<u>ومن الأدلة على تحريم سب الصحابة:</u>

روى الحافظ الطبراني بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)).

وروى أيضا: بإسناده إلى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لعن الله من سب أصحابي)).

((فمن أصول أهل السنة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن متطلبات عدم الإساءة إليهم وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم بعد قتل عثمان رضي الله عنه. ويجب الاعتقاد أن الصحابة مجتهدون في كل ما اتخذوه من مواقف، إن أصاب أحدهم فله أجران، أجر على اجتهاده وأجر على إصابته، وإن أخطأ فله أجر الاجتهاد، والخطأ مغفور، ولا يقول أهل السنة: إنهم معصومون، بل مجتهدون، إما مصيبون وإما مخطئون، لم يتعمدوا الخطأ في ذلك.

فيجب على المسلم أن يعتقد أن محبة الصحابة دين وإيمان، وأن محبتهم من محبة الله ورسوله، ويجب أن يحرص المسلمون على التعريف بحقوق الصحابة وفضائلهم للناس)).

قال الشيخ حافظ حكمي في "معارج القبول" (٣/ ١٢٠٨): "أجمع أهل السنة والجماعة الذين هم أهل الحل والعقد الذين يعتد بإجماعهم على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم بعد قتل عثمان رضي الله عنه والاسترجاع على تلك المصائب التي أصيبت بها هذه الأمة والاستغفار للقتلى من الطرفين والترحم عليهم وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر مناقبهم عملا بقول الله عز وجل: {والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان} [الحشر: ١٠] الآية واعتقاد أن الكل منهم مجتهد إن أصاب فله أجران: أجر على اجتهاده وأجر على إصابته وإن أخطأ فله أجر الاجتهاد والخطأ مغفور ولا نقول: إنهم معصومون بل مجتهدون إما مصيبون وإما مخطئون لم يتعمدوا الخطأ في ذلك وما روي من الأحاديث في مساويهم الكثير منه مكذوب ومنه ما قد زيد فيه أو نقص منه وغير عن وجهه والصحيح منه هم فيه معذورون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معتقد أهل السنة: وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم".

((ثانياً: آل البيت:

هم آل بيت النبي – صلى الله عليه وسلم – الذين حرمت عليهم الصدقة، وهم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس، ويدخل فيهم أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – وبناته)).

اختلف العلماء في المراد بالآل على أقوال كثيرة ذكرها ابن القيم في جلاء الأفهام (ص/ ٢١٠)، وما بعدها، وغيره، وأقوى الأقوال عندى ما رجحه الشيخ: عبد المحسن ابن حمد العباد البدر في رسالته: "فضلُ أهل البيت وعلوُّ مكانتِهم عند أهل السُّنَّة والجماعة"حيث قال: [القولُ الصحيحُ في المرادِ بآل بيت النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – هم مَن تَحرُم عليهم الصَّدقةُ، وهم أزواجُه وذريَّتُه، وكلُّ مسلمٍ ومسلمةٍ من نَسْل عبدالمطلب، وهم بنُو هاشِم بن

عبد مَناف؛ قال ابن حزم في "جمهرة أنساب العرب" (ص:١٤): ((وُلِد لهاشم بن عبد مناف: شيبةُ، وهو عبد المطلب، وفيه العمود والشَّرف، ولَم يبْقَ لهاشم عَقِبٌ إلاَّ مِن عبدالمطلب فقط))[٨]. [٢]

ويدلُّ لدخول بنِي أعمامه في أهل بيته ما أخرجه مسلم في صحيحه) عن عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب أنَّه ذهب هو والفضل بن عباس إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يطلبان منه أن يُولِّيهما على الصَّدقةِ ليُصيبَا مِن المال ما يتزوَّجان به، فقال لهما – صلى الله عليه وسلم –: ((إنَّ الصَّدقة لا تنبغي لآل محمد؛ إنَّما هي أوساخُ الناس))، ثمَّ أمر بتزويجهما وإصداقهما من الخمس.

وقد ألْحَق بعضُ أهل العلم منهم الشافعي وأحمد بنِي المطلب بن عبد مَناف ببَنِي هاشم في تحريم الصَّدقة عليهم؛ لمشاركتِهم إيَّاهم في إعطائهم من خمس الخُمس؛ وذلك للحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن جُبير بن مُطعم، الذي فيه أنَّ إعطاءَ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – لبَنِي هاشم وبني المطلب دون إخوانِهم من بنِي عبد شمس ونوفل؛ لكون بنِي هاشم وبَنِي المطلب شيئاً واحداً.

فأمَّا دخول أزواجه رضي الله عنهنَّ في آلِه – صلى الله عليه وسلم –، فيدلُّ لذلك قول الله عزَّ وجلَّ: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِن ءَايَاتِ اللهِ وَالحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا}.

فإنَّ هذه الآيَةَ تدلُّ على دخولِهنَّ حتماً؛ لأنَّ سياقَ الآيات قبلها وبعدها خطابٌ لهنَّ، ولا يُنافي ذلك ما جاء في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: ((خرج النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – غداةً وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل من شَعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثمَّ جاء الحُسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمةُ فأدخلها، ثمَّ جاء عليٌّ فأدخله، ثمَّ قال: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}))؛ لأنَّ الآيَةَ دالَّةٌ على دخولِهنَّ؛ لكون الخطابِ في الآيات لهنَّ، ودخولُ عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم في الآيةِ دلَّت عليه السُّنَّةُ في هذا الحديث، وتخصيصُ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – لهؤلاء الأربعة رضي الله عنهم في هذا الحديث لا يدلُّ على قَصْرِ أهل بيته عليهم دون القرابات الأخرى، وإنَّما يدلُّ على أنَّهم مِن أخصِّ أقاربه...

وزوجاتُه – صلى الله عليه وسلم – داخلاتٌ تحت لفظ ((الآل))؛ لقوله – صلى الله عليه وسلم –: ((إنَّ الصَّدقةَ لا تَحِلُّ لمحمَّدٍ ولا لآل محمَّد))، ويدلُّ لذلك أنَّهنَّ يُعطَيْن من الخُمس، وأيضاً ما رواه ابن أبي شيبة في مصنّفه بإسنادٍ صحيح عن ابن أبي مُلَيكة: ((أنَّ خالد بنَ سعيد بعث إلى عائشةَ ببقرةٍ من الصَّدقةِ فردَّتْها، وقالت: إنَّا آلَ محمَّدٍ – صلى الله عليه وسلم – لا تَحِلُّ لنا الصَّدقة)).

---

٢٨) وانظر عَقِبَ عبدالمطلب في: جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص:١٤ ـ ١٥)، والتبيين في أنساب القرشيّين لابن قدامة (ص:٧٦)، ومنهاج السنة لابن تيمية (٣٠٤/٧ ـ ٣٠٥)، وفتح الباري لابن حجر (٧٨/٧ ـ ٧٩).

ومِمَّا ذكره ابن القيِّم في كتابه ((جلاء الأفهام)) (ص:٣٣١ ـ ٣٣٣) للاحتجاج للقائلِين بدخول أزواجه – صلى الله عليه وسلم – في آل بيته قوله: ((قال هؤلاء: وإنَّما دخل الأزواجُ في الآل وخصوصاً أزواجُ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – تشبيهاً لذلك بالنَّسَب؛ لأنَّ اتِّصالَهُنَّ بالنَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – غيرُ مرتفع، وهنَّ محرَّماتٌ على غيرِه في حياتِه وبعد مَمَاتِه، وهنَّ زوجاتُه في الدنيا والآخرة، فالسَّببُ الذي لهنَّ بالنَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قائمٌ مقامَ النَّسَب، وقد نصَّ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – على الصلاةِ عليهنَّ، ولهذا كان القولُ الصحيح ـ وهو منصوص الإمام أحمد رحمه الله ـ أنَّ الصَّدقةَ تحرُمُ عليهنَّ؛ لأنَّها أوساخُ الناسِ، وقد صان اللهُ سبحانه ذلك الجَنَابَ الرَّفيع، وآلَه مِن كلِّ أوساخِ بَنِي آدَم.

ويا لله العجب! كيف يدخلُ أزواجُه في قوله – صلى الله عليه وسلم –: (اللَّهمَّ اجعل رزقَ آل محمَّد قوتاً)، وقوله في الأضحية: (اللَّهمَّ هذا عن محمد وآل محمد)، وفي قول عائشة رضي الله عنه: (ما شبع آلُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من خُبز بُرٍّ)، وفي قول المصلِّي: (اللَّهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد)، ولا يَدخُلْنَ في قوله: (إنَّ الصَّدقة لا تَحلُّ لمحمَّد ولا لآل محمَّد)، مع كونِها من أوساخِ الناس، فأزواجُ رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – أولى بالصِّيانةِ عنها والبُعدِ منها؟!

فإن قيل: لو كانت الصَّدقةُ حراماً عليهنَّ لَحَرُمت على مواليهنَّ، كما أنَّها لَمَّا حرُمت على بَنِي هاشِم حرُمَت على مواليِهم، وقد ثبت في الصحيح أنَّ بريرةَ تُصُدِّق عليها بلَحمٍ فأكلته، ولَم يُحرِّمه النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم –، وهي مولاةٌ لعائشة رضي الله عنها.

قيل: هذا هو شبهةُ مَن أباحَها لأزواج النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم –.

وجوابُ هذه الشُّبهةِ أنَّ تحريمَ الصَّدقةِ على أزواجِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – ليس بطريق الأصالةِ، وإنَّما هو تَبَعٌ لتَحريمها عليه – صلى الله عليه وسلم –، وإلاَّ فالصَّدقةُ حلالٌ لهنَّ قبل اتِّصالِهنَّ به، فهنَّ فرعٌ في هذا التحريمِ، والتحريمُ على المولَى فرعُ التَّحريمِ على سيِّدِه، فلمَّا كان التَّحريمُ على بَنِي هاشِم أصلاً استتبَع ذلك مواليهم، ولَمَّا كان التَّحريمُ على أزواجِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – تَبَعاً لَم يَقْوَ ذلك على استِتْبَاعِ مواليهنَّ؛ لأنَّه فرعٌ عن فرعٍ.

قالوا: وقد قال الله تعالى: {يَا نِسَآءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ} وساق الآيات إلى قوله تعالى: {وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِن ءَايَاتِ اللهِ وَالحِكْمَةِ}، ثم قال: فدخَلْنَ في أهل البيت؛ لأنَّ هذا الخطابَ كلَّه في سياق ذِكرهنَّ، فلا يجوز إخراجُهنَّ مِن شيءٍ منه، والله أعلم)).

ويدلُّ على تحريم الصَّدقة على موالِي بَنِي هاشِم ما رواه أبو داود في سننه والترمذي، والنسائي بإسنادٍ صحيح ـ واللفظ لأبي داود ـ عن أبي رافع: ((أنَّ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – بعث رجلاً على الصَّدقة مِن بَنِي مخزوم، فقال لأبي رافع: اصْحَبنِي فإنَّك تُصيبُ منها، قال: حتى آتِي رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – فأسأله، فأتاه فسأله، فقال: مولَى القوم مِن أنفسِهم، وإنَّا لا تَحِلُّ لنا الصَّدقة)).][٢٩].

---

٢٩) وانظر أيضاً جلاء الأفهام (ص/٢١٠) وما بعدها، ومقالة: " آلُ البَيْتِ" للشيخ: عثمان الخميس.

((وأهل السنة يحبون أهل بيت النبي – صلى الله عليه وسلم –، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، حيث قال: «أذكركم الله في أهل بيتي»))[30].

من الأدلة على فضائل آل البيت:

قوله تعالى: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا [الأحزاب: ٣٣].

ما روى الترمذي بسنده أن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قلت: ((يا رسول الله إن قريشا جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة من الأرض؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت، فجعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا)).

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن أبي عمار شداد أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم)).

((أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي ...)).

((فأهل السنة يحبونهم ويكرمونهم؛ لأن ذلك من محبة النبي – صلى الله عليه وسلم – وإكرامه))

مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في آل البيت:

١ – أهل السنة يوجبون محبة أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ويجعلون ذلك من محبة النبي عليه الصلاة والسلام، ويتولونهم جميعا، لا كالرافضة الذين يتولون البعض، ويفسقون البعض الآخر .

٢ – أهل السنة يعرفون ما يجب لهم من الحقوق؛ فإن الله جعل لهم حقا في الخمس والفيء، وأمر بالصلاة عليهم تبعا للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

٣ – أهل السنة يتبرؤون من طريقة النواصب الجافين لأهل البيت والروافض الغالين فيهم.

٤ – أهل السنة يتولون أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ويترضون عنهن، ويعرفون لهن حقوقهن، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة .

٥ – أهل السنة لا يخرجون في وصف آل البيت عن المشروع، فلا يغالون في أوصافهم، ولا يعتقدون عصمتهم، بل يعتقدون أنهم بشر تقع منهم الذنوب كما تقع من غيرهم.

٦ – أهل السنة يعتقدون أن أهل البيت ليس فيهم مغفور الذنب، بل فيهم البر والفاجر، والصالح والطالح.

٧ – أهل السنة يعتقدون أن القول بفضيلة أهل البيت لا يعني تفضيلهم في جميع الأحوال، وعلى كل الأشخاص، بل قد يوجد من غيرهم من هو أفضل منهم لاعتبارات أخرى".

---

[30] انظر "الموسوعة العقدية".

حقوق آل البيت:

الدفاع عنهم:

من عقيدة أهل السنة والجماعة في آل البيت تحريم إيذائهم أو الإساءة إليهم بقول أو فعل، فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: ((أنه اشتكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن بعض قريش يجفو بني هاشم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي)).

ومنها: حق تبرئة ساحتهم مما ينسب إليهم كذبا وزورا، وهذا من المطالب العالية.

فإن الدفاع عنهم لا يعني مجرد الرد على من يسبهم وتعزيره وتأديبه، بل يشمل ذلك، ويشمل الرد على من غلا فيهم، وأنزلهم فوق منزلتهم؛ فإن ذلك يؤذيهم.

الصلاة عليهم:

ومنها: مشروعية الصلاة عليهم، وذلك عقب الأذان، وفي التشهد آخر الصلاة، وعند الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

حقهم في الخمس: ففي الخمس سهم خاص بذي القربى، وهو ثابت لهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو قول جمهور العلماء.

تحريم الصدقة عليهم:

ومن هذه الحقوق: تحريم الزكاة والصدقة عليهم؛ وذلك لكرامتهم وتنزيههم عن الأوساخ؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد)).

((وذلك بشرط أن يكونوا متبعين للسنة مستقيمين على الملة، كما كان عليه سلفهم، كعلي والعباس وأبنائهم، وأما من خالف السنة ولم يستقم على الدين، فإنه لا تجوز موالاته ولو كان من أهل البيت.

فموقف أهل السنة من أهل البيت موقف الاعتدال والإنصاف، يتولون أهل الدين والاستقامة منهم، ويتبرؤون ممن خالف السنة وانحرف عن الدين، ولو كان من أهل البيت، فإن كونه من أهل البيت ومن قرابة الرسول لا ينفعه شيئاَ، حتى يستقيم على دين الملة، قال – صلى الله عليه وسلم –: «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً» وقال أيضاً: «من بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه».

ويتبرأ أهل السنة من طريقة الروافض الذين يغلون في بعض أهل البيت ويدعون لهم العصمة، ومن طريقة النواصب الذين يناصبون أهل البيت العداء، ومن طريقة المبتدعة والخرافين الذين يتوسلون بأهل البيت ويتخذونهم أرباباً من دون الله.

فأهل السنة على المنهج المعتدل والصراط المستقيم الذي لا إفراط فيه ولا تفريط)).

شروط استحقاق آل البيت حقوقهم:

الشرط الأول: أن يكونوا مؤمنين مستقيمين على الملة.

فإن كانوا كفارا فلا حق لهم في الحب والتعظيم والإكرام والولاية، ولو كانوا من أقرب الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم كعمه أبي لهب.

الشرط الثاني: أن يكونوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة.

فإن فارقوا السنة، وتركوا الجادة، وخالفوا هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وتلبسوا بالبدع والمحدثات؛ فإنه ليس لهم حق في الحب والتعظيم والإكرام والولاية، حتى يرجعوا إلى السنة، ويتمسكوا بها. والواجب في هذه الحالة دعوتهم إلى العودة إلى الكتاب والسنة، ونبذ ما سواهما من الأهواء والبدع، وأن يكونوا على ما كان عليه سلفهم، كعلي رضي الله عنه وسائر بنيه، والعباس رضي الله عنه وأولاده.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عند تفسير سورة تبت: (وليس في القرآن ذم من كفر به صلى الله عليه وسلم باسمه إلا هذا وامرأته -يعني أبا لهب- ففيه أن الأنساب لا عبرة لها، بل صاحب الشرف يكون ذمه على تخلفه عن الواجب أعظم، وكما قال تعالى: {يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب} [الأحزاب: ٣٠]).

الشرط الثالث: ثبوت النسب:

أشرف الأنساب نسب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأشرف انتساب ما كان إليه صلى الله عليه وسلم وإلى أهل بيته إذا كان الانتساب صحيحا، وقد كثر في العرب والعجم الانتماء إلى هذا النسب، فمن كان من أهل هذا البيت وهو مؤمن، فقد جمع الله له بين شرف الإيمان وشرف النسب، ومن ادعى هذا النسب الشريف وهو ليس من أهله فقد ارتكب أمرا محرما، وهو متشبع بما لم يعط، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور)) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقد جاء في الأحاديث الصحيحة تحريم انتساب المرء إلى غير نسبه، ومما ورد في ذلك حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر بالله، ومن ادعى قوما ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار))، رواه البخاري، ومسلم، واللفظ للبخاري...

((ثالثاً: المذاهب المعاصرة[٣١] (أهدافه، ومجالاته، وسائله، أساليبه).

تعريف المذاهب:

المذاهب جمع مذهب، وهو الطريقة والمعتقد الذي يذهب إليه الإنسان وتشمل المذاهب أيضاً الأفكار الإنسانية وإن كانت مستقاة من الدين وفي الاصطلاح: مجموعة الآراء والأفكار التي يراها أو يعتقدها الإنسان حول جانب آخر أو أكثر من حياته العلمية أو العملية في الاعتقاد أو النظام أو السلوك)) سواء أكان ما يذهب إليه صوابا في

---

(٣١) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة لغالب عواجي، موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الأديان والمذاهب مناهج جامعة المدينة العالمية.

نفس الأمر أو كان خطأ.

وقيل لها مذاهب فكرية:

نسبة إلى الفكر الذي تميز به الإنسان عن بقية المخلوقات التي تشاركه الوجود في الأرض، ويعرفه بأنه صنعة العقل الإنساني ومسرح نشاطه الذهني وعطاؤه الفكري فيما يعرض له من قضايا الوجود والحياة سواء أكان صوابا أو خطأ.

وقد نسبت المذاهب إلى الفكر؛ لأنها جاءت من ذلك المصدر وهو الفكر أي أنها لم تستند في وجودها على الوحي الإلهي أصلا أو استعانت به وبما توصل إليه الفكر من نتائج جاءته إما عن طريق الوحي أو التجارب أو أقوال من سبق أو أفعالهم، وقد تكون تلك النتائج صحيحة وقد تكون خاطئة في نفس الأمر.

وأما بالنسبة لاستنادها إلى الوحي فقد لا يكون ذلك بل ربما كانت تلك الأفكار محاربة له فتنسب إلى مؤسسيها فيقال الفكر الماركسي أو الفكر الفلسفي اليوناني أو الفكر الصوفي أو غير ذلك من الأفكار التي تنسب إما لشخصيات مؤسسيها أو لبلدانهم أو لاتجاهاتهم وغير ذلك. ومن هنا يتضح أنه إذا أطلق لفظ الفكر فإن المراد به هو ما يصدر عن العقل من شتى المفاهيم والمبتكرات الدينية أو الدنيوية.

ومن هنا سميت مذاهب فكرية نسبة إلى المذهب الذي تنسب إليه كل طائفة ونسبة كذلك إلى أفكارها التي تعتنقها مبتكرة لها أو مقلدة.

((والفرق بين الدين والمذهب، أن الدين أشمل من المذهب وأوسع مفهوماً؛ لأن الدين يشتمل على اعتقاد الإنسان حول الخالق والمخلوقات وأمور الغيب والآخرة، أما المذهب فيكون في بعض هذه الأمور، أو مسائل منها، وقد يكون في أمور الحياة فقط)).

الدين يعتمد في الأساس على الوحي بينما المذاهب الفكرية قد لا تكون كذلك بل ربما كانت تلك الأفكار محاربة للوحي فهي إذا أطلقت فإن المراد بها هو ما يصدر عن العقل من شتى المفاهيم والمبتكرات الدينية أو الدنيوية..

الدين ينسب لله عز وجل بينما المذاهب الفكرية تنسب لفكر مؤسسيها أو بلدانهم أو اتجاهاتهم وغير ذلك .

الدين لا يكون إلا صوابا، بينما المذاهب الفكرية تحتمل الصواب والخطأ.

((وتأتي أهمية دراسة هذه المادة من خطورة تلك المذاهب والاتجاهات المنحرفة الهدامة على المسلمين وعلى البشرية أجمع، ولأن المسلم وخصوصاً طالب العلم يجب أن يكون على جانب كبير من الإدراك واليقظة والاهتمام بأمر دينه وأمته، وعلى علم وبصيرة بما يدور حوله من الآراء والاتجاهات الضالة التي تعصف بالمسلمين وبالبشرية جمعاء، ليكون خير داع إلى الهدى وخير منقذ من الضلالة.

فالصراع بين الحق والباطل سنة الله في خلقه، والحق لا ينصره إلا من يعرف الخير ويعمل به ويدعو إليه، ويعرف الشر ويجتنبه ويحذر منه.

والمسلمون في هذا العصر تكالبت وتداعت عليهم الأمم والشعوب من كل صوب، وغزاهم أعداؤهم بالسلاح والكفر والفساد والبدع، وما ذلك إلا لأنهم تساهلوا في دينهم وضعف تمسكهم بعقيدتهم وشريعتهم وأخلاقهم.

ولن يتحقق لهم العز والنصر إلا بمعرفة دينهم والتمسك به، ثم معرفة عدوهم ومكائده وأساليبه.

ومن أخطر ما عمله أعداء الإسلام نشر الأفكار والاتجاهات والمذاهب الباطلة بين المسلمين، وهذا ما يجب أن يعرفه كل مسلم فضلاً عن طالب العلم.

ومن هنا ندرك أهمية وضرورة دراسة تلك المذاهب وبيان خطرها على المسلمين وعلى البشرية كلها)).

بعض الآثار السيئة للمذاهب الفكرية:

عدم تطبيق الشريعة الإسلامية.

إن أكبر رزية حلت ببعض المجتمعات الإسلامية وبغيرها هو إقصاء الشريعة الإسلامية، أو التهاون في تطبيقها، أو الاحتيال لتمييع أحكامها عمدا أو تحت مبررات شخصية كثيرة، سواء أكانت صادقة أم كاذبة.

انتشار فساد الأخلاق والقيم.

لقد رزء العالم الغربي والشرقي من تبعهم في أعز ما يجب الحفاظ عليه في السلوك وهي القيم والأخلاق الطيبة التي ميز الله بها الإنسان عن الحيوانات، لقد كانت البشرية – فيما عرف من تاريخهم – في غاية الحفاظ على التمسك بالأخلاق والحشمة والحياء بل منذ أن طفق آدم وحواء عليهما السلام يخصفان عليهما من ورق الجنة والتمسك بالأخلاق الحسنة والبعد عن سيئها فطرة في النفوس حتى إذا اجتالت الشياطين من اجتالته من حثالة البشر فإذا بالأمر ينعكس تماما بعد أن انتكست أخلاقهم وفسدت فطرهم وتردوا في مهاوي الضلال وتنكروا للفضيلة بل رأوها عارا وتخلفا ورأوا الثياب التي هي زينة للإنسان كالريش للطائر، رأوها تأخرا، فنبذوها في مجامع عامة تسمى نوادي العراة حيث وصلوا فيها إلى ما لا تصل إليه الحيوانات، وصدق قول الله تعالى عليهم: أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ [الأعراف:١٧٩].

لقد تمالأ الشرق والغرب كلهم بقيادة اليهودية العالمية على إفساد أخلاق المسلمين ونشر الرذائل بينهم بكل وسيلة، وما أكثر تلك الوسائل التي دخلت كل بيت – إلا من رحم الله – امتلأت بها البيوت والأسواق والواجهات، فلا ترى أمامك ولا عن يمينك ولا عن يسارك إلا دعوة فاجرة وصورة ماجنة وفحشا ورذائل في تخطيط دقيق ودعايات براقة وزخرف من القول، نادوا بأن ترك المرأة لباس الحشمة وخروجها شبه عارية أو عارية هو التقدم بعينه والرقي الحضاري .. وانتشرت محلات الخمور التي تزكم الأنوف تحت حماية القوانين الوضعية .. وانتشر الزنا بصورة تتنزه عنها الحيوانات، وظهر عالم من الأولاد غير الشرعيين، وبنيت بيوت الدعارة علنا وتحت حماية القانون .. وانتشر الربا وعاد الناس إلى تطبيق العقيدة الجاهلية الأولى فيه حيث كانوا يقولون إنما البيع مثل الربا، فقامت البنوك الربوية الشاهقة البناء ونشطت الشركات في ابتلاع أموال الناس تحت مسميات مختلفة خادعة ودعايات براقة .. ودخل رفض الدين وتركه تحت تسمية " حرية الأديان " أو "حرية التدين"، ودخلت قلة الحياء ونبذ الحشمة تحت تسمية " التقدم" وترك الماضي، ودخلت أشياء وأشياء كثيرة لا تحصى تحت تسميات كاذبة وعناوين خادعة...

نشر الفساد عن طريق استخدام النساء:

انطلق أعداء الإسلام إلى هدم الإسلام عن طرق كثيرة، من أبرزها حربه عن طريق النساء مستخدمين وسائل لا تكاد تحصر ومن أهمها:

قتل الاحتشام عن طريق إغراء الفتيات بشتى الأزياء الفاجرة ثم عن طريق موضة أنواع الماكياجات التي ستعود أثمانها كلها إلى البنوك اليهودية الربوية.

التركيز الجاد من قبل أعداء الإسلام على انتشار الاختلاط بين الجنسين وسفور المرأة، وتم لهم هذا، وكانت له نتائج وخيمة، الأمر الذي أدى إلى هدم الأخلاق والآداب الإسلامية بسبب ضعف الوازع الديني، والدعاية القوية العارمة لتهوين أمر الفاحشة ونبذ الحجاب، فالتهبت الغرائز الجنسية وعرضت الصور الماجنة في كل وسيلة إعلامية يصدق بعضها بعضا.

التفكك الاجتماعي والضعف الحاصل في أوضاع المسلمين:

هذا الواقع المرير الذي تعيشه الأمة الإسلامية اليوم من الذل والهوان والتمزق والانكسار أمام أعداء الإسلام ما هو إلا نتيجة للتفكك المقيت الذي حل بالمسلمين نتيجة عدم قبضهم على دينهم بجد وإخلاص، وليس هذا فحسب بل قد ظهر هذا التفكك في جوانب مختلفة في حياة المسلمين، من اجتماعية واقتصادية وسياسية.

((وتتلخص الأهداف العامة التي من أجلها يدرس الطلاب المذاهب المعاصرة في الآتي:

١ . تعريف الطالب بالجماعات الدعوية التي قامت في العصر الحديث)).

كل من سعى لإقامة الدين ونشره والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ونشر السنة وتثقيف الأمة، فهو على خير وصلاح، وكل جماعة التزمت منهج أهل السنة والجماعة، وسعت لتحقيق تلك الأهداف فهي على خير وهدى.

وأما الجماعات الدعوية القائمة في هذا العصر فليعلم أن فيها الصواب والخطأ والحق والباطل، حسب قربها وبعدها عن منهج أهل السنة والجماعة. ولا بأس بتعدد هذه الجماعات حسب اختلاف البيئات وتعدد الاختصاصات، ما دامت في إطار أهل السنة والجماعة قولا وعملا، وما لم يؤد ذلك إلى الفرقة والاختلاف، والتحزب المذموم، والعصبية بغير الحق.

قال الشيخ عبد المنعم الشحات في "تبصير الداعي بمشروعية العمل الجماعي": "نقصد بالعمل الجماعي الذي نرى مشروعيته هو: نعاون المسلمين فيما بينهم للقيام بما يستطيعون من فروض الكفاية، وعلى الوجه المخصوص متى لم يكن هناك إمام، أو كان إمام مقصر في القيام بفروض الكفايات، وإلا فإن المسألة مفروضة حال قيام الإمام وكفايته وعدم تقصيره".

وسوف نعرض لأهم المآخذ المأخوذة على أشهر هذه الدعوات:

الإخوان المسلمون:

هي إحدى الحركات الإسلامية المعاصرة التي نادت بالرجوع إلى الإسلام، وإلى تطبيق الشريعة الإسلامية في واقع الحياة، وقد وقفت متصدية لسياسة فصل الدين عن الدولة ومنابذة موجة المد العلماني في المنطقة العربية والعالم الإسلامي.

مآخذ على جماعة الإخوان:

• إن المآخذ على جماعة الإخوان المسلمين لم تقتصر على المواقف السياسية. بل وجه لها النقد في بعض الجوانب العقائدية والمنهجية وأقوال الأتباع: فمن الناحية العقائدية أخذ على البنا قوله في مجال تعداد صفات الحركة الشمولية "وحقيقة صوفية". والتصوف – كما هو معلوم – مخالف لمنهج أهل السنة. ولعل الشيخ رحمه الله قد تأثر بنشأته الأولى مع الطريقة الحصافية، أو أنه أراد (تقريب) أهل التصوف للجماعة. وهذا مسلك خاطئ؛ لأنه يستحيل جمع الحق بالباطل إلا بالتنازل والمداهنة.

كما أخذ على البنا موقفة التفويضي في مجال الأسماء والصفات واعتبار البدعة الإضافية خلافًا فقهيًا .

كما أن الجماعة لاتعنى كثيرًا بنشر عقيدة السلف والدعوة إلى التوحيد الخالص، والتحذير من البدع والشركيات المنتشرة؛ سواء في مصر منشأ الجماعة أو غيرها؛ مما جعلها تهتم (بالتجميع) على حساب التصفية، وبالكم لا الكيف.

• وقد أخذ على بعض أتباع الحركة الغلو في إعجابهم بالشيخ حسن البنا. كما صدرت عن بعضهم (التلمساني وسعيد حوى) عدد من الأقوال التي لا يجيزها الإسلام.

الصوفية:

التصوُّف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعاتٍ فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري. ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرق مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخّى المتصوفة تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة لا عن طريق إتباع الوسائل الشرعية، ولذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية : الهندية والفارسية واليونانية المختلفة. ويلاحظ أن هناك فروقاً جوهرية بين مفهومي الزهد والتصوف أهمها: أن الزهد مأمور به، والتصوف جنوح عن طريق الحق الذي اختطَّه أهل السنة والجماعة.

تجاوزات بعض المنتسبين إلى الصوفية في الوقت الحاضر :

ـ من أبرز المظاهر الشركية التي تؤخذ على الصوفية ما يلي:

١ ـ الغلو في الرسول.

٢ ـ الحلول والاتحاد .

٣ ـ وحدة الوجود.

٤ـ الغلو في الأولياء.

٥ـ الادعاءات الكثيرة الكاذبة، كادعائهم عدم انقطاع الوحي وما لهم من المميزات في الدنيا والآخرة.

٦ـ ادعاؤهم الانشغال بذكر الله عن التعاون لتحكيم شرع الله والجهاد في سبيله، مع ما كان لقلة منهم من مواقف طيبة ضد الاستعمار.

٧ـ كثيراً ما يتساهل بعض المحسوبين على التصوف في التزام أحكام الشرع.

٨ـ طاعة المشايخ والخضوع لهم، والاعتراف بذنوبهم بين أيديهم، والتمسح بأضرحتهم بعد مماتهم.

٩ـ تجاوزات كثيرة ما أنزل الله بها من سلطان، في هيئة ما يسمونه الذكر، وهو هزّ البدن والتمايل يميناً وشمالاً، وذكر كلمة الله في كل مرة مجرَّدة، والادعاء بأن المشايخ مكشوفٌ عن بصيرتهم، ويتوسلون بهم لقضاء حوائجهم، ودعاؤهم بمقامهم عند الله في حياتهم وبعد مماتهم.

جماعة التبليغ والدعوة:

جماعة التبليغ جماعة إسلامية أقرب ما تكون إلى جماعة وعظ وإرشاد منها إلى جماعة منظمة. تقوم دعوتها على تبليغ فضائل الإسلام لكل من تستطيع الوصول إليه، ملزمةً أتباعها بأن يقتطع كل واحد منهم جزءً من وقته لتبليغ الدعوة ونشرها بعيداً عن التشكيلات الحزبية والقضايا السياسية، ويلجأ أعضاؤها إلى الخروج للدعوة ومخالطة المسلمين في مساجدهم ودورهم ومتاجرهم ونواديهم، وإلقاء المواعظ والدروس والترغيب في الخروج معهم للدعوة. وينصحون بعدم الدخول في جدل مع المسلمين أو خصومات مع الحكومات.

• المآخذ عليهم:

ـ من أهم المآخذ عليهم هو ان وسيلتهم في الدعوة إلى الله مبتدعة لم يفعلها النبي ولا صحابته، ولا يقال إنها وسيلة للتنظيم؛ لأنها وسيلة وعبادة كالوضوء للصلاة هو وسيلة وعبادة أيضا.

-أنهم لا يهتمون ببيان ونشر عقيدة السلف والتوحيد الخالص بين أتباعهم؛ بل يكتفون بالكلام على توحيد الربوبية فقط دون الإلوهية فهم لا يُنكرون الشركيات والبدع التي تعج بها بلاد المسلمين؛ لاسيما الهند والباكستان منشأ الجماعة.

- ـ تأثروا بالطرق الصوفية المنتشرة في بلاد الهند، وعليه فإنه تنطبق عليهم جملة من الأمور التي يتصف بها المتصوفة من مثل:

ـ لابد لكل مريد من شيخ يبايعه، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية .

- ـ لا يتكلمون في السياسة، وينهون أفراد جماعتهم عن الخوض في مشاكلها، وينتقدون كل من يتدخل فيها، ويقولون بأن السياسة هي أن تترك السياسة. ولا يتكلمون في الخلافات الفقهية ويعتبرونها تفرق الأمة.

ـ أنهم يتوسعون توسعاً أفقياً كميًّا لا نوعيًّا إذ أن تحقيق التفوق النوعي يحتاج إلى رعاية ومتابعة وهذا ما تفتقده هذه الدعوة، ذلك؛ لأن الشخص الذي يدعونه اليوم قد لا يلتقون به مرة أخرى، وقد يعود إلى ما كان عليه تحت تأثير مغريات الحياة وفتنها. ولذلك فإن تأثيرهم لا يدوم طويلاً أمام التيار المادي الجارف؛ إذ لا بد لمن غرس غرسة أن يتعهدها.

ـ يؤولون أحاديث الجهاد على "الخروج" مما يكاد ينسي الجهاد في سبيل الله، كما يتساهلون كثيراً في رواية الأحاديث الضعيفة مع الإكثار من ذكر الكرامات التي تحصل لأتباعهم ولغيرهم من الصالحين.

ـ تأثيرهم يكاد يكون معدوماً على رواد المساجد من المسلمين الذين يحملون أفكاراً وإيديولوجيات معينة.

– جماعة التكفير والهجرة:

جماعة المسلمين كما سمت نفسها، أو جماعة التكفير والهجرة كما أطلق عليها إعلامياً، هي جماعة إسلامية غالية نهجت نهج الخوارج في التكفير بالمعصية، نشأت داخل السجون المصرية في بادئ الأمر، وبعد إطلاق سراح أفرادها، تبلورت أفكارها، وكثر أتباعها في صعيد مصر، وبين طلبة الجامعات خاصة.

الأفكار والمعتقدات:

• إن التكفير عنصر أساسي في أفكار ومعتقدات هذه الجماعة، فهم يكفرون كل من أرتكب كبيرة وأصر عليها ولم يتب منها، وكذلك يكفرون الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله بإطلاق ودون تفصيل، ويكفرون المحكومين لأنهم رضوا بذلك وتابعوهم أيضاً بإطلاق ودون تفصيل، أما العلماء فيكفرونهم لأنهم لم يكفروا هؤلاء ولا أولئك، كما يكفرون كل من عرضوا عليه فكرهم فلم يقبله أو قبله ولم ينضم إلى جماعتهم ويبايع إمامهم. أما من انضم إلى جماعتهم ثم تركها فهو مرتد حلال الدم، وعلى ذلك فالجماعات الإسلامية إذا بلغتها دعوتهم ولم تبايع إمامهم فهي كافرة مارقة من الدين .

ـ وكل من أخذ بأقوال الأئمة أو بالإجماع حتى ولو كان إجماع الصحابة أو بالقياس أو بالمصلحة المرسلة أو بالاستحسان ونحوها فهو في نظرهم مشرك كافر.

ـ والعصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري كلها عصور كفر وجاهلية لتقديسها لصنم التقليد المعبود من دون الله تعالى فعلى المسلم أن يعرف الأحكام بأدلتها ولا يجوز لديهم التقليد في أي أمر من أمور الدين .

ـ قول الصحابي وفعله ليس بحجة ولو كان من الخلفاء الراشدين.

• والهجرة هي العنصر الثاني في فكر الجماعة، ويقصد بها العزلة عن المجتمع الجاهلي، وعندهم أن كل المجتمعات الحالية مجتمعات جاهلية. والعزلة المعنية عندهم عزلة مكانية وعزلة شعورية، بحيث تعيش الجماعة في بيئة تتحقق فيها الحياة الإسلامية الحقيقة ـ برأيهم ـ كما عاش الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام في الفترة المكية.

• قالوا بحجية الكتاب والسنة فقط ولكن كغيرهم من أصحاب البدع الذي اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه فما وافق أقوالهم من السنة قبلوه وما خالفها تحايلوا في رده أو رد دلالته.

• دعوا إلى الأمية لتأويلهم الخاطئ لحديث (نحن أمة أمية ...) فدعوا إلى ترك الكليات ومنع الانتساب للجامعات والمعاهد إسلامية أو غير إسلامية لأنها مؤسسات الطاغوت وتدخل ضمن مساجد الضرار.

• قالوا بترك صلاة الجمعة والجماعة بالمساجد؛ لأن المساجد كلها ضرار وأئمتها كفار إلا أربعة مساجد: المسجد الحرام والمسجد النبوي وقباء والمسجد الأقصى ولا يصلون فيها أيضاً إلا إذا كان الإمام منهم.

• يزعمون أن أميرهم شكري مصطفى هو مهدي هذه الأمة المنتظر وأن الله تعالى سيحقق على يد جماعته ما لم يحقق عل يد محمد صلى الله عليه وسلم من ظهور الإسلام على جميع الأديان .

ـ وعليه فإن دور الجماعة يبدأ بعد أن تدمّر الأرض بمن عليها بحرب كونية بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي تنقرض بسببها الأسلحة الحديثة كالصواريخ والطائرات وغيرها ويعود القتال كما كان في السابق رجل لرجل بالسلاح القديم من سيوف ورماح وحراب ...

• ادَّعى زعماء الجماعة أنهم بلغوا درجة الإمامة، والاجتهاد المطلق، وأن لهم أن يخالفوا الأمة كلها وما أجمعت عليه سلفاً وخلفاً.

ـ وأهم كتاب كشف عن أسرار دعوتهم وعقيدتهم هو ـ ذكريات مع جماعة المسلمين ـ التكفير والهجرة ـ لأحد أعضاء الجماعة عبد الرحمن أبو الخير الذي تركهم فيما بعد.

الجماعة الإسلامية بمصر:

هي جماعة إسلامية نشأت في الجامعات المصرية تدعو إلى الجهاد : الفريضة الغائبة عن حياة المسلمين لإقامة الدولة الإسلامية وإعادة الإسلام إلى المسلمين، ثم الانطلاق لإعادة الخلافة الإسلامية من جديد. ويطلق عليها إعلاميًّا اسم "جماعة الجهاد"، إلا أنها تختلف عن جماعات الجهاد من حيث الهيكل التنظيمي وأسلوب الدعوة والعمل بالإضافة إلى بعض الأفكار والمعتقدات.

ويؤخذ على الجماعة انشغالها بقضية الخروج على الحكام؛ دون تفريق بين مسلمهم وكافرهم، ودون إعداد العدة لمن كفر منهم؛ مما تسبب في قتل الأبرياء من المسلمين، والتضييق على الدعوة الإسلامية، وتبعثر الجهود الخيّرة. وقد تنبه قادة الجماعة أخيرًا إلى سوء عاقبة مسلكهم الأول. فلعلهم – بعد هذا – يُعنوا بالعلم الشرعي، وبنشر العقيدة الصحيحة بين العامة، وتبصيرهم بالبدع والشركيات والمخالفات؛ لتستحق الأمة بعدها النصر والتمكين؛ كما هي سنة الله.

الدعوة السلفية المعاصرة:

قال الدكتور أحمد فريد في "السَّلَفِيَةُ قَوَاعِدٌ وَأُصُوْلٌ "ما ملخصه: "السلفيون: هم الذين يعتقدون معتقد السلف الصالح رضي الله عنهم ، وينتهجون منهج السلف في فهم الكتاب والسنة.

فإن قال قائل لماذا نسمي بالسلفيين؟! ولماذا نبتدع أسماء جديدة؟! ألا يكفي اسم الإسلام {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ} (٧٨) سورة الحج.

الذي دعا إلى ظهور اسم السلفية ، أو أهل السنة والجماعة ، أو أنصار السنة ، أو أهل الحديث ، أو أهل الأثر ، ما حدث من افتراق الأمة ، ومن ظهور البدع التي أخبر عنها النبي – صلى الله عليه وسلم – كالخوارج ، والمعتزلة ، والجمهية ، والقدرية ، والصوفية ، والشيعة ، وغيرها من فرق الضلالة ، فلما تفرقت الأمة ، ولما اختلف المناهج ، واختلف الأهواء ، والآراء ، والعقائد ، كان لابد لأهل الحق أن يتميزوا باسم ، وأن يتميزوا بمنهج .

فالذين يتميزون بمنهج أهل السنة هم الذين يحافظون على معتقد الصحابة رضي الله عنهم ، ويحافظون على منهج السلف ، وفهم السلف للكتاب والسنة .

قواعد للمنهج السلفي

- تقديم النقل على العقل.

-رفض التأويل الكلامي.

بمعنى: صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر مرجوح ، فمثل هذا التأويل مردود عند السلف.

فالتأويل كان باب شر عظيم جداً للأمة ، فظاهر الكتاب والسنة يجب القول به ، والمصير إليه ، حتى يدل الدليل على أن الظاهر غير مراد.

- كثرة الاستدلال بالآيات والأحاديث ، فأهل السنة هم أسعد الناس بالكتاب والسنة

الأصول العلمية للدعوة السلفية:

أي القضايا الكلية التي تهتم بها هذه الدعوة ، وتجعلها نُصْبَ عينيها.

-قضية التوحيد أي: تعبيد الناس لله عز وجل .

فقضية التوحيد هي القضية الأولى في هذه الدعوة؛ لأنها قضية الرسل ، قضية تعبيد الناس لله عز وجل أن تعتقد أن الله عز وجل واحد ، وما ينبغي أن تتعرف به على الله عز وجل ، وما نثبته لله عز وجل من أسمائه وصفاته وربوبيته ، وكذلك إفراد الله عز وجل بكل ألوان العبادة .

ويدخل -لا شك- في قضية التوحيد الإيمانُ بالملائكة ، والرسل ، والكتب ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، فكل هذا يدخل في قضية التوحيد ، فهذه القضية الأولى عند الرسل .

- الاتباع:

والاتباع يأتي بأحد معنيين: ((الاتباع الذي هو ضد الابتداع)) .

ويأتي أيضاً بمعنى الاتباع الذي هو منزلة متوسطة بين الاجتهاد والتقليد: بأن نتبع العالم بدليله من الكتاب والسنة.

-التزكية:

ويقصد بها التنمية والتطهر. وأول التزكية عند أهل المنهج الصحيح ، أي: عند السلفيين أو أهل السنة والجماعة هو التزكية بالتوحيد؛لأن أعظم النجاسات هي نجاسة الشرك قال عز وجل: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ} (٢٨) سورة التوبة . فالنفس تزكو بالتوحيد ، وتزكو أي وتعلوا ، وتصلح وتكمل كذلك بأداء الواجبات ، والإكثار من نوافل الطاعات".

وللمنهج السلفي إيجابيات كثيرة منها:

-إحياء منهج التصفية للعقيدة من الشوائب والسنة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والعمل من البدع.

-العناية بالعلوم الشرعية.

-اختراق المد العلماني وغيره من المناهج المتطرفة.

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

كان واقع الأمة الإسلامية – قبل الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – – حافلاً بالانحرافات العقدية والسلوكية إذ قد استفحل الشرك والخرافات وظهرت المحدثات والمنكرات وغابت الفضائل و اندرست أصول الدين و انمحت معالم التوحيد و تمزّقت الأمة شيعاً و أحزاباً و استولى الخوف و الهلع و غلب الضعف الاقتصادي و الفقر الحضاري .

و قد كشف الشيخ الإمام عن هذا الواقع القاتم – في نجد – و حكى – مثلاً – أن بادية نجد يكذبون بالبعث وينكرون الشرائع و يفضّلون حكم الطاغوت على حكم الله – تعالى – كما أورد – رحمه الله – أمثلة ظاهرة وأحداثاً واقعة في بلاد نجد على ذلك الانحراف مثل اتخاذ القبور مساجد و التعلق بالأشجار و التبرك بالأحجار و الغلو في أدعياء الولاية.

فجاءت هذه الدعوة التجديدية لإحياء ما اندرس من دين الله ودعوة الناس إلى الإسلام و السنة و بيان التوحيد بكل صفاء و نقاء بعيداً عن شكوك المتكلمين و شطحات المتصوفة و التحذير من الشرك و مجانبته و سد الذرائع المفضية إليه.

و قد سطّر الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب خلاصة دعوته في رسالته إلى عبد الرحمن السويدي – أحد علماء العراق – قائلاً : " أخبرك أني و لله الحمد متبع و لست بمبتدع عقيدتي و ديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة و الجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة لكني بيّنت للناس إخلاص الدين لله و نهيتهم عن دعوة الأحياء و الأموات و عن إشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح و النذر و التوكل و السجود و غير ذلك مما هو حق لله لا يشركه فيه ملك مقرّب لا نبي مرسل وهو الذي دعت إليه الرسل أوّلهم إلى آخرهم وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة " (مجموعة مؤلفات الشيخ ٥/ ٣٦).

تنبيه:

هل يصح أن تنسب الدعوة التي أمر الله – تعالى – بها نبينا – صلى الله عليه وسلم – إلى غيره ؟ على أن نقول على سبيل المثال " دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله رحمة واسعة – " أو دعوة فلان و فلان ولا نقول دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم. –

جــ ٢٠ / الدعوة مصدر يضاف إلى الفاعل و المفعول فإذا أضيف إلى الرسول أو العالم فلأنه الداعي المبلّغ البشير و النذير و العلماء ورثة الأنبياء.. و إذا أضيف إلى الله – تعالى – فهو باعتبار أن الله – عز وجل – هو المدعو المقصود.. فالدعوة تنسب إلى الله – تعالى – كما في قوله تعالى : { لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ } الرعد ١٤ باعتبار أن الله – تعالى – هو الحق فمن دعاه دعا الحقَ – تعالى – فهو – عز وجل – المدعو المطلوب المراد و تنسب إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – باعتباره المبلّغ لهذا الوحي والقدوة للناس جميعاً فيجب اتباعه و تصديقه و طاعته بإطلاق وتنسب إلى العلماء و نحوهم باعتباره أنهم على طريقة النبي – صلى الله عليه وسلم – فيدعون إلى الله على علم

وبصيرة ويجددون ما اندرس من هذا الدين قال الله تعالى : { قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي } يوسف ١٠٨ .

قال الشيخ عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف في "دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب" ما ملخصه: "شهد الكثير من العلماء من مختلف البلاد والبقاع، وفي أزمان متفاوتة، بل ومن ديانات متنوعة أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يدعو إلى الإسلام كما كان عليه أو ظهوره من صفاء ونقاء ووضوح، بعيدا عن لوثات الفلسفة وأدران الشرك، وخرافات التصوف، ومحدثات البدع.

الشبهات المثارة حول دعوة الشيخ مع بيان الحق في ذلك:

التكفير والقتال يوضح الشيخ عبد اللطيف تورع جده عن التكفير فيقول: (والشيخ محمد رحمه الله من أعظم الناس توقفا وإحجاما عن إطلاق الكفر، حتى إنه لم يجزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور، أو غيرهم إذا لم يتيسر له من ينصحه ويبلغه الحجة التي يكفر مرتكبها) .

ويورد الشيخ عبد اللطيف في إحدى رسائله معتقد الشيخ الإمام في مسألة التكفير، فيقول:

(فإنه لا يكفر إلا بما أجمع المسلمون على تكفير فاعله من الشرك الأكبر، والكفر بآيات الله ورسله، أو بشيء منها بعد قيام الحجة وبلوغها المعتبر كتكفير من عبد الصالحين ودعاهم مع الله، وجعلهم أندادا فيما يستحقه على خلقه من العبادات والإلهية) .

ويؤكد الشيخ عبد اللطيف أن من عرف سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أدرك براءته من تلك الفرية الكاذبة، فيقول – رحمه الله –:

(كل عاقل يعرف سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، يعلم أنه من أعظم الناس إجلالا للعلم والعلماء، ومن أشد الناس نهيا عن تكفيرهم وتنقصهم وأذيتهم، بل هو ممن يدينون بتوقيرهم وإكرامهم والذب عنهم، والأمر بسلوك سبيلهم، والشيخ رحمه الله لم يكفر إلا من كفره الله ورسوله وأجمعت الأمة على كفره كمن اتخذ الآلهة والأنداد لرب العالمين).

وتضمنت مناظرة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن لداود بن جرجيس، تفنيدا لفرية تكفير الناس فيقول الشيخ عبد اللطيف:

(وأما القول بأنا نكفر الناس عموما ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وأنا نكفر من لم يكفر ولم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله، سبحانك هذا بهتان عظيم) .

ويدحض الشيخ صالح بن محمد الشتري كذبهم، فيقول: (وأما ما ادعاه أعداؤه المعاصرون له أنه كفر بالعموم، أو يكفر بالذنوب أو يقاتل من لا يستحق قتلا، أو يستحل دمه وماله، فالجواب أن نقول سبحانك هذا بهتان عظيم، ورسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب تبرأ فيهن مما نسب إليه أعداؤه وأن مذهبه مذهب السلف الصالح..).

وقال صاحب "فضل الغني الحميد" (ص/ ١٣٩): "قول الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في مسائله على هذا الباب) ومنها : قوله صلى الله عليه وسلم: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودم وحسابه على الله». وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمة للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك، أو توقف لم يحرم ماله ودمه، فيا لها من مسألة - أعظمها، وأجلها! ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع!. اهـ.

هذا الكلام من المصنف رحمه الله، احتج به بعض أهل البدع في تكفير عوام المسلمين - المستور حالهم- أو في التوقف عن الحكم بإسلامهم، وعصمة دمائهم وأموالهم، وذلك دون نظر من هؤلاء المبتدعين عن سيرة الشيخ، ودعوته، ومن كاد يقاتلهم، وينازعهم، وجعل هذا الحديث حجة عليهم، فإن الشيخ رحمه الله إنما كان ينازع، ويقاتل من أصر على الشرك من دعاء غير الله، أو رضي به، وأقره، أو حارب التوحيد وأهله مع أهل الشرك، بعد بلوغ الحجة التي كان يدعوهم إليها ويبينها لهم من أدلة الكتاب والسنة القطعية، وكان هؤلاء مع حالهم هذا، يقولون لا إله إلا الله فكان رحمه الله، يعاملهم على أنهم مرتدون، والمرتد الذي يقول لا إله إلا الله حال كفره لا ينفعه مجرد الإقرار بها، حتى يضيف إليها الرجوع عما كان سبب ردته، كما هو معلوم من كلام أهل العلم في أبواب الردة، وهذا مثل قول أهل العلم في الكتابي الذي يشهد حال كفره لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة، أو يقر بالوحدانية مع كفره، فلابد أن يضيف إلى الشهادتين عند إسلامه : شهادته لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة لعموم الإنس والجن. وكالبهائية والقاديانية، فلابد أن يضيفوا إليها : تكذيبهم بالبهاء وبالقاديان، كما فعل الصحابة مع أصحاب مسيلمة الكذاب، وأمثالهم، أما أن يجعل هذا الكلام حجة للتوقف في عصمة دم ومال من ثبت له حكم الإسلام، ولم يعلم عنه ردة وخروج من الشرع، ولا يحكم بإسلام من نطق الشهادتين، أو ولد لأبوين مسلمين حتى يختبر ويمتحن بتفاصيل معينة وضعوها، فهذا القول من أخطر البدع، وأضلها، بل هو مخالف للمعلوم من الدين بالضرورة، فكيف يحمل عليه كلام الشيخ، ويقال إن هذا قصده ؟!!".

شبهة خروج الشيخ على دولة الخلافة:

ادعى بعض خصوم الدعوة السلفية أن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب قد خرج على دولة الخلافة العثمانية، ففارق بذلك الجماعة، وشق عصا السمع والطاعة.

وقبل أن نورد الجواب على شبهة خروج الشيخ محمد بن عبد الوهاب على دولة الخلافة، فإنه من المناسب أن نذكر ما كان عليه الشيخ الإمام من اعتقاد وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله، لأن الطاعة إنما تكون في المعروف.

يقول الشيخ الإمام في رسالته لأهل القصيم:

(وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته، وحرم الخروج عليه) .

ويقول أيضا:

(الأصل الثالث: أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا، ولو كان عبدا حبشياً، فبين الله له هذا بيانا شائعا كافيا بوجوه من أنواع البيان شرعا وقدرا. ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند كثير من يدعي العلم، فكيف العمل به) .

نشير إلى مسألة مهمة جواباً عن تلك الشبهة، فهناك سؤال مهم هو: هل كانت نجد موطن هذه الدعوة ومحل نشأتها تحت سيطرة دولة الخلافة العثمانية؟

يجيب الدكتور صالح العبود على هذا السؤال فيقول:

(لم تشهد نجد على العموم نفوذاً للدولة العثمانية، فما امتد إليها سلطانها، ولا أتى إليها ولاه عثمانيون، ولا جابت خلال ديارها حامية تركية في الزمان الذي سبق ظهور دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله، ومما يدل على هذه الحقيقة التاريخية استقراء تقسيمات الدولة العثمانية الإدارية، فمن خلال رسالة تركية عنوانها "قوانين آل عثمان مضامين دفتر الديوان" يعني قوانين آل عثمان في ما يتضمنه دفتر الديوان، ألفها يمين علي أفندي الذي كان أمينا للدفتر الخاقاني سنة ١٠١٨هـ الموافقة لسنة ١٦٠٩م من خلال هذه الرسالة يتبين أنه منذ أوائل القرن الحادي عشر الهجري، كانت دولة آل عثمان تنقسم إلى اثنتين وثلاثين ايالة، منها أربع عشرة ايالة عربية، وبلاد نجد ليست منها ماعدا الإحساء إن اعتبرناه من نجد ...) .

ويقول الدكتور عبد الله العثيمين:

(ومهما يكن فإن نجدا لم تشهد نفوذاً مباشراً للعثمانيين عليها قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كما أنها لم تشهد نفوذاً قوياً يفرض وجوده على سير الحوادث داخلها لأية جهة كانت، فلا نفوذ بني جبر، أو بني خالد في بعض جهاتها، ولا نفوذ الأشراف في بعض جهاتها الأخرى أحدث نوعا من الاستقرار السياسي، فالحروب بين البلدان النجدية ظلت قائمة، والصراع بين قبائلها المختلفة استمر حاداً عنيفاً) .

ويقول أمين سعيد في هذا الشأن:

(ولقد حاولنا كثيرا في خلال دراستنا لتاريخ الدولتين الأموية والعباسية، وتاريخ الأيوبيين، والمماليك في مصر، ثم تاريخ العثمانيين الذين جاءوا بعدهم وورثوهم، أن نعثر على اسم وال، أو حاكم أرسله هؤلاء، أو أولئك أو أحدهم إلى نجد أو إحدى مقاطعتها الوسطى، أو الشمالية، أو الغربية أو الجنوبية، فلم نقع على شيء، مما يدل على مزيد من الإهمال تحمل تبعته هذه الدول.. على أن الذي استنتجناه في النهاية هو أنهم تركوا أمر مقاطعات نجد الوسطى والغربية إلى الأشراف الهاشميين حكام الحجاز الذين جروا على أن يشرفوا على قبائلها إشرافا جزئياً) .

ويقول أيضاً: (وكان كل شيخ أو أمير في نجد مستقلاً استقلالاً تاما في إدارة بلاده وما كان يعرف الترك، ولا الترك يعرفونه) .

واستكمالا لهذا المبحث نذكر بعض جواب سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز على ذلك الاعتراض، يقول الشيخ عبد العزيز: (لم يخرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب على دولة الخلافة العثمانية- فيما أعلم وأعتقد-،

فلم يكن في نجد رئاسة ولا إمارة للأتراك، بل كانت نجد إمارات صغيرة وقرى متناثرة، وعلى كل بلدة أو قرية – مهما صغرت– أمير مستقل ... وهي إمارات بينها قتال وحروب ومشاجرات، والشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يخرج على دولة الخلافة، وإنما خرج على أوضاع فاسدة في بلده، فجاهد في الله حق جهاده وصابر وثابر حتى امتد نور هذه الدعوة إلى البلاد الأخرى ...).

و قال الدكتور عجيل النشمي : "..... لم تحرك دولة الخلافة ساكنا ولم تبدر منها أية مبادرة امتعاض أو خلاف يذكر رغم توالي أربعة من سلاطين آل عثمان في حياة الشيخ ...

لقد كانت صورة حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لدى دولة الخلافة صورة قد بلغت من التشويه والتشويش مداه فلم تطلع دولة الخلافة إلا على الوجه المعادي لحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سواء عن طريق التقارير التي يرسلها ولاتها في الحجاز أو بغداد أو غيرهما ..أو عن طريق بعض الأفراد الذين يصلون إلى الأستانة يحملون الأخبار".

وأما دعوى " زلوم " أن دعوة الشيخ أحد أسباب سقوط الخلافة وأن الإنكليز ساعدوا الوهابيين على إسقاطها :

فيقول محمود مهدي الاستانبولي جوابا على هذه الدعوى العريضة :

قد كان من واجب هذا الكاتب أن يدعم رأيه بأدلة وإثباتات مع العلم أن التاريخ يذكر أن هؤلاء الإنكليز وقفوا ضد هذه الدعوة منذ قيامها خشية يقظة العالم الإسلامي .

ويقول : والغريب المضحك المبكي أن يتهم هذا الأستاذ حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنها من عوامل هدم الخلافة العثمانية مع العلم أن هذه الحركة قامت حوالي عام ١٨١١ م وأن الخلافة هدمت حوالي ١٩٢٢ م .

ومما يدل على أن الإنكليز ضد الحركة الوهابية أنهم أرسلوا الكابتن فورستر سادلير ليهنئ إبراهيم باشا على النجاح الذي حققه ضد الوهابيين – إبان حرب إبراهيم باشا للدرعية – وليؤكد له أيضا مدى ميله إلى التعاون مع الحركة البريطانية لتخفيض ما أسموه بأعمال القرصنة الوهابية في الخليج العربي .

بل صرحت هذه الرسالة بالرغبة في إقامة الاتفاق بين الحكومة البريطانية وبين إبراهيم باشا بهدف سحق نفوذ الوهابيين بشكل كامل[٣] .

((٢. بيان المذاهب والاتجاهات التي ظهرت في تاريخ البشرية، قديماً وحديثاً وبيان أصولها ومصادرها، وبيان ما اشتملت عليه من أصول فكرية وعقائدية، ومناقشتها في ضوء نصوص الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح، وعرضها على الموازين الإسلامية.

٣. توجيه أفكار الطلاب إلى المذاهب المعاصرة المنحرفة، ومعرفة حقيقتها وأهدافها، لتحصينهم من شرورها، وتبصيرهم بمخاطرها.

٤ . بيان أن دراسة المذاهب المعاصرة يقوي جانب العقيدة ويخدم قضية الإيمان؛ لأننا عن طريق الدراسة الجادة

[٣]) نقلا عن موقع الإسلام سؤال وجواب.

المقارنة، سنقف على ما عند غيرنا من ضعف وانحراف، فتتجلى قوة إيماننا بما ندين به و نعتقده)).

وتتميما للفائدة سوف أتكلم على أشهر المذاهب الفكرية ومنها:

العلمانية:

وترجمتها الصحيحة: اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين . وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم وقد ظهرت في أوروبا منذ القرن السابع عشر وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر.

ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وإبقاءه حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما.

تتفق العلمانية مع الديانة النصرانية في فصل الدين عن الدولة حيث لقيصر سلطة الدولة ولله سلطة الكنيسة . وهذا واضح فيما يُنسب إلى السيد المسيح من قوله: "إعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله". أما الإسلام فلا يعرف هذه الثنائية والمسلم كله لله وحياته كلها لله {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [سورة الأنعام: آية: ١٦٢] .

الأفكار والمعتقدات:

-بعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلاً. وبعضهم يؤمنون بوجود الله لكنهم يعتقدون بعدم وجود أية علاقة بين الله وبين حياة الإنسان.

- الحياة تقوم على أساس العلم المطلق وتحت سلطان العقل والتجريب.

- إقامة حاجز سميك بين عالمي الروح والمادة ، والقيم الروحية لديهم قيم سلبية.

- فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادي.

- تطبيق مبدأ النفعية على كل شيء في الحياة.

- اعتماد مبدأ الميكيافيلية في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق .

- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية وتهديم كيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الإجتماعية.

- أما معتقدات العلمانية في العالم الإسلامي والعربي التي انتشرت بفضل الاستعمار والتبشير فهي:

- الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة .

- الزعم بأن الإسلام استنفذ أغراضه وهو عبارة عن طقوس وشعائر روحية.

- الزعم بأن الفقه الإسلامي مأخوذ عن القانون الروماني.

- الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ويدعو إلى التخلف.

- الدعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي.

- تشويه الحضارة الإسلامية وتضخيم حجم الحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي والزعم بأنها حركات إصلاح.

- إحياء الحضارات القديمة.

- اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية عن الغرب ومحاكاته فيها.

- تربية الأجيال تربية لا دينية.

العقلانية:

التعريف:

العقلانية مذهب فكري يزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي أو التجربة البشرية وكذلك يرى إخضاع كل شيء في الوجود للعقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه.

ويحاول المذهب إثبات وجود الأفكار في عقل الإنسان قبل أن يستمدها من التجربة العملية الحياتية أي أن الإدراك العقلي المجرد سابق على الإدراك المادي المجسد.

العقائد والأفكار:

تعتمد العقلانية على عدد من المبادئ الأساسية هي:

العقل لا الوحي هو المرجع الوحيد في تفسير كل شيء في الوجود.

يمكن الوصول إلى المعرفة عن طريق الاستدلال العقلي وبدون لجوء إلى أية مقدمات تجريبية.

عدم الإيمان بالمعجزات أو خوارق العادات.

العقائد الدينية ينبغي أن تختبر بمعيار عقلي.

الإلحاد:

التعريف:

الإلحاد هو: مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى:

فيدّعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق.

وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت.

ومما لا شك فيه أن كثيراً من دول العالم الغربي والشرقي تعاني من نزعة إلحادية عارمة جسدتها الشيوعية المنهارة والعلمانية المخادعة.

الأفكار والمعتقدات:

إنكار وجود الله سبحانه، الخالق البارئ، المصور، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

إن الكون والإنسان والحيوان والنبات وجد صدفة وسينتهي كما بدأ ولا توجد حياة بعد الموت.

إن المادة أزلية أبدية وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت.

النظرة الغائية للكون والمفاهيم الأخلاقية تعيق تقدم العلم.

إنكار معجزات الأنبياء لأن تلك المعجزات لا يقبلها العلم، كما يزعمون. ومن العجب أن الملحدين الماديين يقبلون معجزات الطفرة الوحيدة التي تقول بها الداروينية ولا سند لها إلا الهوس والخيال.

عدم الاعتراف بالمفاهيم الأخلاقية ولا بالحق والعدل ولا بالأهداف السامية، ولا بالروح والجمال.

ينظر الملاحدة للتاريخ باعتباره صورة للجرائم والحماقة وخيبة الأمل وقصته لا تعني شيئاً.

المعرفة الدينية، في رأي الملاحدة، تختلف اختلافاً جذريًّا وكليًّا عن المعرفة بمعناها العقلي أو العلمي**!!**

الإنسان مادة تنطبق عليه قوانين الطبيعة التي اكتشفتها العلوم كما تنطبق على غيره من الأشياء المادية.

الحاجات هي التي تحدد الأفكار، وليست الأفكار هي التي تحدد الحاجات.

نظريات ماركس في الاقتصاد والتفسير المادي للتاريخ ونظرية فرويد في علم النفس ونظرية دارون في أصل الأنواع ونظرية دور كهايم في علم الاجتماع من أهم أسس الإلحاد في العالم.. وجميع هذه النظريات هي مما أثبت العلماء أنها حدس وخيالات وأوهام شخصية ولا صلة لها بالعلم.

<u>الرأسمالية:</u>

<u>التعريف:</u>

الرأسمالية نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية، يقوم على أساس إشباع حاجات الإنسان الضرورية والكمالية، وتنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها، متوسعاً في مفهوم الحرية، معتمداً على سياسة فصل الدين نهائياً عن الحياة. ولقد ذاق العلم بسببه ويلات كثيرة نتيجة إصراره على كون المنفعة واللذة هما أقصى ما يمكن تحقيقه من السعادة للإنسان. وما تزال الرأسمالية تمارس ضغوطها وتدخلها السياسي والاجتماعي والثقافي وترمي بثقلها على مختلف شعوب الأرض.

<u>الأفكار والمعتقدات:</u>

= أسس الرأسمالية:

البحث عن الربح بشتى الطرق والأساليب إلا ما تمنعه الدولة لضرر عام كالمخدرات مثلاً.

– تقديس الملكية الفردية وذلك بفتح الطريق لأن يستغل كل إنسان قدراته في زيادة ثروته وحمايتها وعدم الاعتداء عليها وتوفير القوانين اللازمة لنموها واطرادها وعدم تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية إلا بالقدر الذي يتطلبه النظام العام وتوطيد الأمن.

– المنافسة والمزاحمة في الأسواق.

– نظام حرية الأسعار وإطلاق هذه الحرية وفق متطلبات العرض والطلب، واعتماد قانون السعر المنخفض في سبيل ترويج البضاعة وبيعها.

<u>أفكار معتقدات أخرى:</u>

= إن المذهب الطبيعي الذي هو أساس الرأسمالية إنما يدعو إلى أمور منها:

- الحياة الاقتصادية تخضع لنظام طبيعي ليس من وضع أحد حيث يحقق بهذه الصفة نمواً للحياة وتقدماً تلقائياً لها.

- إنه يدعو إلى عدم تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية وأن تقصر مهمتها على حماية الأفراد والأموال والمحافظة على الأمن والدفاع عن البلاد.

- الحرية الاقتصادية لكل فرد حيث إن له الحق في ممارسة واختيار العمل الذي يلائمه وقد عبروا عن ذلك بالمبدأ المشهور: "دعه يعمل دعه يمر".

- إن إيمان الرأسمالية بالحرية الواسعة أدى إلى فوضى في الاعتقاد وفي السلوك مما تولدت عنه هذه الصراعات الغريبة التي تجتاح العالم معبرة عن الضياع الفكري والخواء الروحي.

- إن انخفاض الأجور وشدة الطلب على الأيدي العاملة دفع الأسرة لأن يعمل كل أفرادها مما أدى إلى تفكك عرى الأسرة وانحلال الروابط الاجتماعية فيما بينها.

- من أهم آراء آدم سميث أن نمو الحياة الاقتصادية وتقدمها وازدهارها إنما يتوقف على الحرية الاقتصادية، وتتمثل هذه الحرية في نظره بما يلي: -

- الحرية الفردية التي تتيح للإنسان حرية اختيار عمله الذي يتفق مع استعداداته ويحقق له الدخل المطلوب.

- يرى الرأسماليون بأن الحرية ضرورية للفرد من أجل تحقيق التوافق بينه وبين المجتمع، ولأنها قوة دافعة للإنتاج، لكونها حقاً إنسانياً يعبر عن الكرامة البشرية.

= عيوب الرأسمالية:

- الرأسمالية نظام وضعي يقف على قدم المساواة مع الشيوعية وغيرها من النظم التي وضعها البشر بعيداً عن منهج الله الذي ارتضاه لعباده ولخلقه من بني الإنسان، ومن عيوبها:

- الأنانية: حيث يتحكم فرد أو أفراد قلائل بالأسواق تحقيقاً لمصالحهم الذاتية دون تقدير لحاجة المجتمع أو احترام للمصلحة العامة.

- الاحتكار : إذ يقوم الشخص الرأسمالي باحتكار البضائع وتخزينها حتى إذا ما فقدت من الأسواق نزل بها ليبيعها بسعر مضاعف يبتز به المستهلكين الضعفاء.

- لقد تطرفت الرأسمالية في تضخيم شأن الملكية الفردية كما تطرفت الشيوعية في إلغاء هذه الملكية.

- المزاحمة والمنافسة: إن بنية الرأسمالية تجعل الحياة ميدان سباق مسعور إذ يتنافس الجميع في سبيل إحراز الغلبة، وتتحول الحياة عندها إلى غابة يأكل القوي فيها الضعيف، وكثيراً ما يؤدي ذلك إلى إفلاس المصانع والشركات بين عشية وضحاها.

- إبتزاز الأيدي العاملة: ذلك أن الرأسمالية تجعل الأيدي العاملة سلعة خاضعة لمفهومي العرض والطلب مما يجعل العامل معرضاً في كل لحظة لأن يُستبدَل به غيره ممن يأخذ أجراً أقل أو يؤدي عملاً أكثر أو خدمة أفضل.

– البطالة : وهي ظاهرة مألوفة في المجتمع الرأسمالي، وتكون شديدة البروز إذا كان الإنتاج أكثر من الاستهلاك مما يدفع بصاحب العمل إلى الاستغناء عن الزيادة في هذه الأيدي التي تثقل كاهله.

– الحياة المحمومة: وذلك نتيجة للصراع القائم بين طبقتين إحداهما مبتزة يهمها جمع المال من كل السبل وأخرى محروقة تبحث عن المقومات الأساسية لحياتها، دون أن يشملها شيء من التراحم والتعاطف المتبادل.

– الاستعمار : ذلك أن الرأسمالية بدافع البحث عن المواد الأولية، وبدافع البحث عن أسواق جديدة لتسويق المنتجات تدخل في غمار استعمار الشعوب والأمم استعماراً اقتصاديّاً أولاً وفكريًّا وسياسيًّا وثقافيًّا ثانياً، وذلك فضلاً عن استرقاق الشعوب وتسخير الأيدي العاملة فيها لمصلحتها.

– الحروب والتدمير: فلقد شهدت البشرية ألواناً عجيبة من القتل والتدمير وذلك نتيجة طبيعية للاستعمار الذي أنزل بأمم الأرض أفظع الأهوال وأشرسها.

– الرأسماليون يعتمدون على مبدأ الديمقراطية في السياسة والحكم، وكثيراً ما تجنح الديمقراطية مع الأهواء بعيدة عن الحق والعدل والصواب، وكثيراً ما تستخدم لصالح طائفة الرأسماليين أو من يسمون أيضاً (أصحاب المكانة العالية) .

– إن النظام الرأسمالي يقوم على أساس ربوي، ومعروف أن الربا هو جوهر العلل التي يعاني منها العالم أجمع.

– إن الرأسمالية تنظر إلى الإنسان على أنه كائن مادي وتتعامل معه بعيداً عن ميوله الروحية والأخلاقية، داعية إلى الفصل بين الاقتصاد وبين الأخلاق.

– تعمد الرأسمالية إلى حرق البضائع الفائضة، أو تقذفها في البحر خوفاً من أن تتدنى الأسعار لكثرة العرض، وبينما هي تقدم على هذا الأمر تكون كثير من الشعوب أشدَ معاناة وشكوى من المجاعات التي تجتاحها.

– يقوم الرأسماليون بإنتاج المواد الكمالية ويقيمون الدعايات الهائلة لها دونما التفات إلى الحاجات الأساسية للمجتمع ذلك أنهم يفتشون عن الربح والمكسب أولاً وأخراً.

– يقوم الرأسمالي في أحيان كثيرة بطرد العامل عندما يكبر دون حفظ لشيخوخته إلا أن أمراً كهذا أخذت تخف حدته في الآونة الأخيرة بسبب الإصلاحات التي طرأت على الرأسمالية والقوانين والتشريعات التي سنتها الأمم لتنظيم العلاقة بين صاحب رأس المال والعامل.

الشيوعية:

التعريف:

الشيوعية مذهب فكري يقوم على الإلحاد وأن المادة هي أساس كل شيء ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي. ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وإنجلز، وتجسدت في الثورة البلشفية التي ظهرت في روسيا سنة ١٩١٧م بتخطيط من اليهود، وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنار. وقد تضرر المسلمون منها كثيراً، وهناك شعوب محيت بسببها من التاريخ، ولكن الشيوعية أصبحت الآن في ذمة التاريخ، بعد أن تخلى عنها

الاتحاد السوفيتي، الذي تفكك بدوره إلى دول مستقلة، تخلت كلها عن الماركسية، واعتبرتها نظرية غير قابلة للتطبيق.

الأفكار والمعتقدات:

= إنكار وجود الله تعالى وكل الغيبيات والقول بأن المادة هي أساس كل شيء وشعارهم: نؤمن بثلاثة: ماركس ولينين وستالين، ونكفر بثلاثة: الله، الدين ، الملكية الخاصة، عليهم من الله ما يستحقون.

= فسروا تاريخ البشرية بالصراع بين البرجوازية والبروليتاريا (الرأسماليين والفقراء) وينتهي هذا الصراع حسب زعمهم بدكتاتورية البروليتاريا.

= يحاربون الأديان ويعتبرونها وسيلة لتخدير الشعوب وخادماً للرأسمالية والإمبريالية والاستغلال مستثنين من ذلك اليهودية لأن اليهود شعب مظلوم يحتاج إلى دينه ليستعيد حقوقه المغتصبة!!

= يحاربون الملكية الفردية ويقولون بشيوعية الأموال وإلغاء الوراثة.

= تتركز اهتماماتهم بكل ما يتعلق بالمادة وأساليب الإنتاج.

= إن كل تغيير في العالم في نظرهم إنما هو نتيجة حتمية لتغيّر وسائل الإنتاج وإن الفكر والحضارة والثقافة هي وليدة التطور الاقتصادي.

= يقولون بأن الأخلاق نسبية وهي انعكاس لآله الإنتاج.

= يحكمون الشعوب بالحديد والنار ولا مجال لإعمال الفِكر، والغاية عندهم تبرر الوسيلة.

= يعتقدون بأنه لا آخرة ولا عقاب ولا ثواب في غير هذه الحياة الدنيا.

= يؤمنون بأزلية المادة وأن العوامل الاقتصادية هي المحرك الأول للأفراد والجماعات.

= يقولون بدكتاتورية الطبقة العاملة ويبشرون بالحكومة العالمية

= تؤمن الشيوعية بالصراع والعنف وتسعى لإثارة الحقد والضغينة بين العمال وأصحاب الأعمال.

= الدولة هي الحزب والحزب هو الدولة.

= تكون المكتب السياسي الأول للثورة البلشفية من سبعة أشخاص كلهم يهود إلا واحداً وهذا يعكس مدى الارتباط بين الشيوعية واليهودية.

= تنكر الماركسية الروابط الأسرية وترى فيها دعامة للمجتمع البرجوازي وبالتالي لا بد من أن تحل محلها الفوضى الجنسية.

= لا يحجمون عن أي عمل مهما كانت بشاعته في سبيل غايتهم وهي أن يصبح العالم شيوعياً تحت سيطرتهم. قال لينين:» إن هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بشيء إنما الشيء الهام هو أن يصبح الربع الباقي شيوعيًّا «. وهذه القاعدة طبقوها في روسيا أيام الثورة وبعدها وكذلك في الصين وغيرها حيث أبيدت ملايين من البشر، كما أن اكتساحهم لأفغانستان بعد أن اكتسحوا الجمهوريات الإسلامية الأخرى كبُخاري وسمرقند وبلاد الشيشان والشركس، إنما ينضوي تحت تلك القاعدة ااالإجرامية.

= يهدمون المساجد ويحولونها إلى دور ترفيه ومراكز للحزب، ويمنعون المسلم إظهار شعائر دينية، أما اقتناء المصحف فهو جريمة يعاقب عليها بالسجن لمدة سنة كاملة.

= لقد كان توسعهم على حساب المسلمين فكان أن احتلوا بلادهم وأفنوا شعوبهم وسرقوا ثرواتهم واعتدوا على حرمة دينهم ومقدساتهم.

= يعتمدون على الغدر والخيانة والاغتيالات لإزاحة الخصوم ولو كانوا من أعضاء الحزب.

الماسونية:

التعريف:

الماسونية لغة معناها البناءون الأحرار، وهي في الاصطلاح منظمة يهودية سرية هدامة، إرهابية غامضة، محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد (* (والإباحية والفساد، وتتستر تحت شعارات خداعه (حرية ـ إخاء ـ مساواة ـ إنسانية) جلُّ أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم، من يوثقهم عهداً بحفظ الأسرار، ويقيمون ما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام، تمهيداً لتأسيس جمهورية ديمقراطية عالمية ـ كما يدعون ـ وتتخذ الوصولية والنفعية أساساً لتحقيق أغراضها في تكوين حكومة لا دينية عالمية.

الأفكار والمعتقدات:

• يكفرون بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبيات ويعتبرون ذلك خزعبلات وخرافات.

• يعملون على تقويض الأديان .

• العمل على إسقاط الحكومات الشرعية وإلغاء أنظمة الحكم الوطنية في البلاد المختلفة والسيطرة عليها.

• إباحة الجنس واستعمال المرأة كوسيلة للسيطرة.

• العمل على تقسيم غير اليهود إلى أمم متنابذة تتصارع بشكل دائم.

• تسليح هذه الأطراف وتدبير حوادث لتشابكها.

• بث سموم النزاع داخل البلد الواحد وإحياء روح الأقليات الطائفية العنصرية.

• تهديم المبادئ الأخلاقية والفكرية والدينية ونشر الفوضى ولانحلال والإرهاب والإلحاد .

• استعمال الرشوة بالمال والجنس مع الجميع وخاصة ذوي المناصب الحساسة لضمهم لخدمة الماسونية والغاية عندهم تبرر الوسيلة.

• إحاطة الشخص الذي يقع في حبائلهم بالشباك من كل جانب لإحكام السيطرة عليه وتسييره كما يريدون ولينفذ صاغراً كل أوامرهم.

• الشخص الذي يلبي رغبتهم في الانضمام إليهم يشترطون عليه التجرد من كل رابط ديني أو أخلاقي أو وطني وأن يجعل ولاءه خالصاً للماسونية.

• إذا تململ الشخص أو عارض في شيء تدبر له فضيحة كبرى وقد يكون مصيره القتل.

• كل شخص استفادوا منه ولم تعد لهم به حاجة يعملون على التخلص منه بأية وسيلة ممكنة.

• العمل على السيطرة على رؤساء الدول لضمان تنفيذ أهدافهم التدميرية.

• السيطرة على الشخصيات البارزة في مختلف الاختصاصات لتكون أعمالهم متكاملة.

• السيطرة على أجهزة الدعاية والصحافة والنشر والإعلام واستخدامها كسلاح فتاك شديد الفاعلية.

• بث الأخبار المختلفة والأباطيل والدسائس الكاذبة حتى تصبح كأنها حقائق لتحويل عقول الجماهير وطمس الحقائق أمامهم.

• دعوة الشباب والشابات إلى الانغماس في الرذيلة وتوفير أسبابها لهم وإباحة الاتصال بالمحارم وتوهين العلاقات الزوجية وتحطيم الرباط الأسري.

• الدعوة إلى العقم الاختياري وتحديد النسل لدى المسلمين.

• السيطرة على المنظمات الدولية بترؤسها من قبل أحد الماسونيين كمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ومنظمات الأرصاد الدولية، ومنظمات الطلبة والشباب والشابات في العالم.

المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ومنظمات الأرصاد الدولية، ومنظمات الطلبة والشباب والشابات في العالم.

• لهم درجات ثلاث:

ـ العُمْي الصغار: والمقصود بهم المبتدئون من الماسونيين.

ـ الماسونية الملوكية: وهذه لا ينالها إلا من تنكر كليًّا لدينه ووطنه وأمته وتجرد لليهودية ومنها يقع الترشيح للدرجة الثالثة والثلاثون كتشرشل وبلفور.

ـ الماسونية الكونية: وهي قمة الطبقات، وكل أفرادها يهود، وهم أحاد، وهم فوق الأباطرة والملوك والرؤساء لأنهم يتحكمون فيهم، وكل زعماء الصهيونية من الماسونية الكونية كهرتزل، وهم الذين يخططون للعالم لصالح اليهود.

• يتم قبول العضو الجديد في جو مرعب مخيف وغريب حيث يقاد إلى الرئيس معصوب العينين وما أن يؤدي يمين حفظ السر ويفتح عينيه حتى يفاجأ بسيوف مسلولة حول عنقه وبين يديه كتاب العهد القديم ومن حوله غرفة شبه مظلمة فيها جماجم بشرية وأدوات هندسية مصنوعة من خشب ... وكل ذلك لبث المهابة في نفس العضو الجديد.

• هي كما قال بعض المؤرخين: " آلة صيد بيد اليهودية يصرعون بها الساسة ويخدعون عن طريقها الأمم والشعوب الجاهلة".

• والماسونية وراء عدد من الويلات التي أصابت الأمة الإسلامية ووراء جل الثورات التي وقعت في العالم: فكانوا وراء إلغاء الخلافة الإسلامية وعزل السلطان عبد الحميد، كما كانوا وراء الثورة الفرنسية والبلشفية والبريطانية.

• تشترط الماسونية على من يلتحق بها التخلي عن كل رابطة دينية أو وطنية أو عرقية ويسلم قياده لها وحدها.

• حقائق الماسونية لا تكشف لأتباعها إلا بالتدريج حين يرتقون من مرتبة إلى مرتبة وعدد المراتب ثلاث وثلاثون.

• يحمل كل ماسوني في العالم فرجاراً صغيراً وزاوية لأنها شعار الماسونية منذ أن كانا الأداتين الأساسيتين اللتين بنى بهما سليمان الهيكل المقدس بالقدس.

• يردد الماسونيون كثيراً كلمة " المهندس الأعظم للكون " ويفهمها البعض على أنهم يشيرون بها إلى الله سبحانه وتعالى والحقيقة أنهم يعنون " حيراما " إذ هو مهندس الهيكل وهذا هو الكون في نظرهم.

وقد أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر بياناً بشأن الماسونية والأندية التابعة لها مثل الليونز والروتاري جاء فيه:

"ويحرم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شأنها وواجب المسلم ألا يكون إمعة يسير وراء كل داعٍ ونادٍ، بل واجبه أن يمتثل لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: " لا يكن أحدكم إمعةً يقول: إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم".

وواجب المسلم أن يكون يقظاً لا يغرَّر به، وأن يكون للمسلمين أنديتهم الخاصة بهم، ولها مقاصدها وغاياتها العلنية، فليس في الإسلام ما نخشاه ولا ما نخفيه والله أعلم) .

((واجب المسلمين تجاه الغزو الفكري:

قد يتبادر إلى أذهان البعض من أبناء الأمة الإسلامية، أو يعتقد أن الاحتلال والغزو الصليبي اليهودي على الأمة الإسلامية، محصور فقط باحتلال الأراضي واستخدام الجيوش والسلاح ووقوع المعارك وسفك الدماء وسقوط القتلى و الجرحى، ولكن الحقيقة أن هذا الغزو والاحتلال هو الغزو الوحيد الذي كان سائداً ومعروفاً في العصور الماضية بين المسلمين وأعداءهم من اليهود والنصارى والوثنيين والملحدين منذ ظهور الإسلام وحتى النصف الأول من هذا القرن، ولكن أعداء المسلمين في عصرنا هذا وجدوا من خلال تجاربه السابقة فشل تلك الحملات العسكرية الصليبية التي وجهوها ضد البلدان الإسلامية، وأيقنوا أن استخدام السلاح والجيوش وحدها لا تكفي لغزو الأمة الإسلامية؛ لأنهم كلما تمكنوا من احتلال بعض الأراضي الإسلامية منذ بدءهم بغزو البلدان الإسلامية، لم يطل لهم المقام فيها؛ لأنه يظهر قائد وبطل صنديد من أبناء الأمة الإسلامية يقوم بقيادة الجيوش الإسلامية، إما في الفتوحات الإسلامية أو في حربها ضد الصليبيين فيهزمهم شر هزيمة، ويطردهم من الأراضي العربية التي كانوا قد قاموا باحتلالها ويقوم بفتح أراضي صليبية جديدة كأمثال الأبطال والفاتحين الصناديد من الصحابة والتابعين وتابعيهم كأمثال عمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة وأبو عبيدة بن الجراح والمثنى بن حارثة الشيباني والقعقاع بن عمرو التميمي والمقداد بن الأسود وموسى بن نصير وطارق بن زياد وغيرهم من الفرسان والأبطال والفاتحين الشجعان، أو يقوم بطرد الجيوش الصليبية من الأراضي الإسلامية التي كانوا قد احتلوها ويلحق بهم الخسائر الفادحة في الأموال والأنفس كأمثال القائد والبطل الصنديد صلاح الدين الأيوبي الذي حرر القدس بتاريخ ربيع الثاني سنة ٥٨٣هـ الموافق يوليو سنة ١١٨٧م في معركة حطين الشهيرة.

وكذلك أمثال القائد الهمام الملك المظفر قطز والقائد المقدام الظاهر بيبرس اللذان استطاعا في موقعة المنصورة التي حدثت سنة ٦٤٧هـ الموافق ١٢٤٩م، دحر لويس التاسع والصليبيين الذين هاجموا مصر وهزيمتهم وفشل الحملة الصليبية السابعة، كما هزما التحالف الصليبي المغولي في موقعة عين جالوت وذلك عام ٦٥٨هـ الموافق ١٢٦٠م، والتي كان من نتائجها سحق الصليبيين في الشام والقضاء على الحشاشين في جبل لبنان وانسحاب المغول من الشام، وكذلك أمثال السلطان والقائد البطل محمد الفاتح الذي تولى الخلافة العثمانية الإسلامية بعد وفاة والده ولم يكن عمره آنذاك يتجاوز ٢٢عاما، وكانت جميع بلاد آسيا الصغرى خاضعة للسلطنة العثمانية الإسلامية، فلم يكن منه إلا أن قام بتوسعة الخلافة الإسلامية ٨٦٧هـ وهذا ما جعل أعداء الأمة الإسلامية من اليهود والنصارى والملحدين يبحثون في عصرنا هذا عن وسائل وأسلحة يستطيعون من خلالها غزو الأمة الإسلامية بأقل التضحيات والخسائر، فوجدوا أن قيامهم بغزو شباب وفتيات المسلمين فكريا وثقافيا وأخلاقياً، وجرهم نحو وسائل الفساد والانحلال، هو أنجح الطرق التي سوف تمكنهم من احتلال البلدان الإسلامية بسهولة ويسر وتحقيق ما عجزت عن تحقيقه الحملات العسكرية الصليبية السابقة، فسعوا إلى احتلال شباب وفتيات الأمة الإسلامية فكرياً وثقافياً واقتصادياً وعلمياً وأخلاقياً، مستخدمين في ذلك شتى الوسائل المتاحة في عصرنا هذا، نتيجة للتطور والتقدم التكنولوجي والمعلوماتي الذي لم يشهد له العالم مثيلاً من قبل، وسهولة التواصل بين العالم، حيث يقوم أعداء الأمة الإسلامية اليوم بتوجيه تلك الأسلحة الفتاكة نحو شباب وفتيات المسلمين؛ لأنهم يعلمون يقيناً أن الشباب هم مستقبل أمتهم الإسلامية وازدهار وتقدم شعوبهم ودولهم، وهم قوة الإسلام ودرعه وحصنه الحصين ومركز عزته، وإذا تمكن الأعداء من احتلال شباب المسلمين والسيطرة على فتيات المسلمين عقائدياً وفكرياً وثقافياً وأخلاقياً، فإنهم سيتمكنون من احتلال الأراضي الإسلامية بسهولة ويسر وبأقل الخسائر والتضحيات)).

والغزو هنا والاحتلال لن يكون بقوة السلاح بل بزرع أذنابهم ممن تربوا على مائدتهم لتحقيق أهدافهم الاستعمارية ونهب ثروات البلاد دون خسران جندي من جنودهم، ويساعدهم على ذلك بعد شباب وفتيات هذه الشعوب الاسلامية عن منهج الاسلام وانشغالهم بالشباك التي نصبها لهم أعداء الإسلام .

((وينبغي أن نلقي الضوء على مفهوم الغزو الفكري وسبل مواجهته:

إن الغزو الفكري هو أن تظل بلدان العالم الإسلامي خصوصا والعالم النامي عموما تابعة لتلك الدول الكبيرة المتقدمة تبعية غير منظورة، وفي هذه التبعية يكمن دهاء تلك الدول المتبوعة وذكاؤها، فليس أقتل للشعوب من أن تحس بالحرية والاستقلال بينما هي ترسف في قيود الذل والتبعية، إن ذلك مقتلة ذريعة لكل ما يجب أن تفكر فيه الدول الضعيفة لتقوى، وليس أضيع لمستقبل أمة من الأمم من أن تعجز عن أن تخطط لمستقبلها ومصيرها إلا وهي دائرة في فلك دولة كبيرة ذاهلة عن حقيقة ما تعانيه من تبعية.

الغزو الفكري هو أن تتبنى أمة من الأمم– وبخاصة الأمة الإسلامية – معتقدات وأفكار الأمة أخرى من الأمم الكبيرة– وهي غير إسلامية دائماً– دون نظر فاحص وتأمل دقيق لما يترتب على ذلك التبني من ضياع لحاضر الأمة

الإسلامية – في أي قطر من أقطارها – وتبديد لمستقبلها، فضلا عما فيه من صرفها عن منهجها وكتابها وسنة رسولها، وما يترتب على هذا الصرف من ضياع أي ضياع، إذ لا يوجد مذهب سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي يغني الأمة الإسلامية عن منهجها الإلهي، ونظامها الشامل المتكامل في كل زمان ومكان.

الغزو الفكري هو أن تتخذ أمة من الأمم مناهج التربية والتعليم لدولة من هذه الدول الكبيرة، فتطبقها على أبناءها وأجيالها، فتشوه بذلك فكرهم وتمسخ عقولهم، وتخرج بهم إلى الحياة وقد أجادوا بتطبيق هذه المناهج عليهم شيئا واحدا هو تبعيتهم لأصحاب تلك المناهج الغازية، ثم يلبس الأمر عليهم بعد ذلك فيحسبون أنهم بذلك على الصواب، ثم يجادلون عما حسبوه صوابا ويدعون إليه. وهم بذلك يؤكدون تبعيتهم من جانب آخر، فيعيشون الحياة وليس لهم منها إلا حظ الاتباع والأذناب.

الغزو الفكري هو أن يحول العدو بين أمة من الأمم – وبخاصة الأمة الإسلامية – وبين تاريخها وماضيها وسير الصالحين من أسلافها، ليحل محل ذلك تاريخ تلك الدولة الكبيرة الغازية وسير أعلامها وقادتها، فيشب المثقف من أبناء تلك الأمة المقهورة وليس في نفسه مثل إلا ما يقرأ عنه في تاريخ الدول الغازية، وليس في خلده أبطال إلا أبطالها ولا مفكرون إلا مفكروها، بل يصبح وهو لا يعرف من الحق والباطل إلا ما رأته هذه الأمة الغازية حقا أو باطلا، فتشوه بذلك رؤيته الحقة للناس والأشياء ويذهل عن تاريخه وسير الصالحين من أسلافه فيذهل عن حاضره ومستقبله ويضل عن معالم طريقه)). بل الأدهى من ذلك أن يأخذ تاريخه وسيرة سلفه الصالح من خلال ما يروجه الأعداء من أباطيل تشوه صورة سلفهم وتنطبع هذه اصورة المشوهة في أذهانهم فلا يستطيعون معرفة غيرها لعزلهم فكريا إلا من خلالهم فترى صورة هارون الرشيد تزيف في المسلسلات التليفزيونية ولا يعرف شباب الأمة عنه إلا ذلك وهلم جرا.

((الغزو الفكري هو أن تزاحم لغة الغالب لغة المغلوب فضلا عن أن تحل محلها أو تحاربها بإحياء اللهجات العامية والإقليمية، وما دام الإنسان لا يفكر إلا باللغة – كما يجمع على ذلك العلماء– فإن إضعاف لغة أمة هو إضعاف لفكرها، وإحلال لغة أمة محل لغة أمة هو إجبار للأمة المغلوبة على أن تفكر كما تفكر الأمة الغالبة، وأن ترى من العادات والتقاليد مثل ما ترى الأمة صاحبة اللغة الغازية، وما سكتت أمة غازية في تاريخنا المعاصر عن لغة أمة مغزوة، وإنما تخطط لحربها بنفس الضراوة التي تخطط بها للاستيلاء على مقدراتها الاقتصادية، وليست الصورة الماثلة أمامنا في كثير من بلدان العالم الإسلامي، وفي كثير من بلدان العالم النامي ببعيدة عن الأذهان.

الغزو الفكري هو أن تسود الأمة المغزوة أخلاق الأمة الغازية وعاداتها وتقاليدها، وما دامت الأخلاق السائدة في أمة من الأمم هي المعيار الدقيق الذي تقاس به هذه الأمة فإن هذه الأخلاق يجب أن تكون نابعة من القيم الأصيلة التي تسود الأمة وتحكم سلوكها وتوجهها، فإذا ما استوردت أمة من الأمم أخلاقها وقيمها من أمة أخرى، مسخت بذلك شخصيتها وتنكرت لأصالتها وعاشت تابعة ذليلة للأمة التي قلدت أخلاقها وخسرت من مستقبل أجيالها ما يزيدها اقتراباً من أصالتها ووجدت نفسها أمام التبعية والضياع.

إن مواجهة الغزو الفكري الذي يشنه أعداء الأمة الإسلامية من اليهود والنصارى والملحدين على شباب وفتيات

الأمة الإسلامية، واجب ديني واجتماعي يجب على جميع أبناء وبنات الأمة الإسلامية مواجهته والتصدي له وعلى وسائل الأعلام والمؤسسات والحكومات الإسلامية القيام به، والتصدي لكل وسائل الغزو الفكري التي يستخدمها الأعداء في غزوهم لشباب وفتيات المسلمين، ومحو هويتهم وثقافتهم الإسلامية وجرهم نحو الرذيلة والانحلال والفساد والضياع.

وبإمكان أبناء الأمة الإسلامية مواجهة الغزو الفكري والثقافي من خلال الطرق والوسائل التالية:

أولاً: واجبات الآباء والأمهات تجاه مواجهة الغزو الفكري والتصدي له:

يعتبر الآباء والأمهات المسئول الأول عن مواجهة الغزو الفكري الذي يوجه نحو شباب المسلمين، وهما المسئول الأول عن حماية أبنائهم وبناتهم من الوقوع في فخ ذلك الغزو، وتجرع السموم التي يبثها أعدائنا من اليهود والنصارى والملحدين عبر العديد من الوسائل التي وجدت في عصرنا هذا بسبب التقدم والتطور التكنولوجي والمعلوماتي الذي لم يشهد له البشر مثيل من قبل كالتلفزيون والكتب والمجلات والانترنت والفيديو والكمبيوتر.

ولكن كيف يمكن للآباء والأمهات مواجهة الغزو الفكري وحماية أبناهم وبناتهم منه؟

يمكن للآباء والأمهات مواجهة الغزو الفكري الذي يوجهه الأعداء نحو شباب وفتيات المسلمين من خلال الآتي:

١. تربية أبناءهم وبناتهم تربية صالحة مبنية على الاستقامة والعفاف والتقى والصلاح والخوف من الله والتمسك بتعاليم الدين الإسلامي والمداومة على الصلاة في المساجد وحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

٢. تربيتهم على الأخلاق الإسلامية الحميدة المتمثلة بالصدق والتواضع وبحسن الخلق في القول والعمل والحياء من الله ومن الناس في السر والعلانية واجتناب القول الفاحش والأفعال المشينة والابتعاد عن الكذب والكبر والغرور وغيرها من الصفات التي نبذها ونهى عنها ديننا الإسلامي.

٣. مراقبتهم والإشراف عليهم في كل وقت وحين، وعدم غض الطرف عنهم أو تجاهل أخطاءهم ومتابعة تحركاتهم وتصرفاتهم وأفعالهم اليومية، ومعرفة أين يذهبون عند خروجهم من المنزل ومع من يجلسون، ومع من يمشون يسرحون ومن يصادقون.

٤. منعهم عن مصاحبة ومجالسة أصدقاء السوء الفاسدين، وتوجيههم باختيار أصدقاء صالحين.

٥. إعطاءهم النصائح الأبوية باستمرار، وتوجيههم بما يجب عليهم القيام به من أفعال وتصرفات، وبما يجب عليهم اجتنابه من أفعال وتصرفات سيئة ومنبوذة وتأنيبهم إذا أخطأوا، وبيان عواقبه عليهم وعلى المجتمع، وتحذيرهم من تكرار الخطأ مرة أخرى وإلا فسوف يتم معاقبتهم بالعقوبة المناسبة، وحرمانهم من بعض المزايا.

٦. حمايتهم من سلك طريق الشيطان والانجرار نحو الرذيلة والفساد وارتكاب المعاصي والذنوب وذلك بعدم السماح لهم من البقاء خارج المنزل لأوقات طويلة إلا إذا كان الآباء والأمهات يعلمون مكان تواجدهم ومع من يجلسون، وكذلك منعهم من دخول السينما والمراقص، ومنعهم من التدخين وتناول المشروبات الكحولية أو أي

حبوب منشطة، وغير ذلك من الأمور التي تكون طريقاً إلى ارتكاب الفاحشة والكبائر، وفساد الشباب وانحلال أخلاقهم.

٧. تجنيبهم من وسائل الفساد التي يستخدمها الأعداء في غزو شباب المسلمين، وذلك من خلال منعهم من اقتناء المجلات والصحف الهابطة ومنعهم من مشاهدة القنوات المشفرة أو القنوات العربية التي تبث أغاني هابطة، ومنعهم عن سماع أشرطة الأغاني الهابطة.

٨. توفير المجلات والكتب الإسلامية للأبناء والبنات، وحثهم على قراءتها، وتوفير أشرطة الفيديو و الأقراص وأشرطة الكاسيت المتضمنة للأناشيد الإسلامية وللمحاضرات والخطب الدينية وللعلوم والبرامج النافعة، وحثهم على سماعها ومشاهدتها، وحثهم أيضاً على مشاهدة القنوات التلفزيونية الجيدة.

٩. حثهم على حضور مجالس العلم، وسماع المحاضرات التي يلقيها علماء المسلمين في المساجد في العديد من الأوقات، وحثهم على مجالسة ومصاحبة العلماء والصالحين.

ثانياً: واجبات شباب وفتيات المسلمين تجاه الغزو الفكري الذي يوجهه الأعداء نحوهم:

١. التسلح بالاستقامة والصلاح والورع والتقى والعفاف والخوف من الله عز وجل ومن عقابه في السر والعلانية، والإيمان الكامل بأن الله عز وجل مطلع على أفعالهم وتصرفاتهم، فلا تخفى عليه خافية، وأن كل إنسان لديه رقيب وعتيد يسجلان كل أفعاله في كتاب مبين، والإيمان الكامل بأن مصير كل إنسان إلى الموت، وأن الحياة فانية وظل زائل، وسوف يحاسب على أفعاله صغيرها وكبيرها.

٢. التمسك بتعاليم الإسلام، واتباع أوامره واجتناب نواهيه في القول والعمل بالسر والعلانية، في كل وقت وحين والمداومة على الصلاة في المساجد، وحضور مجالس العلماء والصالحين، وحفظ القرآن الكريم والمداومة على تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وحفظ الأحاديث النبوية الشريفة وقراءة الكتب الدينية والتاريخية والأدبية والشعرية التي خلفها لنا علماؤنا الأجلاء، وسماع الأشرطة الإسلامية ومشاهدة أشرطة الفيديو المتضمنة على محاضرات وخطب دينية وعلى برامج علمية وثقافية مفيدة.

٣. حسن اختيار الأصدقاء ومصاحبة الأخيار والصالحين والجلوس معهم، واجتناب مصاحبة أهل السوء والفساد، أو الجلوس معهم، فقد قال رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم «مثل الجليس السوء والجليس الصالح، كنافخ الكير وحامل المسك».

٤. عدم ارتياد دور السينما والمراقص وعدم التدخين أو شرب المشروبات الكحولية، واجتناب كل أفعال الرذيلة والمعاصي والآثام ما ظهر منها وما بطن.

٥. الابتعاد عن وسائل الانحطاط والفساد التي يستخدمها الأعداء في غزو شباب المسلمين، والتي تتمثل بالمجلات الهابطة، والقنوات المشفرة والقنوات العربية الهابطة وأشرطة الفيديو والديسكات المتضمنة على أفلام جنسية إباحية، ومواقع الإنترنت الإباحية.

٦. التوبة إلى الله عز وجل والاستغفار في كل وقت، وبعد الوقوع في المعصية وارتكاب الخطيئة والذنب، لأن

تجديد التوبة بعد الذنب والشعور بالخطأ وتأنيب النفس، هو الطريق الوحيد لمحو الذنب والشعور بالطمأنينة والراحة، وهناك العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تحث المسلمين على الإسراع بالتوبة بعد ارتكاب الذنوب والمداومة على التوبة والاستغفار في كل وقت وحين.

٧. مجاهدة النفس في كل وقت وحين، وإرغامها على الرجوع عن المعصية والذنب والهوى عندما تهم على ارتكابه، وإرغامها على الابتعاد عن الشهوات والملذات والمتعة الزائلة التي قد يزينها لهم الشيطان من خلال تلك الوسائل التي يوجهها إليهم الأعداء، فقد قال – صلى الله عليه وسلم –: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات».

نسأل الله أن يحفظ شبابنا وفتياتنا ويوفقهم ويصلحهم لما فيه الخير والسداد في الدنيا والآخرة)). وكلامه واضح فيه إطناب ولا يحتاج لزيادة بيان.

((تم بحمد الله

مقرر العقيدة والمذاهب المعاصرة

والله أعلم و صلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم)).

وكتبه حامدا ومصليا ...

أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى المنياوي

وكان الفراغ منه يوم السبت ١١ من شهر جمادى الآخر لعام ١٤٤٠هـ الموافق ١٦ من شهر فبراير لعام ٢٠١٩م

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يتقبل مني هذا العمل وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وألا يجعل لأحد فيه شيئا، وأن يدخر لي أجره يوم ألقاه.

وأرجو من الله أن يكتب له القبول وأن ينفع به المسلمين، أنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.